دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

وظيفة الأوقاف في التغيير الاجتماعي

منهجية التعليم في الإسلام

للأستاذ محمد المنوني

من أجل مفهوم إسلامي للثقافة

للأستاذ أحمد شوكي

ظاهرة التمرد الفكري

للأستاذ عبد العلي الوزاني

السنة 19
العدد 1

شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

دعوة الحق

السنة التاسعة عشرة • العدد الأول
محرم 1398 - يناير 1978 . ثمن النسخة 3 دراهم

تصدرها
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

بيانات إدارية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ مديرية الشؤون الإسلامية
ص ب : 375 ـ الرباط ـ المغرب
الهاتف : 10 ـ 632

• الإشتراك العادي عن سنة : 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

• السنة عشرة أعداد . لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• ترسل المجلة مجاناً للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص

• **لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر** •

فهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

وظيفة الأوقاف في التغيير الاجتماعي

●● نظمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ندوة لنظار أوقاف المملكة . وهي تجربة مثمرة تقدم عليها الوزارة في اطار حركة التجديد والاصلاح والتطوير المتناسقة مع الانطلاقة الرائدة التي يشهدها المغرب في جميع الميادين بتخطيط وتوجيه من رائد النهضة وقائد المسيرة جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وحفظه .

واذا تجاوزنا الاطار التنظيمي والاداري لندوة نظار الاوقاف وتطلعنا الى المعنى الهام وراء الحدث تبين لنا البعد الفكري والاجتماعي الذي يحكم خط سير الوزارة في عهد الشورى والديمقراطية الاسلامية وتعبئة الامة من اجل الخروج من دائرة التخلف والانبهار بمعطيات الحضارة ورد الفعل القاصر الى المساهمة الايجابية والفعالة في نسيج الحضارة والفعل الانساني المؤثر في اتجاه الاحداث لصالح الامة العربية والاسلامية ولفائدة المجتمع الدولي بعامة ، وذلك استئنافا للدور القيادي الذي لعبته الاوقاف المغربية في الحفاظ على المقومات والمقدسات والابقاء على شعلة الايمان ، وبذرة اليقين ، واثراء الفكر ، ودرء المخاطر عن حصن العقيدة ، ومعقل اللغة ، ودار الاسلام .

ان هناك مغالطة مكشوفة يراد بها تزييف الحقائق وقلب الموازين ، وذلك حينما يقال ان رسالة الاوقاف لا تنحصر في المسجد فقط ! وهذه كلمة حق يراد بها باطل ، لانها تنطلق من نظرة تجزيئية الى دور المسجد ومفهوم الاسلام في صورته العامة واطاره الشامل . فما هو دور المسجد اذن ؟ أليس دور المسجد هو دور الاسلام ؟ . أو ليس الاسلام دين ومنهج حياة متكامل يستقطب جميع مناحي الحياة ومرافق النشاط الانساني على الارض ؟ . وما دام الامر كذلك ، فما معنى الانتقاص من دور المسجد والنظر اليه من زاوية محدودة لا تشمل جوانب الصورة بكاملها ؟ .

والغريب ان من يقول بذلك يزعم الدفاع عن الاسلام والغيرة على محارمه . وقد يتوفر في هؤلاء الصدق والنية الحسنة ، لكن ينقصهم الفهم الموضوعي لحقيقة هذا الدين ودوره في الحياة ووظيفته في بناء الانسان والحضارة .

علة القصور فى الفهم تاتي من تقدير رسالة المسجد فى المجتمع الاسلامي وفى دولة الاسلام .

ان المهمة الرئيسية للاوقاف الاسلامية تقوم اساسا على الاشعاع الفكري انطلاقا مما يمكن ان نصطلح عليه « باستثمار الوعي الاسلامـــي » الامر الذي ينتهي بنا الى المعادلة التالية :

استثمار اموال الاوقاف = تزكية الشعور الديني ودعم حركة البعث الاسلامي ؛ اي ان المنطلق والمنتهى من الاسلام واليه . وتلك هي فلسفة الوقف المستمدة روحا ومضمونا وشكلا من الشريعة الاسلامية واجتهادات فقهاء الامة وعلمائها المتمثلة فى التراث الفقهي الضخم .

وعلى هذا الاساس ، واستشعارا للدور الريادي والقيادي للمسجد، ووعيا منا لوظيفة الدين فى الحياة البشرية ، وادراكا للابعاد الفكريـــة والاجتماعية للوقف فى شريعتنا ، فانه لا يجوز اسقاط المفاهيم العلمانية على الموضوع ، والنظر الى قطاع الاوقاف من زاوية المنفعة ، ومقاييس الربح والخسارة ، ومعادلات السوق . فاننا بذلك نقع فى المحظـــور ، ونسقط ضحايا الغزو الفكري الكاسح .

● هذا الفهم القاصر المشوب بالفكر الوافد يجرد الاوقاف من اهم ركائزها فى البناء الاجتماعي والتغيير الفكري ، ويسلبها بالتالي اداة العمل ويخرج بها عن اطار وظيفتها الاساسية .

واذا كانت رسالة الاوقاف لا تنحصر فى المسجـــد ، فان ذلـــك صحيح بالنسبة للواقع المتخلف للمسجد فى المجتمعات المتمـردة على شريعة الله ، ولكنها مقولة غير صحيحة بالنسبة للمسجد المستوفـــى الشروط والقائم بدوره على الوجه المطلوب . فى هذه الحالة يشكـــل المسجد المحور الاساسي لرسالة الاوقاف . وبعبارة اخـــرى القاعـــدة الرئيسية للانطلاق الى مجالات العمل الاسلامي المتنوع .

ومن هنا فان التركيز على المسجد ، والعمل على النهوض بـــه على وجه يكفل له مساحة اوسع للتحرك السليم فى اتجاه التغيير الرشيـــد القائم على العلم والتبصر وضبط النفس ومراعاة مستويات العقول ، يعد فى حقيقة الامر بمثابة حجر الزاوية فى عملية تطوير الاوقاف وتصحيح مســارهـــا .

ان هذا الدور لا يلغي من الحساب الانفتاح على ميادين جديدة للدعوة الاسلامية ، نذكر منها على سبيل المثال الجامعة واجهزة الاعلام والمراكز الرياضية والجمعيات والنوادي العامة وشتى القطاعات الحيوية فى البلاد، بل ان العمل الاسلامي فى هذه الحالة يكتسب مناعة وحصانة وقوة دفع هائلة ، بفضل الانطلاقة السليمة ، والاعداد ، والالتحام المتيـــن بسواد الامة ، وجماهير الشعب المؤمن .

ومن نافلة القول ان المسجد فى التصور الايمانـــي ، وفى اطـــار المجتمع الاسلامي يستحوذ على معظم النشاط العقلي للفرد والمجتمع ، ومن ثم فان الانصراف الى المسجد ابتداء ، والانطلاق من رحابه يضمن

فرص التوفيق والتفوق فى انجاز مهام الدعــوة على نحو يرضــي الله ورسوله والمؤمنيـــن .

● اننا نريد مسجدا متدفقا بالنشاط الاسلامي ، زاخرا بالحركة الواعية ، عامرا بطلاب الايمان والوعي والعمل لما فيه خيــر انفسهـم ووطنهم والانسانية جمعــاء .

لقد قر فى اذهان فئة من المواطنين بحكم اساليب الدس والتدليس والتضليل ان المسجد مثابة للعاجزين الخامدين الكسالى القاعدين عــن العمل الفاشلين فى الحياة . بينما هو فى حضارتنا مدرسة للفكر ، وقلعة للصمود ، ومعسكر للاعداد والاستعداد والتجهيز .

ان رسالة الاوقاف في عهد الشورى والعدالة الاجتماعية والمغرب الجديد ان تسعى جاهدة لرد الاعتبار للمسجد حتى يفوق فى تصور الناس اهمية الجامعة او يوازيها على الاقل ، مع الفارق الشاسع فى القياس كما لا نحتاج ان نقول . ولكن الفكر الغازي المناهض لقيمنا ومقوماتنا القى فى روع الناس هذا التمايز بين المسجد وبين الجامعة ، وبينه وبين مختلف المؤسسات التعليمية والاعلامية والفكرية فى حين أن له القوامة على جميع مرافــق الحيــاة .

تلك هي رسالة الاوقاف ؛ توجيه فكري منظم ، وارشاد اجتماعــي محكم ، مع المرابطة فى حصن العقيدة الحصين لرد كيد المتآمرين على هذا الدين .. وعلى هذا الوطن .



ندوة نظار أوقاف المملكة

● ترأس الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بمقر الوزارة ندوة نظار اوقاف المملكة التي استمرت ثلاثة أيام .

حضر الجلسة الافتتاحية الكاتب العام للوزارة السيد محمد محيي الدين المشرفي ومدير الشؤون الاسلامية السيد محمد يسف ورؤساء الاقسام والمصالح ونظار الاوقاف بجميع انحاء المملكة وكذا ممثلون عن الوزارة الاولى ووزارات العدل والداخلية والتربية الوطنية وتكوين الاطر والسكنى واعداد التراب الوطني ، وقد افتتح الدكتور احمد رمزي هذه الندوة بكلمة ابرز فيها الاهتمام الخاص الذي يوليه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله لهذه الوزارة كاسلافه المنعمين الذين كانوا يحرصون دائما على الوقف والشؤون الاسلامية .

كما ذكر السيد الوزير بان البرلمان اولى عناية خاصة لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وتجلى ذلك من خلال التدخلات والتوصيات والاقتراحات الامر الذي يعكس غيرة السادة النواب والمواطنين على شؤون دينهم الحنيف ، كما تعرض الدكتور احمد رمزي الى التصريح الحكومي الذي ادلى به الوزير الاول السيد احمد عصمان أمام البرلمان حيث ركز على برنامج هذه الوزارة والمامورية الملقاة على عاتقها .

وانتقل السيد الوزير بعد ذلك للحديث عن اهداف ومرامي هذه الندوة التي لخصها في خلق جو من الحوار والتكافل والتعاون بين المصالح من جهة والنظار والوزارة من جهة اخرى :

وتحدث بعد ذلك عن مسؤولية الناظر التي قال انها ذات شقين ، الاول يهتم بالاوقاف والثاني يهم الشؤون الاسلامية ، كما حث النظار ان يتحلوا بالشخصية القوية وأن يكونوا الحراس الامناء لشؤون الاوقاف وان يقوموا بتنشيط الجو الاسلامي المحلي.

وقبل أن ينهي السيد الوزير كلمته تمنى للمتناظرين النجاح في اعمالهم مشيرا الى ان هذه الندوة تعتبر بمثابة نقد ذاتي لما تقوم به الوزارة

وتناول الكلمة بعد ذلك السيد الكاتب العام للوزارة فاوضح اهمية هذه الندوة التي ستقوم برسم الخطوط العريضة للاعمال التي يمارسها ناظر الاوقاف والمسؤولية التي تتحملها المصالح التابعة للوزارة قصد اعطاء دم جديد للاوقاف والشؤون الاسلامية .

وتعرض السيد الكاتب العام للعروض التي ستلقى خلال هذا الملتقى والتي تتعلق بانشاء معهد عال للدراسات الاسلامية لتخريج وعاظ ومرشدين من ذوي الكفاءة والاختصاص وكذا دراسة عن النصوص التشريعية التي تعتمدها الوزارة فيما يتعلق بالاكرية والمعاوضات والفلال وعرض آخر عن مشروع المخطط الخماسي الجديد واهداف هذا التصميم بالنسبة للوزارة وعرض يتعلق بميدان التوعية والتوجيه الديني داخل المخيمات الصيفية .

هذا وقد تميزت الندوة بجو الحوار والصراحة والفهم في تناول الموضوعات ومعالجة القضايا الملحة والمطروحة على بساط الدرس . الامر الذي قوى الثقة واليقين ودعم روح الطموح والتفاؤل وزكى ارادة العمل لما فيه صالح الاوقاف وفائدة الدعوة الاسلامية .

وقد صدرت عن الندوة عدة توصيات هامة تتعلق بالشؤون الداخلية للوزارة وآفاق الدعوة الاسلامية ونشر الفكر الاسلامي الحي .

ورفع المتناظرون في ختام جلسات العمل برقية الى حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله اعربوا فيها عن صادق ولائهم وعظيم امتنانهم لمولانا الامام الذي ما فتىء يولي الاوقاف والشؤون الاسلامية فائق عنايته ورعايته .

دراسات إسلامية

* الرد القرءاني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرءان
* منهجية التعليم في الاسلام
* درس في بناء الرجال من الرسول القائد
* احاديث شاذة ومنكرة
* من أجل مفهوم اسلامي للثقافة



تناقضـــات القـــرآن :

لو كان عند هذا الشخص خجل لارعـــى على نفســه وتوارى حيث لا يراه ولا يسمع به احـــد ، لان ما سبق وظهر من جهله وسوء فهمه وتعصبه ومكابرته، كان كافيا لان يجعله مثلة ومضغة فى اعين النـــاس وافواههم ، فكيف يجرؤ ان يضيـــف الى اوهامـــه وسقطاته فى الفصول المتقدمة فصلا بعنوان تناقضات القرآن ، وهو لم يحرر المسلمات فاحرى ما يدعي انه من المتناقضات ؟ ولكنه يكتب سجل الغبـــاوة والقصور على نفســه وعلى بلده الذي جعل له شانـــا فرشحه لهذه المهمة ، واذن فليفضح نفسـه اكثر ، وليطوق بلده مزيدا من العار ! (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) .

والى القارىء مهاترته التي افتتح بهـــا هـــذا الفصل : « القرءان كتاب مشوش يختلط فيه العالم الواقعي بعالم خيالي يتكون من امـــور مستحيلـــة وخرافات باطلة ، وليس فيه اي نظام للحياة لا خاص ولا عام ، وتلاوته متعبة جدا حتى بالنسبة للـــذي انما يدفعه الفضول لقراءته » وهذا الكلام ان دل على شيء فانما يدل على نفسية مريضة وعقلية متخلفة ، تجعلنا نشك فيما يتحدث به صاحبه عن الخدمات الصحية فى الاتحاد السوفياتي ، والتقدم العلمـــي الذي حظيت به هذه البلاد بعد ثـــورة 17 اكتوبـــر المعروفة : والا لوجد له مكانا فى احدى المصحات لعلاج لوثته ، ثم الرمي به فى احدى المزارع الجماعية حيث يمكنه ان يؤدي عملا احسن !

ان القرءان يا هذا ، يقراه كل يوم ملايين الناس من كل الطبقات والاجناس ، مغتبطين بقراءته متملين بحكمته ، وفيهم من غير المسلمين كثير ، وبعـــض هؤلاء تنشرح صدورهم بقراءته الى الدخـــول فى الاسلام ، على الرغم من انهم انما يقراونه فى ترجمات قد لا تؤدي المعنى المراد كما يجب ، فكيف يقبلون عليه هذا الاقبال ، وهو بالحالة التي وصفتها ؟

ولقد انشأ القرءان من العدم أمة ودولة انتظمت فى سلكها القارات الثلاث التي كانت معروفة اذ ذاك ودانت لها بالطاعة ، ودخلت الكثرة الكاثرة من سكانها فى دين الله الذي يدعو اليه القرءان ، برغبة تلقائية، فتكون منها مجتمع فاضل يخضع فى شؤونه الخاصة والعامة لاحكام القرءان ونظامه المثالي ، وتفاعلـــت عبقريات الشعوب التي تكونت منها الامة الاسلاميـــة مع تعاليم القرءان ، فشيدت تلك الحضارة الانسانية التي لم يشهد لها التاريخ فيما مضى مثيلا ، والتي اقتبست منها اوربا علوما وفنونا كانت هي السبب فى نهضتها ومدنيتها الحاضرة ، فهل يصح ان تقوم هذه الاعمال الضخمة على اساس من كتاب مشوش ليس فيه اي نظام للحياة ! ...

وعلى ما تعرض له القرءان من نقد وتجريح من خصوم الاسلام ، فان احدا – على الاقل في القرن العشرين – لم تبلغ به الوقاحة الى ان يقول فيه ما قاله هذا الارعن الذي يمثل تعصب القرون الوسطى وجهالة اهلها . ونحن نرد عليه بأقوال علماء اجانب لا يتهمون بموالاتهم للمسلمين ولا بتشوئهم على الاسلام ، فيظن بهم عدم التجرد عن عواطفهم او قله التمحيص لما يقولون . وهكذا للرد على قوله ان القرءان كتاب مشوش يختلط فيه العالم الواقعي بعالم خيالي ... الخ . ننقل ما قاله اميل در منغام في كتابه حياة محمد عن القرءان ، ونصه :

« كان محمد يعد نفسه وسيلة لتبليغ الوحي ، وكان مبلغ حرصه أن يكون امينا مصغيا او سجلا صادقا للكلام المنزل ، لكلام الله القديم الذي هو ام الكتاب ، الكلام الذي تحفظه ملائكة كرام في السماء السابعة ، وسواء اكان هناك فرق بين القرءان السماوي والقرءان المحفوظ في صدور الناس او المكتوب في صحف أو في عظام أو في رق ، ام لم يكن ، وسواء اكان هنالك فرق بين الكلام الازلي والكلام الزمني ام لم يكن ، نرى أن ادراكنا النبي للمراحل الربانية في العالم ايسر من ادراك معاصري محمد العربي وعلماء المسلمين لها ، فنحن نرى ملاءمة القرءان الوثيقة للاحوال ، وانه نزل يوما فيوما تبعا لمقتضيات سير الاسلام ومصالحه متناسخا ، وان لم يكن متناقضا . مقوما لاحكامه ، مداريا فيها ضعف المسلمين ، مجاريا لاعتراضاتهم ، وعند النبي ان الرسالة فوق الرسول ، وان آية من القرءان افضل من محمد وآله .

« ولا بد لكل نبي من دليل على رسالته ، ولا بد له من معجزة يتحدى بها ، مختلفة عن كرامات الاولياء فقد تحدى موسى سحرة فرعون بأن يأتوا بمثل ما اتى به من المعجزات ، وقد حنى موسى شعبه الحرون بني اسرائيل بنير من المعجزات ، ولم يتكلم احد مثلما تكلم عيسى الذي هو كلمة الله كما شهد به القرءان .

« والقرءان هو معجزة محمد الوحيدة ، فأسلوبه المعجز ، وقوة ايحائه ، يثيران ساكن من يتلونه ولو لم يكونوا من الاتقياء ، العابدين . وكان محمد يتحدى الانس والجن بأن يأتوا بمثله ، وكان هذا التحدي اقوم دليل لمحمد على صدق رسالته (1) » .

وللرد على نفيه أن يكون في القرءان اي نظام للحياة ننقل قول « ادموندبورك » في القانون الذي جاء به القرءان : « ان القانون المحمدي الذي جاء به القرءان قانون ضابط للجميع من الملك الى اقل رعاياه، وهو قانون نسج بأحكم نظام قضائي واعظم قضاء علمي واعظم تشريع منور ، ما وجد قط مثله في هذا العالم من قبل » .

وكذلك قول « اللورد هيدلي » ولفظه : « كان النبي محمد شرقيا مثل الانبياء الآخرين وانزلت عليه الشريعة من الله ، فالقرءان هو من كلام الله عز وجل كما كان الانجيل وباقي الكتب المنزلة الاخرى ، وهو يثبت ويصدق الكتب المقدسة الاخرى والوحي السابق ، ويضيف تعاليم اخرى تؤكد اهمية تلك التعاليم الماضية ، وفوق ذلك فهو يحرم كل تكهات العبادة الوثنية ، وروح الوحي هي أن لا يقرن اسم الله القوي العليم الرحيم بأي اسم آخر » .

وللرد على قوله ان قراءة القرءان متعبة وانه يحتوي على امور مستحيلة وخرافات باطلة ننقل قول « سيدني فيشر » أستاذ التاريخ بجامعة أوهايو الامريكية : « ان القرءان صوت حي يروع فؤاد قارئه وانه يزيد روعة حين يتلى بصوت مسموع ، وهو كتاب تربية وتثقيف وان الفضائل التي يحث عليها من اجمل الفضائل وأرجحها في موازين الاخلاق ، وتتجلى هداية هذا الكتاب في أوامره كما تتجلى في نواهيه »

واخيرا لاثبات اعجاز القرءان العلمي البحت ، نحيل مؤلف (كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرءان) على كتاب الدكتور موريس بوكال « الانجيل والقرءان والعلوم الحديثة » الذي صدر بفرنسا في السنة الماضية لينظر كيف يتكلم اسياده عن سيد الكتب ؛ القرءان !

ثم يقول هذا المؤلف باثر ما سبق اتصالا :
« وفوق ما يحتوي عليه القرءان من التكرار الكثير فان ما يقرب من 300 آية قرآنية كلها يناقض بعضها بعضا ، لكن اللاهوت الاسلامي فيه نظرية تسمى النسخ يمكن بها للمسلمين تسوية جميع الاختلافات الموجودة في القرءان والقرءان نفسه يصرح بتغيير بعض آياته تارة بالزيادة واخرى بالنقص كما تقول

(1) كتاب حياة محمد لاميل در منغام ترجمة محمد عادل زعيتر .

الآية 103 من السورة 2 : (ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها) ... »

ان القرءان كتاب دعوة وهدى وبشارة ، فالتكرار فيه محبب ومطلوب وهو من أساليب الدعوة المتبعة من جميع اصحاب الافكار والمبادىء الخيرة فضلا عن غيرها والمقصود به التأثير فى نفوس المدعوين وبلوغ الغاية من الدعوة بطريقة او باخرى وقد قال الشاعر :

اما ترى الحبل بتكراره
فى الصخرة الصماء قد أثرا

على أن التكرار فى القرءان له اسلوبه الخاص الذي بلغ أعلى مستوى من البلاغة الكلامية فهو فى كل مرة يعيد فيها قصة او حكما او موعظة ، يؤديها بطريقة غير التي سبق له ان اداها بها ، ويضيف لها اشياء لم يذكرها من قبل ، اما من قبيل المعلومات ، واما من باب التنبيه على مغزى النص أو غير ذلك . مما يعد معجزة بيانية طاطات لها رؤوس اعلام البلاغة وامراء الكلام ، فمن اين « لرحماتوف » ان يدرك سر الاعجاز فى تكرار بعض الآيات القرآنية وبينه وبين أسرار العربية سور من الجهل والالحاد والتعصب ؟..

اما قوله ان فى القرءان ما يقرب من 300 آية يناقض بعضها بعضا ، فهو دعوى باطلة (اولا) لانه لم يقل به أحد حتى المبشرون الذين يحاولون التشكيك فى القرءان انما يتطرقون لبعض الآيات التي لا تتجاوز اصابع اليد ، حاملين لها على غير محملها لجهلهم او لسوء نيتهم ، ولو وجدوا عشر هذا العدد من المتناقضات ، وان كان ذلك على طريقتهم المشار اليها لما سكتوا عنه بحال . (وثانيا) لان الذي لم يفهم مغزى تكرار بعض الآيات فى القرآن وأساليبه المتنوعة كيف يفهم التناقض ويدرك الخلاف بين الآيات القرآنية وهو مطلب اعمق من مطلب التكرار ؟ (وثالثا) ان القرءان قد نفى بصريح العبارة أن يكون فيه شيء من الخلاف والتناقض وذلك حين يقول منزله الحكيم الخبير (أفلا يتدبرون القرءان ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وهي آية تحدت المشركين وفيهم ارباب اللسن والفصاحة الذين لا يقاس رحماتوف بهم الا على قياس زيد بالحمار (2) ، ومع ذلك فانهم لم يقولوا ان فى القرءان تناقضا ولا ادعوا أنه يشتمل على آيات يعارض بعضها بعضا . وهذه الادلة التي اوردناها على ابطال دعواه ان كانت من قبيل الادلة العمومية ، فسوف ننظر فيما يزعم انه متناقض فى القرءان ونبطله بأدلة خاصة .

وتدارك المؤلف قوله بما يكر عليه من حيث لا يشعر بالابطال ، حين ذكر أن نظرية النسخ فى اللاهوت الاسلامي تمكن المسلمين من تسوية خلافات القرءان ... وقد زج بنفسه فى مضيق لا مخرج له منه الا بالتراجع عن اتهام القرءان بالتناقض وزعمه ان المسلمين يسوون خلافاته بنظرية النسخ التي يتميز بها على قوله ، اللاهوت الاسلامي . والحقيقة ان النسخ ثابت فى كل من اللاهوت اليهودي واللاهوت المسيحي ، لم ينفرد به اللاهوت الاسلامي الا عند من يجهل تاريخ الاديان السماوية كهذا المؤلف الذي ضرب الرقم القياسي فى عدم معرفته بما يتكلم عنه حتى اصبح تاليفه كله عبارة عن سلسلة من الاخطاء والجهالات التي لا حصر لها .

فقد نسخت التوراة اباحة تزوج الاخوة بالاخوات كما كان ذلك فى عهد آدم عليه السلام للضرورة الوقتية ونصها فى سفر (اللاويين) الاصحاح الثامن عشر : « عورة اختك بنت ابيك او بنت امك المولودة فى البيت أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها » وفيه أيضا بالاصحاح العشرين : « واذا اخذ رجل اخته بنت ابيه او بنت امه وراى عورتها ورات هي عورته فذلك عار امام شعبهما ، قد كشف عورة اخته يحمل ذنبه » .

ونسخت اباحة الجمع بين الاختين كما كان ذلك فى عهد يعقوب عليه السلام فانه كان يجمع بين ليا وراحيل بنتي خاله . وقصته مذكورة فى سفر التكوين بالاصحاح التاسع والعشرين ... ودليل النسخ فى هذه المسالة ما جاء فى سفر اللاويين الاصحاح الثامن عشر ونصه : « ولا تأخذ امراة على اختها لتكشف عورتها معها فى حياتها » ونسخت اباحة اكل جميع الحيوانات كما كان فى عهد نوح عليه

(2) هذا من باب التقديم والتأخير فالمقصود قيس الحمار بزيد كقوله فى الحديث بصف مسح الراس فى الوضوء : فاقبل بهما وادبر اي ادبر واقبل .

السلام على ما في سفر التكوين ، ودليل النسخ في سفر اللاويين ، وجلب ذلك يطول .

واما الانجيل فقد نسخ اباحة الطلاق كما كان ذلك في الشريعة الموسوية باي سبب كان زنا او غيره ، واباحة تزوج المطلقة ، ففي سفر التثنية الاصحاح الرابع والعشرين : « اذا اخذ رجل امراة وتزوج بها فان لم تجد نعمة في عينيه لانه وجد فيها عيب شيء كتب لها كتاب الطلاق ودفعه الى يدها واطلقها من بيته ومتى خرجت ذهبت وصارت لرجل آخر » فحرم الانجيل الطلاق الا بعلة الزنا وحرم تزوج المطلقة . ونص انجيل متى في ذلك الاصحاح الخامس : « وقيل من طلق امراته الا لعلة الزنا يجعلها تزني ، ومن يتزوج مطلقة فانه يزني » ونسخ حرمة اكل الحيوانات التي كانت محرمة في شريعة موسى، ونسخ الختان وجلب نصوص ذلك كله يطول (3) .

اذا علم هذا فالقرءان انما سلك سبيل الكتب السابقة ، فنسخ ما اقتضت المصلحة نسخه بما هو اوفق منه ، للتطور الحاصل في مسار الانسانية نحو الرشد وتحمل المسؤولية ، وهذا هو مدلول الآية الكريمة (ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها) لا ما حملها إياه صاحب الكتيب المنقود من تقيير الآيات القرآنية بعضها ببعض .

ومن الالطاف الالاهية وفضائل الدين الاسلامي ان النسخ الذي جاء به القرآن للاحكام التي كان معمولا بها في الشرائع السابقة ، كله رفق وتخفيف واستجابة لتطلعات الانسانية الرشيدة على ما المعنا اليه آنفا ، ولذلك جاء في الكتاب العزيز تنويها بالرسالة المحمدية قوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء ، فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم بآياتنا يومنون ، الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون)

هذا ونلاحظ ان آية ما ننسخ هي الآية 106 من السورة الثانية اعني سورة البقرة وليست الآية 103 كما قال المؤلف .

بعد ذلك يقول هذا المؤلف : « لندرس بعمق تناقضات القرءان ... نقرا في السورة الثانية الآية 61 (ان الذين هادوا والنصارى والصابين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا يعني ان القرءان يتسامح مع الاديان الاخرى كالمسيحية واليهودية ويضمن حتى للمسيحيين سعادة الآخرة ، ومع ذلك فانه في الآية 17 من السورة الثالثة يقول (ان الدين عند الله الاسلام) وفي الآية 82 من نفس السورة (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين) وهكذا تجهل اليد اليمنى ما تفعل اليد اليسرى ، فمن جهة يسمح القرءان للناس ان يتدينوا بغيره من الاديان ومن جهة اخرى يرفض ذلك » .

ونبادر فنقول ان مؤلف كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرءان هو الذي يجهل ما دلت عليه الآية الاولى فيجعلها متعارضة مع الآيتين الثانية والثالثة ... ونحن نشفق عليه من هذا الجهل الفادح والفاضح لما هو عليه من القصور وقلة الفهم ، ولكنا نسخر منه ونتعجب من وقاحته ، اذ يتعرض لما لا علم له به ويعمد الى التشهير والتجريح ، وهو في الواقع انما يشهر بنفسه ويجرح مرشحيه لهذه المهمة التي عجز عنها العصبة اولو العلم والاقتدار ، فكيف بامعات المفلبين ؟ ... !

ان القرءان بحكم نسخه للكتب السابقة لا يسمح باي دين آخر كما ان الانجيل بحكم نسخه للتوراة يعتبر اليهود كفارا لعدم ايمانهم به ، والآية الكريمة التي تقول : (ان الذين هادوا والنصارى والصابين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) هي بمثابة بلاغ لاتباع هذه الديانات يدعوهم الى الايمان بالله وحده والتصديق باليوم الآخر أي البعث والحساب وعمل الصالحات ... وهذا هو ما جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم فمن قبله منهم وعمل به فقد دخل في الاسلام واستحق ما ذكر في آخر الآية وهو قوله : (فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومعلوم أن النصارى لا يومنون بالله وحده بل بأقانيم ثلاثة ولذلك جاء في آية اخرى من القرءان (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . وما من الاه الا الاه واحد) واليهود كفروا

---

(3) انظر كتاب فضيحة المبشرين للكاتب .

بعدة أشياء ومنها عدم ايمانهم برسالة سيدنا عيسى عليه السلام ، فهم مدعوون للايمان برسالة القرءان التي تقر رسالة المسيح ونسخ الانجيل للتوراة فضلا عن انكار ما قالوه من ان عزير ابن الله ، ليستحقوا ما ذكر من الاجر والامن وعدم الحزن يوم القيامة . واما الصابئة وهم عباد الكوكب فامرهم معلوم ، وبهذا يتبين أن الآية لا تتنزل على احد ممن ذكر ، ولا يدخل فيها يهودي ولا نصراني ولا صابئي الا اذا آمن بالله وحده وباليوم الآخر وعمل الصالحات على حسب ما جاء به الكتاب العزيز ، اى دخل فى الاسلام ودان به وانسلخ من كل دين غيره ، فاي تناقض اذن بينها وبين آية (ان الدين عند الله الاسلام) ؟ وآية (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) ؟ ، وبعبارة أوضح ليفهم عريض القفا لو ان القرءان قال : ان الذين هادوا والنصارى والصابين لهم اجرهم عند ربهم الخ لصح ما فهمه منها مؤلف ءاخر زمن . ولكنه لما وضع شرط هو قوله : (من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) وعقب عليه بجواب مقرور بالفاء وهو قوله (فلهم أجرهم عند ربهم) الخ علم ان الجواب لمن توفر فيه هذا الشرط ، والشرط كما هو معلوم ما يلزم من عدمه العدم ، ففاقده لا اعتداد به ، وكذلك الطوائف الثلاثة لا دخل لهم فى هذا الجزاء .

النصارى مشركون ، واليهود مكذبون ، والصابئة وثنيون ، فهم جميعا لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يعملون صالحا على مقتضى الشرع فكيف يقال ان القرءان يسمح لهم بالبقاء على دينهم ويكونون فى الآخرة من الناجين !

ان الآيات الكريمة منسجمة فيما بينها انسجاما كاملا . والنشوز والخلاف والتعارض هو فى عقلية المؤلف الذي لا يفرق بين الكوع والبوع ، ويدعي انه يدرس هذه التناقضات بعمق ! ؟

وننبه مرة اخرى على خطاه فى رقم الآيات المذكورة ، فالاولى رقمها 62 فى السورة الثانية وليس 61 ، والثانية رقمها 19 وليس 17 ، والثالثة رقمها 85 وليس 82 ، وكلتاهما فى السورة الثالثة اي سورة آل عمران .

ويضيف المؤلف الى قوله السابق : « اننا نجد نفس التناقضات فى القرءان لما تقابل الآية 5 بالآية 70 من السورة الخامسة » يعني سورة المائدة .

« ففى الاولى يعلن ان الدين الوحيد هو الاسلام ويحض المومنين على قتال المشركين ، وفى الثانية يصرح بالتسامح مع اليهود والنصارى ويعدهم بالمصير السعيد » والى جانب خطاه السابق فى فهم الآيات التي احتج بها على تناقض القرءان يرتكب أخطاء اخرى فى قوله هذا . فالآية التي يشير اليها فى السورة الخامسة هي قوله تعالى (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين) وظاهر أنها لا تفيد شيئا مما زعمه من أن الدين الوحيد هو الاسلام ، ومن حض المومنين على قتال الكافرين، بل ان لفظ الاسلام لم يذكر فيها بالمرة ، واما القتال فلم تعرج عليه اطلاقا . واما الآية 70 من نفس السورة التي قال انها تتسامح مع اليهود والنصارى فهي فى الواقع التاسعة والستون ونصها (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والقول فيها مثل نظيرتها من السورة الثانية ، وقد سبق ذلك ، وزادت هذه بذكرها الذين آمنوا اولا وعطف اليهود والصابين والنصارى عليهم، مع تقييدهم بشرط الايمان بالله واليوم الآخر وعمل الصالحات كالشرط فى السابقة . ليتساووا مع المسلمين فى تحصيل حقيقة الايمان واستحقاق ما رتب عليه من الجزاء الحسن . فاين يوجد التناقض بين هاتين الآيتين الكريمتين ، اللهم الا فى الفهم الخاطيء الذي عند المعترض ، وعدم تحريره حتى للمعنى الظاهر للآية الاولى ، وهو بصدد اظهار التناقض فى زعمه ! ...

ثم يقول المؤلف عقب كلامه السابق مباشرة : « ان القضايا التي تتعلق بالحياة الآخرة المومنين فى القرءان تتناقض هي الاخرى كذلك ، فمن جهة يعلن القرءان ان الحكم الالاهي يبدأ حالا بعد الموت (حسب السورة 61 الآيات 30 — 34) ومن جهة اخرى يؤكد القرءان ان الاموات انما يلقون مصيرهم بعد البعث والحساب (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) القرءان ، السورة 28 الآية 102 » .

وكما قلنا مرارا ان المؤلف يوتى من جهله بالعربية ، ولعله يعتمد على ترجمة رديئة لمعاني القرءان . فالآيات التي اشار اليها اولا هي قوله تعالى فى سورة النحل : (وقيل للذين اتقوا ما ذا انزل ربكم قالوا خيرا . للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ، ولنعم دار المتقين ، جنات عدن

يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون، كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ، يقولون سلام عليكم ، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) فهي كما نرى ليس فيها ما يدل على ما زعمه من ابتداء الحكم الالاهي بعد الموت مباشرة بل انها تدل على سؤال المومنين بصفة الجمع ، وذلك انما يكون بعد البعث وهو الحساب . وهي قد عبرت أكثر من مرة بالفعل المضارع (يدخلونها ، تجري ، يجزي) وذلك يعني في المستقبل ، وقوله (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) هو وصف للمومنين حالة وفاتهم وعليه فقول الملائكة لهم (ادخلوا الجنة) هو انما يكون عند انتهاء الحساب وصدور الحكم الالاهي بأن هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار جزاء وفاقا .

ومما يزيد هذا المعنى وضوحا عطف هذه الآيات على الآيات قبلها التي تتعلق بالكافرين ولم يشر لها المؤلف وهي قوله تعالى (واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا أساطير الاولين ، ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، الا ساء ما يزرون) فهي تصرح بما يدل على ان الحكم انما يقع يوم القيامة لا عقب الموت مباشرة كما زعم .

أما الآية التي زعم انها تناقض الآيات المذكورة لانها تؤكد أن الاموات انما يلقون مصيرهم بعد البعث والحساب ، فقد وقع له فيها خطأ فظيع حيث نسبها لسورة 28 وهي سورة القصص ، وهذه السورة لا تتجاوز آياتها عدد 88 في حين انه يعطيها رقم 102 والصواب أن السورة هي سورة المومنون وعددها في ترتيب السور 23 .ونص الآية كاملة ورقمها 99 ــ 101 (حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون ، لعلي أعمل صالحا فيما تركت ، كلا ، انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ، فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) .

هذه ثلاثة أمثلة من آيات القرءان المتناقضة التي قال رحماتوف أنها تقرب من 300 آية ، ولا شك ان هذه الامثلة الثلاثة التي اوردها هي عنده اشدها تناقضا واكثرها تعارضا ، والا لما اقتصرت عليها وقدمها كنموذج لتأييد زعمه ، وقد رأينا كيف كان فهمه لها مقلوبا وتحريفه لها عن مواضعها ناشئا عن جهل ، فسقط كلامه وتوجهت الحجة عليه ، ولذلك نراه بعد هذا يلجأ الى عادته من اجمال القول والطعن بغير حجة فيقول : « اننا نجد في القرءان تناقضات عديدة من هذا النوع وتصورات غامضة عن الله ومحمد والجنة » ونحن نقول له ان كانت من قبيل ما ذكرت فليس في الدنيا تناقض مثلك ، ولعلك وقد قلت ان الآيات المتناقضة في القرءان تبلغ 300 آية ولم تأت الا بثلاثة امثلة منها ثم عدت الى القول ان تناقضات القرءان من هذا النوع عديدة فاجملت ولم تفصل ، شعرت بما في كلامك من المجازفة وعجزت ان تعززه ولو بمثال رابع خاطىء كالثلاثة قبله ، فكان ذلك تراجعا منك والقاء باليد !

وينتقل المؤلف الى الدعاية للشيوعية ، وهي المقصود بالذات عنده فيقول : « ان المدافعين عن القرءان بعد ان بذلوا مجهودهم لاخفاء تناقضاته لم يسعهم الا الالتجاء الى مبادىء الماركسية ، فيقولوا عن الحرب التي يشنها المسلمون على غيرهم انها حرب دفاعية ، فضد من يدافعون حيث لا احد يهاجمهم ؟ » وفي هذا اقرار بأن الماركسية تحارب للدفاع عن نفسها فاذا كان ذلك حقا لها ولو من وجهة النظر ا مجردة فلماذا لا يكون حقا للاسلام ؟ اما دفاع المسلمين فقد كان فيما قبل ، ضد المتصدين له من المشركين والصليبيين والاستعماريين ، وهو اليوم ضد الشيوعية التي تهاجمه جهارا وضد الصهيونية والامبريالية العالمية وكل قوى الشر التي تتربص به وبشعوبه الدوائر . .

واما أن المدافعين عن القرءان لجأوا في هذا التأويل الى مبادىء الماركسية ، فهو مما يدعو الى السخرية بربيب الشيوعية الذي لم يعرف مذهبها في الدنيا غيرها . . .

ان الاسلام سبق الماركسية بأربعة عشر قرنا ، وأعطى لاتباعه حق الدفاع عن انفسهم بعد ما عانوا من أعدائهم الامرين ، وكانوا يريدون مقابلة العدوان بمثله ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحثهم على الصبر والاحتمال حتى نزل عليه قول الله عز وجل اذنا بالقتال الدفاعي المشروع ؛ في هذه الآيات الكريمة : (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) الى آخرها فكيف يلجأ المدافعون عن القرءان الى تبني هذا المبدأ من مبادىء الماركسية ، ان صح انه من مبادئها، وهو مقرر في كتابهم الذي يرد عليه هذا المأفون منذ عدة قرون ؟

وهنا يطيب لي ان أنشد بيتا من قصيدة كنت قلتها في سنة 1954 وهي بعنوان ثورة الملك والشعب لتنزله على هذه الحالة :

زعمت فرنسا أننا تبع لهـــا
من اين يتبع امس يوما تال ؟

ونقل المؤلف قول الكاتب الهندي امير علـي : « الاسلام سل سيفه ولكنه لم يتدخل قط فى عقائد الآخرين من اتباع الاديان الاخرى ولم يلجأ أبدا الى استعمال الخطب او آلات التعذيب لاجل التنكيل بالمخالفين لرايه أو التحكم فى الضمائر او مقاومة اي هرطقة » ثم عقب عليه بقوله : « يريد امير علي ان يقول ان الاسلام دين انساني ولكن هذا كذب ! » وعلى هذا المنوال مضى يشنع وكأن به مسا مـن الجنون ، فاتهم امير علي بانه يتستـر على أعمـال الرؤساء المسلمين ازاء الملحدين والكفار ولا يقول ان الاولين قتلوا رجما بالحجارة والآخرين الزمـوا باتباع الدين الاسلامي ، وقال أيضا عنه انه نسـي السيرة الوحشية للاتراك نحو نصـارى البلقـان واليونانيين والحروب بين تركيا وروسيا وبين تركيا وايطاليا مما لا يدع حجة للمدافعيـن عن القـرءان وانسانية الدين الاسلامي ...

والكذب فى هذا الكلام يكاد يفوح نتنه من بين الفاظه ، فليس فى تشريع الاسلام كما هو معروف ولا قال قائل ان اي ملحد رجم بالحجارة فى تاريـخ الاسلام الطويل ولا أن الكفار الزموا بالاسلام فى بلد من البلدان . ولو حصل ذلك لما كانت هنـاك الآن اندلس مسيحية وقد حكم المسلمون الاندلس ثمانية قرون فلم ينقل عنهم انهم الزموا النصارى فيها باعتناق الاسلام ، على العكس مما فعل هؤلاء لما تغلبوا على المسلمين فى مملكة غرناطة ، فبعد العهود والمواثيق التي اخذها المسلمون عليهم باحتـرام عقيدتهـم وحريتهم الدينية ، خاسوا بالعهد والزموهم بالتنصر ولم يكتفوا بذلك بل اقاموا لهم محاكـم تفتيـش تتجسس عليهم فى حياتهم البيتية ، فاذا وجـدوا واحدا منهم يغتسل او يعطل العمل يوم الجمعة وما اشبه ذلك اخذوه أخذ جبار منتقم واحرقوه حيـا والتاريخ العام شاهد بذلك .

نعم ولو حصل ضغط من المسلمين على النصارى بترك دينهم والتزام دين الاسلام لما كانت دول البلقان اليوم ولا اليونان نصرانية وقد كان للخلفاء العثمانيين اليد الطولى عليهم . ويقال ان احد خلفائهم هم بفرض اعتناق الاسلام على شعوب البلقان فمنعهمن ذلك شيخ الاسلام قائلا ان ذلك لا يجوز شرعا .

ونعم مرة اخرى فان ذلك لو حصل فى ظرف من الظروف قديما او حدث لما كان هناك نصـارى العرب الذين شهدوا قيام الدعوة الاسلامية ووفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وناظروه، ولما الزمهم الحجة فى صحة دين الاسلام وبطـلان المسيحية ، رجعوا الى قومهم وقبلوا اداء الجزية اي الدخول فى حكم الدولة الاسلامية والبقاء على دينهم، وهم اليوم اعظم الاقليات فى الدنيا تمتعا بالحقـوق المدنية والسياسية .ولهم مصالح اكثر من مصالـح المسلمين سواء فى مصر وسوريا بالمدلول الواسع والعراق وغيرها . ناهيك انهم فى لبنان بيدهم زمام الحكم وهم اقلية بالنسبة للمسلمين .

هذه هي السيرة الوحشية التي يتحدث عنهـا رحماتوف ويقول ان الاتراك عاملوا بها النصارى فى البلقان واليونان فهل يستطيع ان ياتينا بنظير لها فى تاريخ الحكم الروسي للبلاد الاسلامية التي استولوا عليها غصبا وقسرا فى عهد القياصرة وعهـد الثورة الشيوعيـــة ؟ ... !

واحب أن أذكر هنا كلمة تناسـب الموضـوع تتعلق بفترة السيطرة الشيوعية على شعوب آسيـا الوسطى المسلمة . فقد كنا فى زيارة رسمية للاتحاد السوفياتي وكان رئيس الادارة الدينية ونحن فى قصر الكرملين يطلعنا على مخلفات الزعيم لينين فى الجناح الذي كان ينزله من القصر ومنها رسالة وجهها الى فلندا بمنحها الاستقلال . فقال لنا انه فى مقابل هذه الرسالة وجه لشعب اوزبيكستان نسخة المصحف العثماني هدية ! فقلت له : يا ليته عكس ! فقـال لي كيف ؟ قلت : لو كان ارسل المصحف العثمانـي الى الفلنديين ورسالة الاستقلال الى أوزبيكستان فقـال لي : ان الفلنديين مسيحيون فماذا يفعلون بالمصحف؟ قلت وانا اضحك : يقراونه ويسلمون ! فنظر الي نظرة ذات معنى وضحك هو ايضا ! ...

ودلالة هذه الكلمة فى الموضوع واضحـة لا تحتاج الى تعبير . أما كلام المؤلف على الحـروب الروسية والايطالية مع تركيا فلا ندري ما دعاه اليه. هل كان يجب على تركيا أن تقف مكتوفة الايدي وهي ترى روسيا القيصرية توسع نفوذها فى التركستان والبلاد الاسلامية المجاورة ، وايطاليا تبسط نفوذها على ليبيا ، ليشهد لنا بأن الاسلام دين انساني ؟

عبـد الله كنـــون

منهجية التعليم في الاسلام

للاستاذ محمد المنوني

تسير المنهجية التعليمية في الاسلام ، جنبا الى جنب مع الحاجة الملحة في ميدان التثقيف او التصنيع ، فهي تجاري مقومات حياة المؤمن في دينه ، وتتجاوب مع تطلعاته في دنياه ، فتحثه على الاخذ من العلوم دون تحديد مهما كانت المادة نافعة، كما توجهه الى الاشتغال بالصناعات التي يتوقف عليها كيان مجتمعه ، وترتقي هذه الدعوة في بعض الحالات، الى درجة الفرضية والالزام الشمولي لكافة المعتنقين للدين ، وفي حالات اخرى تخاطب بهذه الحتمية التعليمية مجموعات من المؤمنين ، دون ان يكون الطلب يتوجه لجميعهم حسب مفهوم «فرض الكفاية»، وهو الاتجاه الذي يحلله المربون المسلمون وعلى راسهم الامام الغزالي ، حيث يقرر في بعض هذه الكفائيات ما يلي (1) :

« ... اما فرض الكفاية ، فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا ، كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان ، وكالحساب فانه ضروري في المعاملات ، وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما ، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد ، واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين » .

وهنا يضيف المصدر ذاته مزيدا من التوضيح والتعميق لهذا الاتجاه : « فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات ، فان اصول الصناعات – ايضا – من فروض الكفايات ، كالفلاحة والحياكة والسياسة (2) ، بل الحجامة والخياطة ..»

ومرة اخرى يشير نفس المؤلف (3) الى اهمية التعادل في الاشتغال بالعلوم الكفائية ، تفاديا من التضخم في مادة ، مقابل الفراغ المطلق في مادة اخرى : « ... فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من اهل الذمة ، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ، ثم لا نرى احدا يشتغل به، ويتهاترون على علم الفقه . لا سيما الخلافيات والجدليات ، والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع ... » .

والغزالي بعد هذا وذاك ، يعلن ان الاسلام يفتح الباب في وجه المتعلم لياخذ من جميع العلوم المحمودة ، وهكذا يقول (4) وهو يعدد آداب المتعلم : « الوظيفة الخامسة : ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ، ولا نوعا من انواعه ، الا وينظر فيه نظرا يطلع على مقصده وغايته ، ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه ، والا اشتغل بالاهم منه واستوفاه،

---

(1) « احياء علوم الدين » ، المطبعة العثمانية المصرية ، ج 1 ص 15 .

(2) يصنف الغزالي اعمال الناس وحرفهم وصناعاتهم في ثلاثة اقسام : احدها : اصول لاقوام للعالم دونها ، وهي اربعة : الزراعة ، والحياكة والبناء والسياسة، حسب «احياء علوم الدين»،ج 1 ص12.

(3) « المصدر » ، ج 1 ص 19 .

(4) « المصدر » ج 1 ص 46 .

وتطرف من البقية ، فان العلوم متعاونة ، وبعضهـــا مرتبط ببعض ، ويستفيد منه ــ في الحال ــ الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله ، فان الناس أعداء ما جهلـــوا ... » .

* * *

وبهذه الحرية في تعاطي العلـــوم ، نبـغ بين المسلمين افراد جمعوا الى الثقافة الاصيلة ، تضلعهم في عديد من مواد المعارف الكونية ، وهي ظاهـــرة طبعت التعليم الاسلامي ايام الازدهار ، ثم استمرت منها ــ حتى العصور الاخيرة ــ بقية نتخير منها بعض النماذج لتجلية ذلك الاستمرار .

انطلاقا من الشيخ احمد الدمنهـوري شيـــخ الجامع الازهر ، والمتوفى عام 1192 هـ / 1778 م، فالى جانب المــــواد الشرعية وملحقاتهـــا ، درس العميد الازهري على أساتذة مختصين ، علوم الحساب واجبر والمقابلة والارتماطيقي ، وحساب الــدرج والدقائق ، وحساب الازياج ، والهندسة والمساحـــة والتكسير ، والهيئة والفلك والتعديل والتقويـــم ، وعلم المزاول ، والاعمال الرصديـــة ، والتاريـــخ الطبيعي والطـــب (5) .

ويشيد الشيخ حسن العطار العالم الازهري(6) بمزايا العلوم الحديثة المعربة في عصره : « ... وقد عربت كتب في زماننا من كتب الفرنجة ، وفيها أعمال كثيرة ، وافعال دقيقة ، اطلعنا على بعضها ، وقـــد استخرجت تلك الاعمال بواسطة الاصول الهندسية والعلوم الطبيعية ، وفي تلك الكتب تكلم القـــوم في الصناعات الحربية ، والالات النارية ، ومهدوا فيها قواعد واصولا ، حتى صار ذلك علما مستقلا ذا فروع كثيرة ، ومن سمت به همته الى الاطلاع على غرائب المؤلفات ، ظهرت له حقائق كثيرة من دقائق العلوم ، وتنزهت فكرته ــ ان كانت سليمــــة ــ في ريـــاض الفهـــوم ... » .

ومن فقرة الشيخ حسن العطار المفكر المصري، ننتقل الى المغرب لنلتقي مع الامام محمد بن علـــي السنوسي ، المتوفى عـــام 1276 هـ / 1859 م ، والمتخرج من القرويين بفاس ، وقد قرا على احـــد اساتذتها من العلوم الرياضية والفلكية ، نفس المواد التي درسها الامام الدمنهوري (7) ، حيـــث رأينـــا تعدادها وشيكا كاحدى النماذج من معطيات هـــذه الحرية التعليمية المنوه بها .

وقد كان من معطيات هذه الحرية التعليميـــة مرة اخرى ، نبوغ اعلام ــ مسلميـــن أو عاشوا في ظل الاسلام ــ يتقنون لغة ثانية او عدة لغات الى جانب العربية ، فابن وحشية الكلداني المتوفى عام 296 هـ/ 909 م ، على جانب من المعرفة بالخطوط القديمة ، والف في هذا الاتجاه « شوق المستهام . في معرفة رموز الاقلام » ، في رسالة منشورة بنصها العربي ، ومعها ترجمتها الى الانجليزية (8) .

ثم لمع بعده اسم ابن التلميذ البغدادي المتوفى عام 560 هـ / 1165 م ، وكان عارفـــا بالفارسيـــة واليونانية والسريانية ، متضلعا بالعربيـــة ، وفي الوقت نفسه يدير البيمارستان العضدي ببغداد (9) .

وثالثا : الوجيه ابن الدهان الواسطي ، المتوفى ــ ببغداد ــ عام 612 هـ / 1215 م ، وهو يحسن عدة لغات من الفارسية والتركية والحبشية والرومية والارمنية والزنجية ، وكان يدرس النحو في المدرسة

(5) « مناهج الالباب المصرية . في مباهج الاداب العصرية » ، تأليف رفاعة بك رافع الطهطـــاوي ، دار الطباعة المصرية ، 1286 هـ ، ص 248 ــ 249 ، وانظر عن ترجمة الدمنهوري « عجائـــب الاثار » للجبرتي ، الطبعة المصرية الاولى ، ج 2 ص 25 ــ 27 .

(6) في حاشيته على شرح المحلي لجمع الجوامع السبكي ، المطبعة العلمية بمصر ، ج 2 ص 461 ، وانظر عن ترجمة العطار الزركلي في الاعلام ، ج 2 ص 236 .

(7) تفاصيل المواد المشار لها عند الامير شكيب ارسلان في « تعاليق حاضر العالم الاسلامـــي » ، نشر دار الفكر ، المجلد الاول : الجزء الثاني ، ص 401 ، وترجمة السنوسي عنـــد الزركلـــي في « الاعلام » ، ج 7 ص 192 .

(8) أوردها سركيس في « معجمه » ع 281 ، وترجمة مؤلفها في « معجم المؤلفين » ج 2 ص 3 2.

(9) « معجم الادباء » لياقوت ، مطبعة دار المامون ج19 ص 276 ، عند ترجمة المعني بالامر .

النظامية ، فاذا قرا عليه اعجمي واستغلق عليه المعنى بالعربية ، فهمه اياه على لسانه (10) .

وفى الغرب الاسلامي كان التحدث باللاتينية شائعا فى الاندلس خلال القرن الهجري الخامس ، حتى ليستغرب ابن حزم من بعض السكان فى شمالي قرطبة انهم لا يحسنون التكلم بهذه اللغة (11).

وفى المائة الهجرية السابعة والتي بعدها ، كان عدد من العلماء الاندلسيين ، يتقنون لغة جيرانهم المسيحيين ، امثال القشتاليين والاراجونيين (12) .

ويثبت ابو حيان – ضمن لائحة مؤلفاته – ست رسائل وضعها فى التعريف باللغات التركية والفارسية والحبشية واليخمورية (13) .

وقد ساهم المغرب الكبير – بدوره – فى الترجمة الى العربية ، فى معربات لا يزال البعض منها بقيد الوجود (14) .

* * *

تلك نظرة مقتضبة ، تبينا منها هدي الاسلام واهتداء المسلمين ، فى الاشتغال بالثقافة الاسلامية على مستوى الفرض الكفائي ، او فى نطاق التوسع فى المعارف النافعة ، ويصل بنا المطاف – بعد هذا – الى تبريز منهجية الاسلام، فى تحديد التعليم الالزامي الذي يطالب به الجميع ، وهو ما يشرحه الامام ابن حزم فى هذه الفقرة :

« ان كل مسلم عاقل بالغ من ذكر او انثى ، حر او عبد ، يلزمه الطهارة والصلاة والصيام فرضا بلا خلاف من احد من المسلمين ، وتلزم الطهارة والصلاة المرضى والاصحاء .

---

(10) « المصدر » ج 17 ص 59 – 60 خلال ترجمة المنوه به .

(11) « جمهرة أنساب العرب » ، نشر دار المعارف بمصر ، ص 443 .

(12) انظر التفاصيل فى « مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والاندلس » ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ص 99 : تعليق رقم 2 .

(13) اورد المقري النص الكامل لاجازة ابي حيان للصفدي ، حسب « نفح الطيب » ، المطبعة الازهرية ، ج 1 ص 597 – 599 ، وفيها يعدد مؤلفاته حيث يرد من بينها الكتب التالية :
ا – كتاب الادراك . للسان الاتراك .
ب – زهو الملك . فى نحو الترك .
ج – كتاب الافعال . فى لسان الترك .
د – منطق الخرس . فى لسان الفرس .
هـ – (رجز) نور الفبش . فى لسان الحبش
و – المخبور . فى لسان اليخمور .
وهذا الاخير مع سابقه يذكرهما ابو حيان ضمن مؤلفاته التي لم يكمل تصنيفها ، واذا استثنينا المؤلف الاول ، فان الخمسة الباقية لا تزال غير معروفة .
اما كتاب « الادراك للسان الاتراك » ، فمنه مصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، مأخوذة عن مخطوطة جامعة استانبول ، وقد طبع فى الاستانة من سنة 1309 هـ باسم « الادراك فى لسان الاتراك » ، ثم قامت بتحليله الدكتورة خديجة عبد الرزاق الحديثي ، فى دراستها عن ابي حيان ، نشر مكتبة النهضة فى بغداد ص 176 – 184 .

(14) انظر التفاصيل عند محمد المنوني فى الاوضاع التالية :
— « العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين » ، مطبعة دار المغرب ، ص 99 – 101 .
— « ظاهرة تعريبية فى المغرب السعدي» ،مجلة دعوة الحق،السنة العاشرة،العدد 3 ص 74–91
— « مظاهر يقظة المغرب الحديث » ، مطبعة الامنية بالرباط ، ج 1 ص 144 – 157 .
— « ملامح تطور المغرب العربي فى بدايات العصور الحديثة » ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج 51 ج 4 .
وانظر – أيضا – عثمان الكعاك : « مراكز الثقافة فى المغرب ... » ، المطبعة الكمالية بالقاهرة ، ص 98 – 99 .

ففرض على كل من ذكرنا أن يعرف فرائـــض صلاته وصيامه وطهارته ، وكيف يؤدي كل ذلك .

وكذلك يلزم كل من ذكرنا أن يعرف ما يحل له ويحرم من المآكل والمشارب والملابس ، والفروج والدماء والاقوال والاعمال .

فهذا كله لا يسع جهله احدا من الناس : ذكورهم واناثهم ، احرارهم وعبيدهم وامائهم ، وفرض عليهم ان ياخذوا فى تعلم ذلك من حين يبلغون الحلم وهم مسلمون ، او من حين يسلمون بعد بلوغهم الحلم » .

وابن حزم يجعل الدولة مطالبة بالسهـــر على تحقيق هذا القدر من التعليم ، مدعوة الى نصـــب العلماء لتعليم الناس : « ويجبر الامام ازواج النساء وسادات الارقاء على تعليمهم ما ذكرنا ، اما بانفسهم، واما بالاباحة لهم لقاء من يعلمهم .

وفرض على الامام ان ياخذ الناس بذلك ، وان يرتب أقواما لتعليم الجهال » .

والى جانب هذا الحد المشترك من التثقيف الاجباري ، يوجد تعليم الزامي خاص بطبقات معينة من المجتمعات الاسلامية ، وهو ما يعقب به مؤلفنا كمـــا يلـــي :

« ثم فرض على كل ذي مال تعلم حكم ما يلزمه من الزكاة ، وسواء الرجال والنســـاء ، والعبيـــد والاحرار ، فمن لم يكن له مال أصلا فليس تعلم أحكام الزكاة عليه فرضا .

ثم من لزمه فرض الحج ففرض عليه تعلم أعمال الحج والعمرة ، ولا يلزم ذلك من لا صحة لجسمـــه ولا مال لـــه .

ثم فرض على قواد العساكر معرفة السيـــر وأحكام الجهاد وقسم الغنائم والفيء .

ثم فرض على الامراء والقضـــاة تعلم الاحكـــام والاقضية والحدود ، وليس تعلم ذلك فرضـــا على غيرهـــم .

ثم فرض على التجار وكل من يبيع غلته تعلـــم احكام البيوع وما يحل منها وما يحرم ، وليس ذلك فرضا على من لا يبيع ولا يشتري » .

والى هنا فان ابن حزم عرض المنهج الاسلامي، بالنسبة الى الحد الادنى من الثقافة الاجبارية التي يطالب بها الجميع ، ثم ما هو مفروض على طبقـــات معينـــة .

ويتساءل – بعد هذا – هل هناك تثقيف اجباري معمق،وفى هذا الصدد يقرر المصدر ذاته ، انهيجبانلا يخلو مجتمع من مجتمعات المؤمنين – من المدينـة الى حلل الارياف – عن افراد يقلـــون او يكثـــرون بحسب الحاجة ، لينتدبوا الى طلب العلوم الشرعية وملحقاتها ، حتى يتضلعوا فى اصولها وفروعهـــا ، فيتأهلوا – بعد تحصيلهم – للقيام بالتعليم أو الفتيا ، وربما للولايات ، وهذا ما يقرره ابن حـــزم بهـــذه الفقـــرات :

« ثم فرض على كل جماعة مجتمعة فى قرية أو مدينة او دسكرة – وهي المجـــرة عندنا – أو حلة اعراب او حصن ، ان ينتدب منهم – لطلب جميـــع احكام الديانة أولها عنءاخرها ، ولتعلم القرءان كله ، ولكتابة كل ما صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) من احاديث الاحكام اولها عن ءاخرهـــا ، وضبطهـــا بنصوص الفاظها ، وضبط كل ما أجمع المسلمـــون عليه وما اختلفوا فيه – من يقوم بتعليمهم وتفقيههـــم من القرءان والحديث والاجماع .

ويكتفي بذلك على قدر قلتهم او كثرتهـــم ... بحسب ما يقدر ان يعمهم بالتعليـــم ولا يشـــق على المستفتي قصده ، فاذا انتدب لذلك من يقوم بمـــا ذكرنا فقد سقط عن باقيهم ... ولا يحل للمفقه ان يقتصر على آراء الرجال دون ما ذكرنا ...

وفرض على جميع المسلمين ، ان يكون – فى كل قرية او مدينة او حصن – من يحفظ القـــرءان كله ، ويعلمه الناس ويقرئه اياهم ، لامر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقراءته » .

ويعمد ابن حزم – بعد هذا – الى تفصيل المواد الالزامية لكل دارس يندب نفسه للتفقه ، وهو يقول فى هذا الاتجاه : « واما المنتصبون لطلب الفقـــه – وهم النافرون للتفقه ، الحاملون لفرض النفار عـــن جماعتهم ، المتأهبون لنذارة قومهم ، ولتعليم المتعلم، وفتيا المستفتي ، وربما للحكم بين الناس – ففرض عليهم تقصي علوم الديانة على حسب طاقتهم : مـــن احكام القرءان ، وحديث النبي صلى الله عليه وءاله

وسلم ، ورتب النقل ، وصفات النقلة ، ومعرفـــة المسند الصحيح مما عداه من مرسل وضعيف ، هذا فرضـــه اللازم .

فان زاد الى ذلك معرفة الاجماع والاختلاف ، ومن اين قال كل قائل ، وكيف يرد اقاويل المختلفين المتنازعين الى الكتاب والسنة ـ فحسن .

وفرض عليه تعلم كيفية البراهين التي يتميـز بها الحق من الباطل ، وكيف يعمل فيمـا ظاهـره التعارض من النصوص .

وكل هذا منصوص في القرءان ، قال تعالى : « ليتفقهوا فى الدين » ، فهذا ايجاب لتعلم احكـام القرءان ، واحكام اوامر النبي صلى الله عليه وءالـه وسلم ، لان هذين اصل الدين ... » .

وبعد هذه الفقرة ، لا ينسى المؤلف ان يلفت انتباه المتفقه الى العمل على تحصيل المواد الملحقة، فيشير الى وجوب معرفة الناسخ من المنسوخ ، ثم يضيف قائـلا :

« ففرض على الفقيه ان يكون عالمـا بلسـان العرب ، ليفهم عن الله عز وجل ، وعن النبي صلى الله عليه وءاله وسلـم .

ويكون عالما بالنحو الذي هـو ترتيب العـرب لكلامهم ، الذي به نزل القرءان ، وبه يفهم معانـي الكـلام .

وفرض على الفقيه ان يكون عالما بسير النبي صلى الله عليه وءاله وسلم ، ليعلم ءاخـر اوامـره واولها ، وحربه ـ عليه السلام ـ لمن حارب ، وسلمه لمن سالم ، وليعرف على ماذا حارب ، ولماذا وضع الحرب ، وحرم الدم بعد تحليله ، واحكامه ـ عليه السلام ـ التي حكم بها ... » .

* * *

وسيكون هذا التوجيه لدراسة السيرة النبوية، ءاخر الفقرات التي نقتبسها من كتاب « الاحكام فى اصول الاحكام (15) » ، على ان نعقب عليها بفقـرة اخرى يقول فيها ابن حزم وهو يفتتـح مسائـل « المحلى (16) » : « اول ما يلزم كل احد ولا يصح الاسلام الا به ، ان يعلم المرء بقلبه علم يقين واخلاص، لا يكون لشيء من الشك فيه اثر ، وينطق بلسانـه ـ ولا بد ـ بان لا الاه الا الله ، وان محمدا رســول اللـه ... » .

وبهذا وذاك : فان العالم الظاهري قد خطط فى كتابيه ـ معا ـ لمنهجية الاسلام فى التعليم الالزامي، حيث يتوزع بين ثلاث حالات :

ـ تعليم اجباري للقدر المشترك الذي يطالـب بـه الجميـع .
ـ تعليم اجباري خاص بطبقات معينـة .
ـ تعليم اجباري معمق لتوعية نخب من المتعلمين.

* * *

ومن الجدير بالملاحظة : ان المواد التي يعرضها ابن حزم على مستوى الدراسات المعمقـة ، تعادل ـ فى مجموعها ـ مفهوم الثقافة الاسلامية بالاستعمال الحاضر ، وفى الوقت نفسه تبدد التفسير الخاطىء للتعليم الاسلامي ، بحصر مدلوله فى تلقين الشعائر من عقائد وصلاة وصيام وما الى ذلك .

كما أن تبريز الكتاب والسنة فى المواد المنوه بها ، يدل ـ دلالة واضحة ـ على مدى اهتمام المنهج الاسلامي بالرجـوع الى المصـادر الاصيلـة فى الدراســات العاليـة .

ومن جهة اخرى فان شان هذه المـواد ، ان تجعل من الدارسين لها اعلاما يفهمون الاسلام فهمـا دقيقا صحيحا ، وهي ـ على العموم ـ كانت قـوام الحلقات التعليمية فى عصور الاسلام المزدهرة ، هذه الحلقات التي يعود اليها الفضل فى تخريج قطاعـات الشريعة ، وتكوين الاطارات العليـا فى ميادين التدريس والافتاء والقضاء .

* * *

وبعد : فان عرض ابن حزم تمكن الافادة منه فى التخطيطات المعاصرة لمناهج التعليـم الاسلامـي الجامعـي ، وعلى مستويات المراحل الابتدائيـة والثانوية ، وعلى مستويات الكليات والمعاهد العليا ذوات الاختصاصات الاخرى .

الرباط : محمد المنوني

---

(15) مطبعة العاصمة بالقاهرة ، ص 689 ـ 693.
(16) مطبعة النهضـة بمصر ج 1 ص 2 ـ 3 .

الاسلام والنصر:

الإعداد المعنوي للجهاد

درس في بناء الرجال من الرسول القائد

اللواء الركن محمود شيت خطاب

— 1 —

كفايات النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة متعددة الجوانب ، وكل صنف من أصناف الناس يستطيع أن يتخذ منه قدوة حسنة تفيده في حاضره ومستقبله ، اذ يمكن ان يجد فيه كفاية خاصة تكون مثالا رائعا يحتذى بها ، لاتصالها اتصالا مباشرا بحياة ذلك الصنف من الناس .

وبالطبع فان النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤيدا من الله سبحانه وتعالى ، وكان لهذا التأييد الالهي أثر حاسم في نجاحه بشيرا ونذيرا ، ومشرعا وقاضيا ، وسياسيا واداريا ، وقائدا وجنديا .

وهذا التأييد الالهي ، لا يمنع مطلقا من ان يكون لكفاياته الشخصية أثر حاسم أيضا في نجاحه ، وصدق الله العظيم : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (1) .

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة لاصحابه عليهم رضوان الله في حياته المباركة، وبقي الاسوة الحسنة لاتباعه بعد التحاقه بالرفيق الاعلى ، ولا يزال الاسوة الحسنة للمسلمين في كل زمان ومكان حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وصدق الله العظيم : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (2) .

والاسوة الحسنة تكون اقتداء بأعماله واقواله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وتلك هي كفاياته العالية الفذة انسانا سويا بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين .

— 2 —

وكما يستطيع كل صنف من أصناف الناس اقتباس ما يفيدهم من كفاياته الانسانية المتميزة في حياتهم العملية ، فان تلك الكفايات يمكن أن تكون نبراسا للناس كافة في ظروف معينة من عمر الزمن تهدي للتي هي أقوم ، وتنير الطريق للسالكين في دروب الحياة تحقيقا لاهداف باقية ومثل عليا .

والحرب اليوم هي حرب مصيرية ضد اسرائيل التي لديها مخططات توسعية استيطانية في البلاد العربية ، فما الذي يفيد العرب في حاضرهم ومستقبلهم في هذه الظروف العصيبة اقتباسا من نور كفايات الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ؟

(1) الآية الكريمة من سورة الانعام 124 .
(2) الآية الكريمة من سورة الاحزاب 21 .

لقد وجدت بالدراسة المستفيضة لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة ، أن من كفايات النبي صلى الله عليه وسلم المتميزة ، هي قابليته الفذة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب .

واستطيع ان أؤكد بكل وثوق ، بأن قابليته الفذة على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، هي من اهم الاسباب الدنيوية لنجاحه في السلم والحرب على حد سواء .

كان عليه افضل الصلاة والسلام ، يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصلة ، وكان يعرف ما يمتاز به كل صحابي من مزايا تفيد المجتمع الاسلامي الجديد ، وكان يستغل تلك المزايا لخير هذا المجتمع وللمصلحة العامة العليا للمسلمين .

وكان في الوقت نفسه يعرف ما يعاني كل صحابي من مثالب ، وكان يتغاضى عن تلك المثالب ، ويغض الطرف عنها ، ويذكر اصحابه باحسن ما فيهم ، ويامر اصحابه ايضا بالتغاضي عن المثالب ، والاشادة باحسن ما في اخوانهم تقديرا واعجابا .

وكان عليه افضل الصلاة والسلام بهذا السلوك الرائع الذي التزم به في كل حياته المباركة : يشيد بالمزايا وينتفع بها لخير المسلمين ، ويغض الطرف عن المثالب ويقومها بالحسنى ، ثم يداويها بما عرف عنه من حكمة وموعظة حسنة وتربية ابوية .

بهذه الخطة الرائعة والطريقة السليمة والاسلوب الحصيف ، يبني النبي صلى الله عليه وسلم الرجال ولا يحطمهم ، ويقوم المعوج ولا يكسره ، ويشيد للحاضر والمستقبل لا للحاضر وحده أو للساعة التي هو فيها .

لقد كان يعلم علم اليقين ، أن كل انسان يتسم بمزايا حميدة معينة ، وفي نفس الوقت يعاني من مثالب خاصة ، لان الكمال لله وحده سبحانه وتعالى. فكانت اشادته بالمزايا واشادة اصحابه بها يقوي تلك المزايا ويشد ازرها ، وكان اغضاؤه عليه أفضل الصلاة والسلام واغضاء اصحابه عن المثالب يقلل من اثرها ، ويستر عليها ، ويجعلها تتضاءل شيئا فشيئا حتى تتلاشى نهائيا أو يضعف تأثيرها — وقد تنتهي الى الابد .

وكان عليه الصلاة والسلام يدرك كل الادراك ، أن كل انسان لا بد من أن يعاني نقصا في ناحية من نواحيه الخلقية — وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه — فكان يغض الطرف عن ناحية النقص في اصحابه ، ويستفيد لمصلحة المسلمين من ناحية الكمال ، فلا يكون ذلك النقص سبة ومثلبة على صحابه ، لانه كان عليه افضل الصلاة والسلام يبرز ناحية الكمال ، فينوه بصاحبها ويذكره بها ويثني عليه أعظم الثناء .

— 3 —

كان من بين اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من امتاز بالثراء ، فافاد المسلمون من ماله ، ولم يكلفه عليه افضل الصلاة والسلام بمصاولة الصناديد والابطال .

وكان من بين أصحابه من امتاز بناحية القيادة ، فولاه قيادة الرجال في السرايا والغزوات.

وكان من بين اصحابه من امتاز بالشجاعة الفردية ولم تكن لديه قابلية قيادية ، فاستفاد منه في مبارزة الشجعان والاقران والقيام باعمال الفدائية جنديا من جنود المسلمين .

وكان من بين اصحابه من امتاز بالراي الثاقب والتفكير العميق ، فافاد عليه أفضل الصلاة والسلام من آرائه وحكمته ومشورته .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشعر المتين والبيان البليغ ، فافاد المسلمون من شعره وبيانه .

وكان ... وكان ...

سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة المكرمة في عمرة القضاء سنة سبع الهجرية الوليد بن الوليد المخزومي أخا خالد بن الوليد رضي الله عنهما قائلا : « اين خالد » ! ؟ ثم قال : « ما مثل خالد من جهل الاسلام ، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين ، لكان خيرا له ولقدمناه على غيره » .

وكتب الوليد بن الوليد بذلك الى اخيه خالد ، فكان ذلك سبب هجرته الى المدينة المنورة واعلان اسلامه .

وقدم خالد بن الوليد المدينة مهاجرا الى الله ورسوله في أول يوم من صفر سنة ثمان الهجرة .

قال خالد : « فلما طلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلمت عليه بالنبوة ، فرد عليه الصلاة والسلام بوجه طلق ، فاسلمت وشهدت شهادة الحق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد كنت ارى لك عقلا رجوت ألا يسلمك الا الى خير . وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : استغفر لي كل ما اوضعت فيه من صد عن سبيل الله ! فقال : ان الاسلام يجب (1) ما قبله . قلت : يا رسول الله ! على ذلك . قال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما اوضع فيه من صد عن سبيلك ... فو الله ، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم اسلمت يعدل بي احدا من اصحابه فيما يجزئه » (2) .

وولى النبي صلى الله عليه وسلم خالدا قيادة الرجال في الحرب بعد اسلام خالد .

وما يقال عن خالد بن الوليد ، يقال عن عمر بن العاص ايضا ، فقد ولاه قيادة الرجال في الحرب بعد اسلامه ، وقال عن خالد وعمرو حين قدما المدينة المنورة مسلمين : « القت اليكم مكة افلاذ كبدها »(3)

— 4 —

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه غنيا ، فافاد المسلمون من ثرائه : ابتاع للمسلمين مربدا (4) بعشرين الفا ، وابتاع للمسلمين بئر (رومة) (5) وجهز جيش العسرة الذي زحف من المدينة المنورة شمالا بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم لمواجهة جيش الروم في غزوة (تبوك) حتى ما يفقد هذا الجيش عقالا ولا خطاما ؛ ولم نسمع ان الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام كلف عثمان بمنازلة الاقران يوم الطعان .

وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه شاعرا مجيدا ، فاستفاد المسلمون من قابليته الشعرية ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتركه مع النساء عندما يخرج للقتال .

وكان كثير من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم يعدون من اشجع الشجعان ، ولكنهم بقوا جنودا في جيش المسلمين ولم يتولوا مناصب قيادية ، لانهم كانوا جنودا متميزين ولم يكونوا قادة متميزين .

وكان من بين اصحابه من يحسن القراءة والكتابة ، فجعلهم كتابا للوحي ومحررين لرسائله الى الملوك والامراء .

وكان من بينهم اداريون ودعاة وجباة وقضاة ، فولى كل واحد منهم ما يناسب قابلياته وكفاياته .

وقد سأله قسم من الصحابة ان يوليهم مناصب ادارية ، ، فرد الذين لا يستطيعون النهوض بهذا الواجب ، ثم ذكر القسم منهم بصراحة متناهية سبب عزوفه عن توليتهم !

عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : « دخلت انا ورجلان من بني عمي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد الرجلين : يا رسول الله ! امرنا على بعض ما ولاك الله ... وقال الآخر مثل ذلك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انا لا نولي هذا الامر احدا سأله ولا احدا حرص عليه » .

وقال ابو ذر الغفاري رضي الله عنه : « يا رسول الله ! الا تستعملني » ؟ فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده على منكبي ابي ذر ثم قال : « يا ابا ذر ! انك ضعيف ، وانها امانة ، وانها يوم القيامة خزي وندامة ، الا الذي اخذها بحقها وادى الذي عليها » .

— 5 —

وقبل حركة المسلمين لفتح مكة المكرمة حرص الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام على كتمان حركته من المدينة المنورة الى مكة المكرمة ، كما حرص على كتمان نياته العسكرية في الفتح ، حتى يباغت قريشا ويجبرها على الاستسلام دون اراقة الدماء .

---

(2) طبقات ابن سعد 4 / 52 و 7 / 394 .
(3) أسد الغابة 3 / 382 ، والاستيعاب 3 / 1034 .
(4) مربد : موضع يجعل فيه التمر لينشف .
(5) بئر رومة : بئر في عقيق المدينة المنورة وهي من ضواحي المدينة المنورة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان 2 / 4 .

ولكن حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه ، كتب رسالة الى قريش واعطاها امراة متوجهة الى مكـة المكرمة ، يخبر فيها قريشا بنيات المسلمين في حركتهم لفتـح مكـة .

وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة، فبعث علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والزبيـر بن العوام رضي الله عنه ليدركا تلك المراة التي تحمل تلك الرسالة ــ رسالة حاطب ــ وياخذاها منهـا ، فادركاها واخذ الرسالة التي كانت معها .

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم حاطبا يسأله : « ما حمله على ذلك » ! ؟ فقال حاطب : « يا رسول الله ! اما والله اني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيـرت ولا بدلت ، ولكني كنت امرأ ليس له في القوم مـن اهل ولا عشيرة ، وكان لي بين اظهرهم ولد واهل ، فصانعتهم عليه » ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « يا رسول الله ! دعني فلاضرب عنقه ، فان الرجل قد نافق » ... فقال النبي صلى الله عليـه وسلم : « اما انه قد صدقكم ، وما يدريك ؟ ! لعل الله قد اطلع على من شهد (بدرا) فقال : اعملـوا مـا شئتـم » ...

شفع لحاطب ماضيه الحافل بالجهاد ، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وامر المسلميـن أن يذكروه بافضل ما فيه .

وعاش حاطب في مجتمع الصحابة ، لا يشنع عليه احد ، ولا يذكره الناس الا بالخير ، ولا يسمعونه الا ما يشتهي ، ولا يرددون عنه الا افضل ما فيه من مزايا وخصـال .

كانوا يقولون عنه حين يرونه أو حين يذكرونه: انه بدري ، شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك فخرا .

— 6 —

وبعد فتح مكة المكرمة ، اسلم عكرمة بن ابـي جهل وحسن اسلامه ، ثم اصبح من أعاظم المجاهدين بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ، ومن اكابر قـادة الفتح الاسلامي العظيم .

وكان ابوه من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين كافة وللدين الحنيف ، وقد لاقى مصرعه في غزوة (بدر) الكبرى كما هو معروف، فمات غير مأسوف عليه ، تخلص المسلمون بموته من خصم لدود .

وكان الصحابة يذكرون ابا جهل بن هشام بمـا فيه ، فلما اسلم ابنه عكرمة وحسن اسلامه قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه عليهم رضوان الله : « عكرمة يأتيكم ، فاذا رأيتموه فلا تسبوا أباه ، فان سب الميت يؤذي الحي » (1) .

هكذا يأمر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه الكرام بالكف عن سب اعدى اعداء المسلمين اكراما لولده المسلم ، حتى لا يتأثر هذا المسلم نفسيا بسبب ابيه ، فتتعقد نفسيته ويضيق ذرعا بالمجتمع الاسلامي الذي كان يعيش بين افراده وجماعاته : له ما لهـم وعليـه ما عليهـم .

— 7 —

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف حق المعرفة كل مزايا أصحابه ، فيفيد من تلك المزايا ، ويبرزها للعيان مشجعا ، ويثني عليها أطيب الثنـاء مقدرا ، ويغض في الوقت نفسه عن نواقصه ويستر عليهـا .

وكان ذلك من اهم أسباب انتصار النبي صلى الله عليه وسلم عسكريـا وسياسيـا واجتماعيـا واقتصاديـا .

فلما التحق عليه افضل الصـلاة والسـلام بالرفيق الاعلى ، كان بين المسلمين قادة وأمراء وولاة وقضاة وعلماء وفقهاء ومحدثون قادوا الامة الاسلامية سياسيا واداريا وفكريا واقتصاديا واجتماعيـا الى المجد والسؤدد والخير ، والى طريق الحق وسبيل الرشـاد .

ذلك هو الدرس الذي يجب أن نتعلمه اليوم من سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الابطال ، امام المجاهدين وقدوة العاملين ، النبـي العربي الامي عليه افضل الصلاة وأزكى السلام .

(1) الاستيعـاب 3 / 1083 .

هذا الدرس هو : اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، وبناء الرجال لاعداد خير خلف لخير سلف .

ان العرب بخاصة ، والمسلمين بعامة مطالبون اليوم بأن يستفيدوا من طاقات كل فرد منهم ماديا ومعنويا ، فكل فرد له طاقة معينة فى ناحية من مناحي الحياة ، يمكن أن يفيد بها المجتمع الذي يعيش فيه ، وللمصلحة العامة التي يتبغي ان تكون هدفا حيويا للجميع ، يجب أن ننوه بالمزايا ونغض الطرف عن المثالب .

يجب الا نبرز المثالب ، ونغض الطرف عن المناقب .

يجب الا نخلق المثالب للناس خلقا ، ونغمط المناقب غمطا .

يجب أن نبني الرجال ولا نحطم الرجال .

ان الذين يعملون على تحطيم الرجال يخدمون اسرائيل واعداء العرب والمسلمين فى كل مكان .

ان اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب هو من اهم عوامل بناء الرجال وبناء الامم ايضا .

وصدق الشاعر :

يبني الرجال وغيره يبني القرى
شتان بين قرى وبين رجال

والسؤال الآن : كيف استطاع النبي صلى الله عليه وسلم بناء الرجال ، حتى اصبح قرنه بحق خير القرون ؟

ولماذا كان يحرص أعظم الحرص على اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب ، فيعترف الناس من حوله ، ولا يزال الناس يعترفون حتى اليوم ، أن ذلك الرجل لذلك العمل هو من اعلى المستويات بالنسبة للمتيسر فى حينه من الرجال ؟

الجواب بسيط ، هو انه كان مثالا حيا يمشي على الارض فى تطبيق اقواله على اعماله ، فيضرب بذلك للصحابة بمثاله الشخصي اروع الامثال .

لقد نسي النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فى سبيل المصلحة العليا للمسلمين ، لذلك استقطب حوله الرجال الاقوياء الامناء من ذوي الكفايات العالية قوة للمجتمع الاسلامي وامنا .

وصدق رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام: « من ولى رجلا وهو يعلم ان هناك من هو اقدر منه ، فقد برئت منه ذمة الله » .

ترى !!

هل نقتبس هذا الدرس من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لنستريح ونريح ، ام لا نزال بحاجة الى كثير من النكسات والنكبات حتى نعود الى طريق الحق والصواب ؟ !



أحاديث شاذة ومنكرة

للدكتور عبد الله بن الصديق

اذا روى الراوي حديثا خالف فيه من هو أوثق منه، أو أكثر عددا. فان كان ثقة أو صدوقا، كانت روايته شاذة. وان كان ضعيفا، كانت روايته منكرة، وكلاهما من قبيل المردود.

هذا هو المقرر فى علوم الحديث. ولكن المحدثين يخالفون ذلك عند الاستعمال، حيث يطلقون المنكر على الموضوع، وكذلك الشاذ.

وسيمر بالقارىء الكريم امثلة من هذا الاطلاق، فى الاحاديث التي نوردها، عنوانا على سائرها :

1 — روى الحاكم من طريق أبى الضحى عن ابن عباس : انه قال : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن). قال :

سبع ارضين فى كل ارض نبي كنبيكم، وآدم كآدم ونوح كنوح، وابراهيم كابراهيم، وعيسى كعيسى.

ورواه البيهقي فى الاسماء والصفات عن الحاكم، بهذا الاسناد، ثم قال : اسناد هذا عن ابن عباس صحيح، لكنه شاذ بمرة، لا اعلم لابي الضحى عليه متابعا.

وقال ابن كثير فى تاريخه : هو محمول على ان ابن عباس رضي الله عنه، أخذه عن الاسرائليات.

ومال العلامة الشيخ عبد الحي الكتوي الى اثبات معنى هذا الاثر، وانه ليس بشاذ. والف فى ذلك رسالة سماها : « زجر الناس عن انكار أثر ابن عباس ».

لكن مثل هذا لا يقبل فيه الا ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا حديث ثابت فى هذا الباب.

وذكر ابن العربي الحاتمي حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : ان الله خلق مائة الف آدم، وهذا الحديث، لا أصل له.

2 — قال ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر : حدثني اسحق بن حاتم المدائني، حدثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبي دهرس، قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى أصحابه، وهم سكوت. فقال : « ما لكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا: نتفكر فى خلق الله. قال : « فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء، نورها بياضها أو قال : بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما، بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط »، قالوا : فأين الشيطان عنهم ؟ قال : « ما يدرون خلق الشيطان ام لم يخلق ؟ » قالوا : أمن ولد آدم ؟ قال : « لا يدرون خلق آدم ام لم يخلق ؟ »

قال ابن كثير : هذا حديث مرســـل ، وهـــو منكـــر جـــدا .

وعثمان بن أبي دهرس – بوزن جعفر – ذكـره ابن أبي حاتم فقال : روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص ، وعنه سفيان بن عيينة وابن المبـــارك ويحيى بن سليم الطائفي ، سمعت أبي يقول ذلك . ج 6 ص 149 – الجرح والتعديل .

قلت : روى عنه ايضا يحيـــى بن سليمـــان . وعثمان هذا مجهول الحال ولم يذكره البخاري في التاريخ الكبير ، ولا الذهبي في المغني ولا الميزان ، ولا الحافظ في اللسان ، مع أنه على شرطهمـــا ، فيستدرك عليهما .

3 – روى احمد والترمذي وابن جرير وابـــن أبي حاتم من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما قال فرعون (آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل) قال : قال لي جبريل : لو رأيتني وقد أخذت من حال البحر – طينه الاسود – فدسســـه في فيه مخافة أن تناله الرحمة » حسنه الترمـــذي مع أن في سنده علي بن زيد . لكن له طريقا آخر عن ابن عباس صححه الترمذي أيضا وله طرق عن أبـــي هريرة وابن عمر . وقد ورد موقوفا على أبي هريـــرة وابن عباس ومتن الحديث منكر ، لوجهين :

احدهما : أن جبريل يعلم – وكل مؤمن يعلم – أن دس الطين في فم فرعون ، لا يمنع عنه رحمة الله لو أراد أن يرحمه .

والآخر : أن جبريل نزل على أم موسى بقول الله تعالى لها (أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له) وهذا خبر بأن فرعون عدو لله ولرسوله ، وخبـــر الله لا يدخله نسخ ، وعدو الله لا نصيب له في الرحمة .

فكيف يقول جبريل : دسست الطين في فمـه مخافة أن تناله الرحمة ؟

هذا من الباطل الذي لا يحصل من جبريل عليه الســـلام .

فتبين أنه موقوف ، وأنه أخذ عن الاسرائيليات.

وهذه الآية ، ترد قول من زعم أن فرعون قبل ايمانـــه .

وتثبت أنه مات كافرا عدوا لله ولرسوله .

واستدل ابن العربي لقبول ايمانه ، بأنه آمن في حالة اضطرار (فلما أدركه الغرق قال آمنت) والله تعالى يقول : (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) فايمان فرعون مقبول ، بمقتضى وعد الله الصادق ورحمته الواسعة . لكن الايمان غير الدعاء ، فلو أن فرعون دعا في حالة الغرق ، لأنجاه الله ، لكنـــه آمـــن ، والايمان لا يقبل في تلك الحالـــة . قال الله تعـــالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتـــى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن) .

وفي سنن الترمذي عن ابن عمر عن النبـــي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » حسنه الترمذي .

ولم ينفرد ابن العربي الحاتمي بدعوى ايمـــان فرعون ، كما يظن كثير من الناس . بل سبقه اليهـــا بعض الصوفية ، كما نقله الفقيه عبد الصمد الحنفي في تفسيره ، وهو من أهل المائة الخامســـة .

4 – قال أبو سعيد الكنجرودي في أماليه : أخبرنا الحافظ أبو الفضل نصر بن محمد بن أحمد العطار ، أنا أحمد بن الحسين بن الازهر بمصر حدثنا يوسف بن يزيد القراطيسي نا الوليد بن موسى نامنبه ابن عثمان عن عروة بن رويم عن الحسن عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب » ، فسألناه عن ثوابهـــم ؟ قال : « على الاعراف وليســوا في الجنة مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم » قلنا : وما الاعراف ؟ قـــال « حائط الجنة تجري فيه الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار » .

قال الذهبي : هذا حديث منكر جدا .

قلت : في سنده الوليد بن موسى الدمشقي ، قال الدارقطني : منكر الحديث ، ووهاه ابن حبـــان والعقيلي ، زاد العقيلي : احاديثه بواطيل ، لا أصول لها ، وليس ممن يقيم الحديث .

وقال الحاكم : روى عن عبد الرحمن بن ثابت عن ثوبان ، أحاديثه موضوعة .

ولا يقبل قول ابى حاتم فيه : صدوق الحديث ، لين ، حديثه صحيح . وأبو حاتم لم يطلع من رواياته المنكرة على ما اطلع عليه من جرحــــه .

ومن احاديثه الدالة على تجريحه ما رواه عـــن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن الحسن عن أنس مرفوعـــا :

« آجال البهائم كلها من القمـــل والبراغيـــث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها والطير وغير ذلك ، آجالها فى التسبيح فاذا انقضى تسبيحهـــا قبض الله ارواحها وليس الى ملك الموت من ذلك شـــيء » .

ذكره ابن الجوزي فى الموضوعات ، واعلـــه بالوليد بن موسى وقال الحافظ فى اللسان : هـــذا حديث منكر جدا .

5 ــ قال نعيم بن حماد : حدثنا ابن وهـــب حدثنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن ابي هلال عـــن مروان بن عثمان عن عمارة بن عامر عن أم الطفيل انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« رايت ربي فى أحسن صورة شابا موفـــرا ــ له وفرة ــ رجلاه فى خضر عليه نعلان من ذهب »

قال ابن حبان فى ترجمة عمارة بن عامر ، من الثقات : هذا حديث منكـــر .

وقال الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب عن هذا الحديث : هو متن منكر .

وقال الفقيه ابو بكر ابن الحـــداد : سمعـــت النسائي يقول : ومن مروان بن عثمان حتى يصدق على الله عز وجل ؟ !

ومروان ضعفه ابو حاتم ، وقال الحافـــظ فى الاصابة : متروك . ورواه الدارقطني فى الرؤية ، بلفظ « رايت ربي فى المنام » الحديث ، وبهذا اللفظ رواه الخطيب فى تاريخ بغداد ومن طريقه اورده ابن الجوزي فى الموضوعات .

وأعله بنعيم بن حماد ، ومروان بن عثمـــان ، وعمارة بن عامر .

وتعقبه الحافظ السيوطي بما نقله ابن عراق ، فى تنزيه الشريعة وختمه بقوله : وما كان من هذه الروايات غير مقيد بالمنام ، فينبغي أن يحمل عليه ، لتتفق الروايات ، ويزول الاشكال .

قلت : رؤية الله فى اليقظة ، لم تقع لاحد فى الدنيـــا .

والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد الله ، ليلة المعراج بقلبه ، ولم يره ببصره .

والاحاديث التي يفيد ظاهرها رؤيـــة الله فى اليقظة فى صورة شاب أمرد ، كهذا الحديث ، موضوعة قطعـــا .

واما رؤيته كذلك فى المنام ، فمنعها الصابوني من الحنفية ، والقاضي ابو يعلى من الحنابلة ، وبالغ ابن الصلاح فى انكارها .

وقال القاضي عياض فى شرح مسلـــم : لـــم يختلف فى جواز رؤية الله تعالى فى المنام ، حتى لو رؤى على صفة لا تليق ، كرؤيته فى صفة رجل ، للعلم بأن ذلك المرئي ، ليس ذاته الكريمة ، لاستحالة صفة الاجسام عليه .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : رؤيته تعالى فى المنام ، اوهام وخواطر فى القلب ، يتعالـــى الله سبحانه عنها . وهي دلالة للرائي على امور ، مما كان او سيكون ، كغيرها من الرؤيات اهـ .
وقال الغزالي فى كتاب المضنون به على غيـــر اهلـــــه :

الحق انا نطلق القول بأن الله تعالى يـــرى فى المنام ، كما نطلق القول بأن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم يرى ، لكن المرئي مثال محسوس من نور وغيره من الصور الجميلة التي تصلح أن تكون مثالا للجمال الحقيقي المعنوي الذي لا صورة له ولا لون.

ويكون ذلك المثال ، صادقا حقا ، وواسطة فى التعريـــف .

فيقول الرائي : رايت الله فى المنام ، لا بمعنى رايت ذاته .

كما يقول : رايت النبي صلى الله عليه وسلم ، لا بمعنى اني رايت ذات روحه ، أو ذات شخصه . بل بمعنى انه رأى مثاله .

قال : فان قيل : النبي صلى الله عليه وسلم ، له مثل . والله تعالى لا مثل له . قلنا : هذا جهل بالفرق بين المثل والمثال . فليس المثال عبارة عن المثل ، اذ المثل : المساوي في جميع الصفات والمثال لا يحتاج فيه الى المساواة . فان العقل ، معنى لا يماثله غيره مماثلة حقيقية . ولنا ان نضرب له الشمس مثالا ، لما بينهما من المناسبة في شيء واحد . وهو أن المحسوسات ، تنكشف بنور الشمس ، كما تنكشف المعقولات بالعقل . فهذا القدر من المناسبة ، كاف في المثال .

ويمثل في النوم السلطان بالشمس ، والوزير بالقمر . والسلطان لا يماثل الشمس بصورته ، ولا بمعناه ، ولا الوزير يماثل القمر .

الا ان السلطان له استعلاء على الكل ، ويعم أمره الجميع ، والشمس تناسبه في هذا القدر . والقمر واسطة بين الشمس والارض ، في افاضة النور ، كما أن الوزير واسطة بين السلطان والرعية ، في افاضة نور العدل ، فهذا مثال ، وليس بمثل .

وقال الله تعالى : (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الآية . ولا مماثلة بين نوره ، وبين الزجاجة والمشكاة .

وعبر النبي صلى الله عليه وسلم عن اللبن في المنام بالاسلام . والحبل بالقرآن ، واي مماثلة بين اللبن والاسلام ؟ وبين الحبل والقرءان ؟ الا في مناسبة . وهو أن الحبل يتمسك به في النجاة ، واللبن غذاء الحياة الظاهرة ، والاسلام غذاء الحياة الباطنة . فهذه كلها مثال ، وليست بمثل .

فذات الله تعالى ، وذات النبي صلى الله عليه وسلم ، لا يريان في المنام . وان مثالا يعتقده النائم ذات الله تعالى ، وذات النبي صلى الله عليه وسلم ، يجوز أن يرى . وكيف ينكر ذلك مع وجوده في المنامات ؟ فان من لم يره بنفسه ، فقد تواتر اليه عن جماعة انهم رأوا ذلك اهـ كلام الغزالي ، وهو تحقيق نفيس .

وعلى هذا ، فحديث اختصام الملأ الاعلى الذي رواه احمد والترمذي عن معاذ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي فاستثقلت فاذا انا بربي في احسن صورة فقال : يا محمد اتدري فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ قلت : لا ادري يا رب ، قالها ثلاثا . فرايته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد انامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت » الحديث صححه الترمذي ، ونقل عن شيخه البخاري انه صححه ايضا .

معناه : أن الله تعالى اراد ان يطلع نبيه على الملأ الاعلى ، وعلى ما شاء من غيبه ، بغير واسطة جبريل عليه السلام ، فتعرف اليه بهذه الصورة التي كانت آلة ادت ما أوحى الله اليه بواسطتها ، فهي مثال ، وليست بمثل .

وعالم الرؤيا ، عالم المثال . يرى فيه ما ليس بجسم ، في صورة الجسم . فيرى العلم في صورة اللبن ، والدين في صورة القميص ، والعهد في صورة الحبل ، وهكذا .

ومن اوابد ابن تيمية ، ما نقله تلميذه ابن القيم في زاد المعاد ، حيث قال : وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه في الجنة ، يذكر في سبب الذؤابة شيئا بديعا . وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة ، لما رأى رب العزة تبارك وتعالى فقال : يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ قلت : لا ادري ، فوضع يده بين كتفي .. الحديث . قال : فمن تلك الليلة ارخى الذؤابة بين كتفيه . ولم أر هذه الفائدة في اثبات الذؤابة لغيره . قلت : شهد ابن القيم بأن هذه الفائدة تفرد بها شيخه .

وقال الحافظ العراقي : لم نجد لها اصلا .

قال ابن حجر في شرح الشمائل : بل هذا من قبيح رايهما وضلالهما اذ هو بني على ما ذهبا اليه من اثبات الجهة والجسمية لله تعالى .

قال المناوي تعقيبا عليه : اما كونهما من المبتدعة فمسلم ، وأما كون هذا بخصوصه ، بناء على التجسيم ، فغير مستقيم ، وبين ذلك بما يناقش فيه .

والحقيقة في هذه الفائدة : انها من كيس ابن تيمية .

ومما يردها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرخي الذؤابة لعمامته على عادة العرب في ذلك ، وهو بمكة . ورؤيا الله تعالى ، حصلت له في

المدينة ، فى أواخر حياته ، وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية ، عمم اميرها بيده الشريفة ، وارخى لها ذؤابة .

6 ــ روى ابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقي فى الاسماء والصفات من طريق جرير عن الاعمش عن حبيب بن ابى ثابت عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عمر قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا لا تقبحوا الوجه فان الله خلق آدم على صورة الرحمن » هذا الحديث شاذ . واول بعضهم لفظ الصورة بالصفة ، قال : والمعنى ان الله خلق آدم بصفة الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام . وهي الصفات المسماة بصفات المعاني القائمة بذات الله تعالى ، وان كانت صفة آدم حادثة ، وصفة الله قديمة ، فلا شبه بينهما الا فى الاسم .

واعل ابن خزيمة هذا الحديث بثلاث علل :

احداها : ان الثوري رواه عن عطاء مرسلا ، لم يذكر ابن عمر .

ثانيتها : ان الاعمش عنعنه ، وهو مدلس .

ثالثتها : ان حبيب بن ابي ثابت لم يصرح بالسماع من عطاء ، وهو ايضا مدلس .

وقال البيهقي : يحتمل ان يكون ذكر الرحمن ، من تصرف بعض الرواة ، بحسب فهمه ، وهذا هو الصحيح .

وكذلك ما رواه ابن ابى عاصم فى كتاب السنة من طريق ابى يونس عن ابى هريرة مرفوعا : « من قاتل فليتجنب الوجه فان صورة وجه الانسان على صورة وجه الرحمن » هو ايضا حديث شاذ ، ولم يخل من تصرف الرواة ، كما يتبين مما يأتي :

ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا » الحديث . فالضمير فى صورته وطوله ، يعود على آدم جزما ، لانه محط الفائدة ، ويستفاد منه أمران :

1 ــ انالله خلق آدم رجلا كاملا سويـا ، من اول ما نفخ فيه الروح . ولم ينتقل فى النشاة احوالا، ولا تردد فى الارحام اطوارا كذريته .

2 ــ ان آدم عليه السلام ، لم يكن من فصيلة الحيوان الاعجم ، ثم ترقى الى أن صار قردا ، ثم تخطى حلقة مفقودة ، فصار انسانا .

فالحديث يرد نظرية التطور والارتقاء التي ظهر بها دارون .

على ان عالما المانيا قال : ان القرد انسان متقهقر ، وليس الانسان قردا مرتقيا ، عكس ما يقول دارون . واتخذ أدلة دارون وبراهينه ادلة وبراهين على صحة نظريته هو ، فجعل ادلة دارون حجة عليه، لا لــه .

ومن تشدد الامام احمد ، هجرانه لأبى ثور ، على تأويله لهذا الحديث . اذ أن مذهبه ابقاء الحديث على ظاهره فى اثبات الصورة لله تعالى . وتفويض معناها اليه ، مع تنزيهه عن الصورة المعهودة .

لكن غاب عنه امر ظاهر فى الاعراب ، وهو عود الضمير الى آدم ، لانه اقرب مذكور ، ولانه المقصود من سياق الحديث ، اذ المراد الاخبار بأن الله خلق آدم على صورته التي أوجده بها .

وفى صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قاتل احدكم فليتجنب الوجه فان الله خلق آدم على صورته » . الضمير فى صورته يعود على المقاتل أو المضروب .

يؤيده ما رواه البخاري فى الادب المفرد والامام احمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقولن قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فان الله خلق آدم على صورته » .

والغرض من الحديثين تكريم وجه المضروب والمشتوم ، لشبهه بوجه آدم أبى البشر عليه السلام.

واما ما رواه الطبراني فى السنة ، قال : حدثنا عبد الله بن احمد ابن حنبل ، قال : قال رجل لأبي : ان رجلا قال : خلق الله آدم على صورته أي صورة الرجل ، فقال : كذب ، هو قول الجهمية ا هـ . فهذا تزمت شديد .

وكيف يجزم بعود الضمير على الله ، مع ظهور عوده على الرجل ؟ بل لو صرح بعوده على الله كما فى بعض الروايات ، لم يجز الجزم به ،لاحتمال روايته بالمعنى ، حسب فهم الراوي .

ولهذا اعترض ابو حيان على ابن مالك في استشهاده بالاحاديث النبوية ، لبعض القواعد النحوية .

وقال : ان الحديث دخلته الرواية بالمعنى ، بحيث لا نكاد نجزم باللفظ النبوي الا في القليل النادر .

فمن الخطا الواضح : قول اسحق بن راهويه : صح ان الله خلق آدم على صورة الرحمن . وقول احمد : هو حديث صحيح .

وقول ابن قتيبة : صورة لا كالصور .

قال ابن حزم في الفصل : وكذلك القول في الحديث الثابت : خلق الله آدم على صورته . فهذه اضافة ملك ، يريد الصورة التي تخيرها الله سبحانه ليكون آدم مصورا عليها . وكل فاضل في طبقته ، فانه ينسب الى الله عز وجل . كما تقول بيت الله عن الكعبة ، والبيوت كلها بيوت الله ، لكن لا يطلق عليها هذا الاسم ، كما يطلق على المسجد الحرام . وكما تقول في جبريل وعيسى روح الله ، والارواح كلها لله .

وكالقول في ناقة صالح : ناقة الله ، والنوق كلها لله عز وجل .

فعلى هذا قيل : على صورة الرحمن ، والصور كلها لله تعالى ا هـ .

وسبقه ابن خزيمة الى تاويل اضافة الصورة لله ، على انها اضافة خلق ، وعاب من حملها على الصفة ، ووصفه بعدم تحري العلم .

واما الحديث الذي رواه ابن ابي عاصم في كتاب السنة من طريق ابي يونس عن ابي هريرة مرفوعا « من قاتل فليجتنب الوجه فان صورة وجه الانسان على صورة وجه الرحمن » . فهو حديث شاذ ، لم يأت في الصحيحين .

ومنكر المعنى ، لانه يشبه وجه الانسان بوجه الرحمن ، وهو تشبيه صريح ، لا يحتمل تأويلا ، فهو مردود لا محالة .

7 — روى ابو داود والترمذي وابن ماجة من طريق سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب ، قال : كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمرت سحابة . فنظر اليها فقال : « ما تسمون هذه ؟ » قالوا : السحاب ، قال : « والمزن ؟ » قالوا : والمزن ، قال « والعنان ؟ » قالوا والعنان . قال : « هل تدرون بعد ما بين السماء والارض ؟ » قالوا : لا ندري . قال : « ان بعد ما بينهما اما واحدة او اثنتان او ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك ، حتى عد سبع سموات ثم من فوق السابعة بحرين اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهم العرش ما بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك » .

قال الترمذي : حديث حسن غريب ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، وسلمه الذهبي .

واجهد نفسه ابن القيم في تقويته ، في شرحه لمختصر سنن ابي داود ، لافادته فوقية الله على العرش ، وهو يعتقدها كشيخه .

وهذا الحديث ، يعرف بحديث الاوعال ، وهو ليس بصحيح ولا حسن .

وقد كنت كتبت وانا بمصر جزءا في بطلانه ونكارته ، واخذه مني بعض كبار العلماء بالازهر ، وبقي عنده حتى مات ، ولم اتوصل به .

ويمكن تلخيص ذلك الجزء في النقاط الآتية :

1 — أن هذا الحديث تفرد به سماك ، وهو وان كان من رجال مسلم ، فقد ضعفه شعبة والثوري وابن المبارك ، وقال احمد : مضطرب الحديث ، وقال النسائي : كان ربما لقن ، فاذا انفرد باصل لم يكن حجة ، لانه كان يلقن فيتلقن ، وهذا مما انفرد به .

2 — أن سماكا اضطرب فيه ، فرواه مرة كما هنا ، ورواه مرة عن عبد الله بن عميرة عن العباس ، باسقاط الاحنف . وقال مرة : عن عبد الله بن عميرة عن زوج درة بنت ابي لهب .. ورواه مرة مرفوعا ، واخرى موقوفا على العباس .

3 ـ ان عبد الله بن عميرة بفتح العيـــن ، قال الذهبي : فيه جهالة . وقال ابراهيم الحربـــي : لا أعرفه ، وقال مسلم فى الوحدات : تفرد سمـــاك بالرواية عنه ، وذكره ابن مندة فى الصحابة فاخطأ وبين خطاه أبو نعيم .

4 ـ قال البخاري : لا يعلم لعبد الله بن عميرة سماع من الاحنف ، وعلى هذا فالاسناد منقطع .

5 ـ ان الحديث يفيد أن حملة العرش اليوم ، ثمانية . والقرآن يفيد انهم ثمانية يـوم القيامـــة . قال الله تعالى : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئـذ ثمانيـــة) .

روى ابن جرير فى تفسيره ، عن ابن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحمله اليوم اربعة ويوم القيامة ثمانية » .

وروى ايضا عن ابن اسحق ، قال : بلغنـــا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هم اليوم اربعة ـ يعني حملة العرش ـ واذا كان يوم القيامـــة ايدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية » .

6 ـ مخالفة الحديث للقرءان ، يقول الله تعالى (الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث وربـــاع) ، فافاد ان الملائكة ذوو اجنحة ، وكذلك جاء فى السنة الصحيحة وهذا الحديث أفاد أن حملة العــرش مــن ذوات الاظلاف ، وهذه نكارة ظاهرة .

7 ـ ذم الله المشركين الذين وصفوا الملائكة بانهم اناث . قال الله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون) .

وهذا الحديث جعل حملة العرش وهم الملائكـة المقربون ، اوعالا ذوي اظلاف وقرون ، وهي نكارة ظاهـــرة .

8 ـ ان الوعول جمع وعل ، والوعل هو التيس الجبلي والذكر من المعز ، والتيس مذمـــوم عنـد العرب ، قال الشاعر العربي :

وشر منيحـــة تيس معـار

وقالوا : احمق من ناطح الصخرة أي الوعل .

وفى صحيح مسلم عن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كلما نفرنا غازين فى سبيل الله تخلف أحدكم ينب نبيب التيس » وذلك انه اتى برجل زنى ، فأمر برجمه ، وذكر الحديث . (نب التيس بتشديد الباء صاح عند السفاد) .

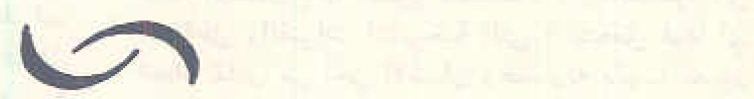
وفى سنن ابن ماجة باسناد حسن عن عقبة بن عامر : ان رسول الله صلى الله عليه وسلـــم قال : « الا اخبركم بالتيس المستعار ؟ هو المحلل » .

فكيف يكون حملة العرش المقربون ، على صورة تيوس ؟ ! هذه نكارة ظاهرة .

ولذا قال ابن العربي فى عارضة الاحوذي :

ان خبر الاوعال متلقف من الاسرائيليات ا هـ. وما قاله صحيح ، والله تعالى أعلم .

طنجة : عبد الله بن الصديق



من أجل مفهوم إسلامي للثقافة

للأستاذ أحمد تسوكي

لم تكن الثقافة فى يوم من الايام تحتـــاج الى تعريف لها ، لان الناس كانوا يسعون الى الثقافة ولم يكن يدور فى خلدهم انهم يحتاجون الى هذا التعريف للثقافة ، واصنافها وضروبها واتجاهاتها ، وهل هم فى حاجة الى خلق أو بعث ثقافة وطنية خاصة بهـم أم يتعين عليهم ان يوسعوا من رقعة مفهومهم للثقافة وانتاجهم لها يشمل العالم بأجناسه ولغاته وأديانه ... حتى جاء العصر الحديث فبدأ الحديث عن ضرورة تعريف الثقافة : ما هي ؟ !

وقد يكون سبب ذلك أن الناس احسوا ــ فيما بينهم ــ أنهم يتمايزون عن بعضهم البعض ، وهــذا التمايز ــ ايا كان ــ لا بد ان تكون له آثاره وانعكاساته ومعطياته على الفكر وعلى العقل والوجدان والضمير ، لان وجود الانسان فى الارض لا يتسع لشؤون المادة والعيش فحسب وانما يتجاوزها الى شؤون اخـرى هي أسمى وأرفع ــ ومهما حاولوا ان يقاربوا بيــن مذاهبهم ومشاربهم فى القول والعمل فقد وجــدوا انفسهم اخيرا انهم يتمايزون بميزات معينة لا بد لهم ان يحددوها وان يضعوا لها قسماتها وان يضعوها فى اطارها الخاص من الناحية التاريخية والاجتماعيـــة حتى يكون لهم كيان قائم بذاته بين الكيانات ويكون لهم موقف قائم بذاته بين مختلف المواقف التـــي يقراون عنها أو يسمعون ويتاثرون بها أو يؤثرون فيها ، الى غير ذلك من عمليات التبادل والتفاعل والالتقاء أو الاختلاف بين أمة وأخرى .

وبعد تعريف الثقافة ، وجد هؤلاء الذين طرحوا تعريفاتهم للثقافة ــ وهي تعريفات لم يتفــق عليهـــا اجماع بعد ــ أن الانسان تتعدد ثقافاته مثلما تتعدد الالوان فى اللوحة أو المنظر الواحد ، ولذلك اطلقوا على هذه الثقافات اسم الحضـــارة الانسانيـــة لان الحضارة هي محصلة ابداع الانسان وانجازاتـــه فى الفكر والعمل ، ولاحظ هؤلاء أن الثقافة لا تسير دائما حتى فى البلد الواحد على نمط واحد وعلى وتيـــرة واحدة ، وانها لا تتم دفعة واحدة بل على مراحل ، وأن فى امكان جيل واحد ان يصنع ثقافة معينـــة تسهم فى تقدم الانسان والحضارة ، وقــد تنعكس الآية فلا تستطيع ان تسهم فى تقــدم الانســان والحضارة وانما قد تعود بهما معا الى الوراء . وفى التاريخ قرائن ودلائل على وجود هذه الظاهرة ، فقد أمسكت أجيال معينة عن الاسهام ولو بنصيب ضئيل فى تقدم الانسان وحضارتـــه على الارض ، واطلقوا على المراحل والفترات التاريخية التي ترقى فيهـــا ثقافة الانسان بانها عصور ذهبيـــة ، واطلقــوا على المراحل والفترات التاريخية التي لا يتحقق فيها اي انجاز ثقافي من اجل الانسان وحضارته بانهـا عصور الانحطاط والاضمحلال .

وعود على بدء ، الثقافة ــ كما يقول الدكتـــور طه حسين ليست هي العلم فحســب ولا الادب ولا الفن الجميل وحده وانما هي مجموع هذه الاشياء ، ووفق تعريف طه حسين للثقافة ــ وهو فى الاصل

تعريف مستمد من الثقافة الفرنسية ــ فان عصرا من العصور التي عاشها أو يعيشها الانسان اذا لم تقدم فيها العلوم والفنون الجميلة والآداب شيئا جديدا ، فان هذا العصر قد يسقط من الحساب وتسقط ثقافته بالتالي فلا يصبح شيئا مذكورا في ذاكرة الاجيال .

وينطوي هذا التعريف للثقافة ــ اذا صح أنه تعريف للثقافة ــ ان نحن حاولنا تطبيقه على بعض مراحل الحضارات الانسانية وعصورها على جانب خطير جدا لا يتفق مع التفكير العلمي ولا يقدم لنا شيئا ذا قيمة ونحن في محاولة لتفسير وتحليل ودراسة الانتاج العلمي والادبي والفني الذي أنتجه الانسان في هذه المنطقة أو تلك ... اذ أننا سوف نجد انفسنا امام عمل يفصل ثقافات الانسان فصلا تاما ويضع بينها الحدود والحواجز ، وسيحتاج الانسان الى تذليل عدد من الصعاب حتى يتمكن من تخطي الحدود والحواجز :

فلو اننا نظرنا الى العصر الاغريقي الذي ازدهرت فيه الفلسفة وارتفعت قيمة العقل وساد النظر والفكر وجدناه لا يتعدى في نشاطه وحيويته هذا الاطار الضيق من اطر الثقافة ، وينتج عن ذلك اننا لو استثنينا آثار سقراط وافلاطون وارسطو وهوميروس وبعض كتاب الادب المسرحي واعمال بعض الفنانين الذين امحت أسماؤهم وغير هؤلاء ، وجدنا العلوم التطبيقية لدى الاغريق لا وجود لها باستثناء بعض البصمات التي تذروها الرياح ...

فهل نسلم بثقافة اليونان القديمة وما انتهت اليه أم نرفضها كليا لانها لم تحقق من مفهوم الثقافة الا جانبا منه ؟ وهل نحكم على هذه الثقافة بأنها ثقافة اقليمية أم انها ثقافة عالمية ؟

لقد أعلت الحضارة الاغريقية من قيمة العقل وشأنه ودعت الى ممارسته والنظر الى ظواهر النفس والحياة والكون وفق مقاييسه واحكامه ، ولكن اي عقل كانت الفلسفة الاغريقية تدعو الى اعماله في الفكر والنظر الى ظواهر النفس والحياة والكون ؟

هل هو العقل الاغريقي بعينه ؟

هل هو عقل شرق البحر الابيض المتوسط ؟

أم هو العقل البشري اطلاقا ؟

فاذا سلمنا بالفرض الاول ، تساءلنا : لماذا انقرض هذا العقل ولماذا تلاشت قوته من الوجود ، وما هي أسباب هذا الانقراض والتلاشي ، واذا عرفنا هذه الاسباب ، هل نعود فنطبقها على كل حالة من الحالات التي تشابه « الحالة الاغريقية » ؟

أما اذا سلمنا بالفرض الثاني ، فيترتب على ذلك اننا يجب أن نسلم ايضا بجهوية واقليمية الحضارات الانسانية كلها وبدون استثناء ، ولكن هذا لا تدعمه الشواهد والقرائن لاننا نعرف جميعا ان الفكر الاسلامي استفاد كثيرا من الفكر الاغريقي وتكفل بترجمته وتعديله وقدمه الى الفكر الاوربي في العصور الوسطى ، وحين تلقته أوروبا تمثلت هذا الفكر تمثلا جيدا مع ما اضافه المفكرون المسلمون اليه .

بقي لدينا فرض واحد هو أن العقل الاغريقي وانجازاته هي جزء من حضارة الانسان بدون تمييز ... فهل نأخذ بهذا الراي ؟ واذا كان الامر كذلك ، فما هو موقع الحضارة العربية الاسلامية من خريطة الحضارة الانسانية ؟ ولماذا ولاي غرض يدعي بعض المفكرين واشباه المفكرين ــ من الشرق ومن الغرب على حد سواء ــ أن الثقافة الاسلامية ثقافة اقليمية جهوية ؟ وعندما يريدون أن يؤرخوا للحضارة الانسانية ومراحلها المتعددة يغفلون اسهاماتها العلمية والادبية والفنية ويسقطون من حسابهم كل اضافة جديدة قدمتها الحضارة الاسلامية الزاهية الى حضارة الانسان في مجموع أطرها وعناصرها ؟

و ... لا بد أننا محتاجون جدا الى نظرية اسلامية متكاملة عن الثقافة بمفهومها الشامل ، ليست لاننا نعيش في عزلة عن الآخرين لا نأخذ منهم ولا نعطي لهم ، وليس لاننا نحب أن نضع لانفسنا مفهوما للثقافة يتنافى ويتناقض مع المفاهيم المطروحة التي تقوم على أساس من العقل والعلم والموضوعية والوضوح ... ولكن لسبب واحد وهو أننا أمة بدأت ثقافتها وبنت حضارتها من القرءان الكريم وهو كتاب الله عز وجل ومن الحديث والسنة ، وهذه هي منابع ثقافتنا ، وهي التي شكلت حضارتنا وثقافتنا الخاصة ، ومن هذه المنابع العظيمة تخلقت الخلايا الحية التي افرزت أعلامنا الكبار في الحديث والفقه والشعر والآداب والفنون والعلوم مصطبغا كل ذلك بصبغة تختلف تماما عن اي صبغة أخرى في اي بلد آخر .

ومما يحفزني على ابداء هـــذه الحاجـــة ، أن ثقافتنا الاسلامية تعرضت لاشر مـــن الهجمـــات والحملات التي لم تقو على فصم أو هدم ذلك النسيج الحي الذي تتشكل منه الثقافة الاسلامية ، فقد جاء الصليبيون ثم المغول والتتار والاستعمار الانجليزي والفرنسي والايطالي . واخيرا الاستعمار الجديد ، وكلهم حاولوا أن يلغوا الثقافة الاسلامية من الوجود الحضاري للانسان ، وانقضوا على هـــذه الثقافـــة انقضاض السبع على فريسته ولكنهم اخفقوا جميعا فى ذلك المسعى الدنيء اخفاقا شنيعا ، وبعثت الثقافة الاسلامية من جديد وهي اشد وهجا ولمعانا وبريقـا ونصاعة ووضوحا وشبابا وقـــوة على الاستمـــرار والحياة ، وخرج الخصوم والاعداء من بلاد الاسلام وهم اشد شعورا بالخزي والعار حين دخولهم اليها، لانهم بكل ما ملكت ايديهم من أسلحة الفتك والدمار وأجهزة ومعدات غسل الدماغ ، لم يستطيعـــوا أن يمسوا الثقافة الاسلامية بالاذى الذي كانوا يقصدون ويهدفون اليه ، وكما كانوا يخططون لذلك جهرة حينا وعلانية احيانا اخرى لمدى وحقب طويلة وبعيدة من الزمـــن .

ومن هنا ترتب على ذلك بأن الثقافة الاسلامية التي عاشت أربعة عشر قرنا وامتدت اشعاعاتها مـــن جنوب شرقي آسيا وشمالها حتى شمال غربي افريقيا عرضا هي ثقافة عالمية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، وهذا ليس دفاعا عن هذه الثقافة ــ فهـــي ليست فى حاجة الى دفاع ــ ولكنه مدخل الى صياغة مفهوم لا نستطيع أن نقول عنه من الآن انه ينبغي ان يكون مقدمة نحو دعوة الى وضع مفهوم اسلامـــي للثقافة الاسلامية مفهوما خالصا لانه لا يوجد مفهوم خالص لاي شيء فى هذا العصر ــ شأنه شأن حضارة الانسان نفسها ــ بل ينبغي أن يلتقي فى اكثر مـــن نقطة وحد مع بقية المفاهيم الثقافية المطروحة عن الحضارات الانسانية ، دون أن نفرط فيما تفرضـــه علينا ــ عبر اربعة عشر قرنا ــ معطيات ثقافة أصيلة اخذت الشيء الكثير ولكنها أعطت ما يفوق الـــذي اخذته ، واثرت واسهمت فى تقدم وتطور الانسان ماديا وذهنيا ووجدانيا وعقليا واخلاقيا ، وكانت لـــه فى وقت من الاوقات الضوء الوحيد الذي استضاء به الانسان فى أحلك الليالي والدليل الذي استرشد به فى اعقد الطرق والمصباح الذي استنار به فى اشد الظروف ظلمة وقتامة وسوادا . . .

ولا شك اننا نحاول الآن ان نضع انفسنـــا فى قفص من الزجاج نتفرج منه على ما يجري من خلال رؤية يكتنفها الضباب ، كما ان الآخرين يحاولـــون ــ وهم فى نفس الوضع ــ ان يخترقوا الزجاج الذي يعتم ويضبب رؤيتهم الينا ، وقد ساهمنا فى الدفاع عن الثقافة الوطنية ربما بقدر يفي بالكفايـــة المرجوة وان كانت بعض الجوانب منها لا زالت مهملة لم تمتد اليها ايدينا وعيوننا وعقولنا معا ، وان كانـــت قـــد امتدت اليها فلا زال البحث فيها يشكو من قصـــور بين . . . أقول ان الحاجة الآن ماسة ــ بعد ان وضعنا مفهوما للثقافة الوطنية ــ أن ننتقل الى مرحلة سوف تستغرق منا الجهد الكثير والوقت الطويل ايضا من اجل ان نضع فيها مفهوما خاصا واصيـــلا للثقافـــة الاسلامية التي تعتبر ميراث أمة تشترك معنا ونشترك معها فى أكثر من حد من حدود المصلحة والمنفعة الروحية والمادية والتاريخية سواء على صعيد الحاضر الراهن لهذه الامة أو على صعيد المستقبل المرتقب لهـــا .

فهـــل نفعـــل ؟!

الربـــاط : احمد تسوكـــي



دراسات مغربيّة

* من اعلام الاندلس (11)
* الشاعر محمد بن موسى (5)
* علم التوثيق فى المغرب والاندلس

القاضي أبو بكر بن العربي (468 - 543هـ)

للأستاذ سعيد أعراب

آثـــــاره :

مما يدخل فى التعريف بابن العربي ـ الحديث عن آثاره ، ومؤلفاته ، وقد خلف ثروة علمية ضخمة، ولكن ـ باللاسف ـ قد ضاع معظم هذا التراث ، وما بقى ، اكثره لم ير النور بعد (1) .

ويمكن تصنيف مؤلفاته كما يلي :

ا ـ فى التفسير وعلوم القرءان :

قسم ابن العربي علوم القرءان الى اربعة اقسام:

التوحيد ـ الناسخ والمنسوخ ـ الاحكام ـ التذكير (2) . وفسر كل واحد منها على حدة ، ولعل كتابه الكبير :

1 ـ (انوار الفجر ، فى مجالس الذكر (3))ـ استوفى كل هذه الانواع . وقد الفه فى عشرين سنة، وهو يقع فى ثمانين مجلدا ، فى كل مجلد الف ورقة (4) ، (اي مائة الف وستين الف صفحة). املاه فى مجالسه العامة (5) التي كان يعقدها للتذكير والوعظ ، فكان كلما فرغ من مقدار منه ، تناوله تلاميذه واصحابه وتناسخوه ، فتفرق بايدي الناس (6) .

وابن العربي توسع فى هذا الكتاب ، وافاض فى كثير من ابحاثه وموضوعاته ، الى حد انه املى فى آية « الهاكم التكاثر » مائة وثمانين مجلسا (7) .

واستوفى القول فى آية « ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا » فى عدة مجالس (8) .

(1) والذي نشر من مؤلفاته لحد الآن ـ ثلاثة كتب :
ـــ الاحكام ، طبعه سلطان المغرب المولى عبد الحفيظ فى مجلدين سنة 1331 هـ / 1913 م ، ثم نشر فى اربعة مجلدات بتحقيق البجاوي .
ـــ وعارضة الاحوذي بشرح صحيح الترمذي ، لم تذكر له طبعة ولا تاريخ .
ـــ والعواصم من القواصم ، طبع بالجزائر سنة (1347 هـ) ونشر القسم الثاني منه بتحقيق محب الدين الخطيب ـ بالقاهرة سنة1371 هـ ، وبجدة سنة 1387 هـ .

(2) انظر الاحكام 2 / 342 .

(3) وسماه فى ايضاح المكنون (الفجر المنير فى التفسير) 2 /179 .

(4) ذكر ذلك فى « القبس » ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ك 1916 .

(5) انظر سراج المهتدين (مخطوط خاص) .

(6) انظر مقدمة العواصم من القواصم لمحب الدين الخطيب ص 27 .

(7) انظر الاحكام 2 / 333 .

(8) انظر العارضة 12 / 105 و ج 13 / 93 .

وتحدث طويلا عن آية « يا أيها النـــاس ، انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكـــم شعوبـــا وقبائل لتعارفوا (9) » .

— وبسط آية « او جاءوكم حصرت صدورهم » بسطا كبيرا — فى نحو مائة ورقة (10) .

— وتعرض لآية « والذين آمنوا اشد حبا لله » — من ستة وجـــوه (11) .

— ومن الموضوعات التي أفاض القـــول فيهـــا خصائصه — ص — ومعجزاته ، وانهاهـــا الى الف معجزة (12) .

وظل كتاب « انوار الفجر » موجودا بالمكتبات المغربية الى حدود اوائل القرن الثامن الهجري (13)؛ ويذكر الشيخ يوسف الحزام المغربي ، انه رآه فى خزانة السلطان ابي عنان المريني بمدينة مـــراكش ، وكان يخدم السلطان فى حزم كتبه ورفعها ، عـــد اسفاره ، فبلغت ثمانين سفرا (14) .

ويذهب ابو العباس الصومعي فى كتابه «اخبار ابي يعزى (15) » الى ان كتاب «انوار الفجر»قد تلف فى حياة مؤلفه ، وتابعه على ذلك ، ابو العباس بـــن عجيبة فى تفسيره الكبير على الفاتحة (16) . — بينما الكوثري عندما تحدث فى مقالاته — عن انوار الفجر قال : (والمعروف انه موجود ببلادنا — يعني تركيا — الا انى لم اظفر به ، مع طول بحثي عنـــه (17)) . وتذكر فهارس الاسكوريال ، والقرويين ، ان هنـــاك بعض اجزاء من تفسير القاضي ابى بكر بن العربي ، ولم يمكني — الى الآن — الاطلاع عليها ، وعسى الايام تكشف عن هذا الكنز الثمين .

2 — صنوه (قانون التاويل) ، املاه سنـــة (531 هـ (18)) ، وقد اخطات عين الزمان بعـــض نسخه ، والكتاب فريد فى بابه ، مهد لـــه مؤلفـــه بمقدمة طويلة ، لخص فيها رحلته الى بلاد المشرق التي اسماها « ترتيب الرحلة ، للترغيب فى الملة » ويبدو انها ضاعت منه (19) ، فأراد ان يثبت خلاصتها فى صدر هذا الكتاب .

ويذكر من الدواعي التي دفعته الى تأليفه ، ان بعض الذين كانوا يسمعون عنه فى مجالس « انوار الفجر » نكتا تتصل بموضوع قانـــون التاويـــل فى القرءان ، الحوا عليه فى تأليف كتاب فى هذا الباب، فاعتذر اليهم فما أعذروه : (... ان مما صرفـــت اليه رغبته ، واستمرت عليه عزيمته ، فى تحريـــر مجموع فى علوم القرءان ، يكون مفتاحا للبيان، ويشير الى الممكن من قانون فى التاويل لعلوم التنزيـــل ، يرشد المبتدي الى ضالة الطلاب ، ويفتح على المنتهى ما ارتج من الابواب (20) ...) .

ومن المصادر التي اعتمدها :

تفسير الثعالبي ، تلخيصه للطرطوشي ، كتاب الماوردي ، مختصر الطبري ، كتاب ابن فـــورك ،

---

(9) العـــارضـــــة 13 / 93 .
(10) انظـــر الاحكـــام 1 / 195 .
(11) انظر سراج المهتدين (مخطوط خاص) .
(12) انظر قانون التاويل ص 76 .
(13) انظر الديباج المذهب لابن فرحون ص 283 .
(14) نفـــس المصـــدر .
(15) مخطـــوط خـــاص .
(16) مخطـــوط خـــاص .
(17) انظر مقالات الكوثري ص 402 .
(18) انظـــر العـــارضـــة 11 / 49 .
(19) انظر قانون التاويل (مخطوط خاص) ص 2 .
(20) نفـــس المصـــدر .

كتاب النقاش ، كتاب « المحيط » لعبد الجبـــار ، تفسير الرماني ــ الى مصادر أخرى عامة وخاصة(21).

والمؤلف بنى كتابه « قانون التاويـــل » على اساسين اثنين ، هما :

1 ــ معرفة النفس « وفى انفسكم ، افـلا تبصـــرون (22) » .

2 ــ معرفة الرب « ومن عرف نفسه ، عرف ربـــه (23) » .

وهنا يورد آية « الله نور السماوات والارض ». الى « لم تمسسه نار » ــ كنموذج تطبيقي فى الموضوع، فيذكر أنها آية كريمة ، وعلى مرتبة من العلم عظيمة ، ضربها الله مثلا للعلم والايمان ، كما ضرب للجهـل والكفر مثلا ما بعدها فى قوله : « او كظلمات فى بحر لجي » الى « فما له من نور (24) » .

وبعد أن يحلل الآيتين تحليلا دقيقا ، ويضرب لذلك الامثال ؛ ــ ياتي بما يعضده من شواهد السنة والآثار ، ويزيد المعنى وضوحا وجلاء ؛ ومع كل هذا، فهو لا يكتفي من القارىء بتلك الصبابة التي ربمـا لا تروي غلته ، بل يحيله على ذلك البحر الطامي، الذي لا تعرف حدوده ، ولا تدرك اعماقه : (وقد مهدنا لكم فى سبيل هذه الآية ــ فى املاء (انوار الفجر) ــ ما تستدلون به على أساليب كثيرة من الكلام فى علوم القرءان ، ووراء هذا وجوه من التأويل فى الظاهـــر ومعاني الباطن ، هذا وسط منهـــا فى الحاليـــن ؛ فخذوا هذا دستورا ، واتخذوه قانونا (25)) .

ثم يذكر اقسام النفس الثلاثـــة : الامـــارة ، اللوامة ، المطمئنة (26) ، ويشرح وظيفة كل منها، وما قد يحدث بين النفس والجسد من المنازعات (27) ، ويشير الى الآيات الواردة فى النفـــس والقلـــب والجوارح ، ويذكر وجوها من التأويل (28) ؛ وهنـا يهاجم الفلاسفة والصوفية فى تعريفاتهم للـــروح ، وكلاهما يحلق على مذهب الحلولية ، الذي يلتقي مع مذهب النصارى فى اعتقادهم فى عيسى (29) .

ويعجب ابن العربي من الغزالي الذي حكـى هذا القول ، وشاركهم الراي بأن الروح حادث يفنى كما يفنى الجسد (30) . وهو الى ذلك لا يشاطـر استاذه القول بأن الروح جوهـــر ، بل المختـــار ــ عنده ــ انه عرض لا جوهـــر ، ووصـــف غيـــر موصـــوف (31) .

ثم يدخل الى صميم الموضوع ، فيفصل القول فى علوم القرءان وانواعها ، ومختلف ضروبها (32) ؛ فيذكر فى ذلك عدة تقسيمات ، منها انقسامــــه الى علم ظاهر ، وعلم باطن ، ويبادر الى القول بأن هـــذا العلم ــ اعني علم الباطن ــ قد ضلت فيه أمم ، وزلت به اقدام (33) ، وفى هذا الصدد ، يذكر ان بعض اصحابه ــ من السالكين ــ سأله عن الحكمة فى قوله تعالى : « وان يمسسك الله بضر ، فلا كاشف له الا هو ، وأن يردك بخير فلا راد لفضله » ، فاضـــاف الضر الى المس ، والخير الى الارادة ؛ فاجابه جوابا

(21) قانـــون التاويـــل ص 18 .
(22) قانـــون التاويـــل ص 21 .
(23) قانـــون التاويـــل ص 26 .
(24) قانـــون التاويـــل ص 32 .
(25) قانـــون التاويـــل ص 35 .
(26) قانـــون التاويـــل ص 40 .
(27) قانـــون التأويـــل ص 46 ــ 47 .
(28) قانـــون التأويـــل ص 48 ــ 49 .
(29) قانـــون التأويـــل 50 ــ 51 .
(30) نفـــس المصـــدر .
(31) نفس المصدر ص 51 ــ 52 .
(32) نفس المصدر ص 54 ــ 55 .
(33) نفس المصدر ص 64 .

صافيا ، واطال فى شرح ذلك (34) ؛ وتحدث ابن العربي عن التفسير الاشاري للصوفية ، وينوه بكتاب اللطائف والاشارات للقشيري — على ما فيه من تمحل لبعض مقاصد الصوفية (35) .

ومما يدخل فى الباطن — علم الحروف المتقطعة فى أوائل السور ، ولابن العربي تفسير حسن فى هذا الباب . ويرى أن لو كان الامر مما ينال بالاجتهاد ، ويجري الظن ، لقال فيه بقول من قال : انها اشارة الى تعجيز العرب (36) ؛ ثم يذكر دور الاجتهاد فى علوم القرءان (37) ، ويقسم العلوم الى ضرورية ونظرية ، وما فيه تكليف ، وما ليس فيه تكليف ، وما يكتفي فيه بالظن ، وما لا بد فيه من القطع الجازم؛ وما دليله العقل ، وما لا سبيل الى معرفته الا بالنقل الشرعي ، او اللغوي (38) .

ومن العلم النظري ، معرفة الله وصفاته وافعاله ، والمعاد ، واحوال الآخرة ، وهذا مما يبحث فى أصول الدين ؛ ومن العلم العملي ما يتصل بأحوال المكلفين ، فيرجع فيه الى أصول الفقه (39) .

والانسب — فى نظر ابن العربي — ان تقسم علوم القرءان الى ثلاثة أقسام : توحيد ، تذكير ، احكام (40) ، — وهو الذي اشار عليه فى أكثر كتبه .

3 — ثم هناك منبع آخر ثر ، يحيلنا عليه المؤلف كثيرا فى باب التأويل ، وهو كتاب المشكلين — يعني مشكل القرءان ، ومشكل السنة ؛ وهذا الكتاب لم يقدر لنا ان نقف عليه ، ولا يزال فى ذمة التاريخ .

ولم يفت ابن العربي ان ينبهنا الى اهمية كتاب ابن فورك (مشكل القرءان) ، الذي رجع اليه كثيرا فى هذا الباب ، ويقول لم يؤلف مثله (41) ، على أنه يحذرنا من كتاب الرماني الذي الفه فى الموضوع ، ويرى انه مبتدع ، لا تجوز قراءة كتبه (42) .

اما ما يتصل بالقسم الاول من علوم القرءان — وهو التوحيد ، فزيادة على البحوث المستفيضة التي نجدها فى الكتابين : (أنوار الفجر) و (قانون التاويل) ؛ فقد الف ابن العربي فى الموضوع عدة مؤلفات ، منها :

4 — (الامد الاقصى، فى أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى) (43) ، والكتاب ادخل فى علم التوحيد ، منه فى موضوع الاذكار ، وقد قال الشافعي : ان جميع القرءان شرح لاسماء الله الحسنى ، وصفاته العلى (44) ؛ ويحدثنا ابن العربي فى هذا الصدد — ومن عادته أن يستطرد للحديث عن رحلته الى بلاد المشرق الموطن الاول لهذه الثقافات التي عاش لها ابن العربي — فيقول : (... فقد كنت متشوقا الى قرع باب العلم بربي ، متشوقا الى مطالعة حضرته ، وما فيها من عجائب المعارف وفنون المعلومات ؛ فوفق بفضله ، الى سواء سبيله ، ويسر العثور على دليله ، وميز جملة العلم من تفصيله ... فكان افضل ما انتدبت اليه ، وعقدت العزم عليه ؛ التعرف بالله تعالى ، والتفسير لاسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ؛ فنظمت فيها شتيت تعليقي ، وصدعت بتبيانها وعاء تحقيقي ؛ وجلوت نكتا طالما شددت اليها الحزام ، وطبعت

(34) نفس المصدر ص 65 — 66 .
(35) نفس المصدر ص 71 .
(36) نفس المصدر ص 72 .
(37) نفس المصدر .
(38) نفس المصدر ص 73 — 74 .
(39) نفس المصدر ص 78 — 80 .
(40) نفس المصدر 81 .
(41) قانون التاويل ص 70 .
(42) نفس المصدر .
(43) توجد نسخة منه بالخزانة الملكية كاملة ، تحت رقم 2872 ، وبالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم ك 2670 — مبتور الاخير .
(44) انظر البرهان 1 / .

عليها الختام .... وقد سبق الى هـذا المعنى جماعة من المتقدمين ، فجاءوا مستأخرين ومستقدمين ؛ ومنهم من اوعب فأطنب ، ومنهم من هذب وقرب ، وما استولى على المرغوب ، ولا قرطس المطلوب ؛ الا بعض اشياخي ، فانه جمع فيه كتابا صغير الحجم ، استوعب فيه جملا عظيمة ، واشار الى امور بديعة ، هتك بها حجاب الاخفاء ، وقام فيها بواجب الاحتفاء ؛ وعلى كثرة ما جمعنا فيها، واوثقنا من مبانيها ، وانخنا لمعانيها ؛ فانا على منواله تنسج ، وفى سبيله نستنهج ؛ وربما اقتحم فيها – على سيرته – امورا لا تطاق ، وجاء بالفاظ يضيق عنها النطاق ؛ سنفاوض منها فيما امكن ، ونعرض عما استبهم ؛ – احتشاما لجنابه الرفيع ، واغتناما لبيانه البديع (45) ...) .

وقد بناه على اربعة اقطاب :

1 – فى اسماء الله – تعالى – على الجملة والتفصيل، وذكر مواردها ، واختلاف الروايات فيها .

2 – فى ذكر سوابق وفواتح لا بد من تقديمها ، بيانا لما عسى أن ينبهم من اغراضه .

3 – فى شرح معانيها ، وايضاح مقتضاها .

4 – فى ذكر متممات ...

وكل قطب من هذه الاقطاب الاربعة ، يشتمل على فصول واصول ، وتمهيدات وفروع ، وتقسيمات ...

ويجمل الخطوط العريضة للمنهج الذي سار عليه فيقول : (... انتقينا من كلام العلماء كل غريبة ، واوردنا كل بديعة ، وعقبناه من الاجتهاد ، ما نتضرع الى الله فى ان يقرنه بالسداد ، سالكين سبل الاستيفاء ، ما يمكن به الوفاء ، مع ايعاب ، فى خالص اللباب ، واختصار لا يخل بالمراد ، واقتصار على اهم والاقتصاد (46) ...) .

5 – ومن اهم مؤلفاته – فى موضوع التوحيد – (المتوسط (47)) ، ضمنه خمسة ابواب :

— باب العلم بالله وصفاته ، ووجه النظر اليه بمقدماته .

— النظر فى خلق الاعمال وما يتصل به .

— القول فى النبوات ، وما يتبعها من ذكر المعجزات والكرامات ...

— ذكر السمعيات التي لا سبيل الى معرفتها الا بالشرع .

— القول فى التفضيل والخلافة، وما الى ذلك(48)

6 – ووضع على هذه العقيدة شرحا اسماه (المقسط فى شرح المتوسط (49)) .

7 – وتذكر له بعض المصادر (التوسط فى معرفة صحة الاعتقاد ، والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والالحاد (50)) .

وله مؤلفات اخرى نحى فيها منحى المتكلمين ، ارجات الحديث عنها الى موضوع علم الكلام .

8 – والف ابن العربي فى القسم الثاني من علوم القرءان كتاب (الناسخ والمنسوخ فى

(45) انظر مخطوط الخزانة الملكية رقم 2872 .
(46) المخطوط السالف الذكر .
(47) توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 2963 .
(48) وجاء فى آخر النسخة (نجزت العقيدة بحمد الله وعونه فى جمادى الاولى سنة (600 هـ) .
(49) ذكره فى قانون التأويل ص 23 .
(50) كذا جاء فى كشف الظنون 1 / 336 ، وسماه عباس بن ابراهيم فى الاعلام 4 / 96 (المتوسط فى معرفة صحة الاعتقاد ، والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والالحاد) ، وربما كانا اسمين لمسمى واحد .

القرءان (51) ، وهو مختصــر فى غاية التحريــر والاتقان ، اعتمده الزركشي فى (البرهان) ، ونــوه به الحافظ السيوطي فى (الاتقــان) ؛ وجــاء فى خاتمة الكتاب : (... انتهى الحاضر فى الخاطر ، من القسم الثاني فى علوم القرءان — وهو الناســخ والمنسوخ — مختصر الالفاظ ، موعــب المعانــي ، منتزعا من ابوي الاهــوال ، مخترعــا من كثــرة الاوهـــــال (52) ...) .

تحدث فى مقدمة الكتاب عن النسخ ما هو ؟ وهل هو جائز ام لا ؟ ثم عن شروطه واقسامه ؛ وبعد هذا يشرع فى شرح ما ورد فى القرءان من النسخ ، مرتبا ذلك حسب سور القرءان ؛ وقد مهد لذلــك بالحديث عن المكي والمدني ، ثم اول ما نزل ، ثــم تعداد آي السـرور ، وما دخله النسخ منها وما لا(53)

ومن الموضوعات التي اجاد القول فيها — وهي من مبتكراته — ما هو من قبيل المخصوص ، ويذكره المفسرون فى جملة أقسام المنسوخ ؛ مثل قولــه تعالى : « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذيــن آمنـــوا » .

« والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذيــن آمنـــــوا » .

« فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بأمره » .

— الى غير ذلك من الآيات ، التي خصصت باستثناء او غاية ؛ واخطا من ادخلها فى المنسوخ ؛

ومن غريب النسخ ، ما اشار اليه من ان آيــة « يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم ، لا يضركم مــن ضل اذا اهتديتم » .

فآخرها (اذا اهتديتم) يعني بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر — ناسخ لاولها (عليكم أنفسكم) ، ولا نظير لها فى القرءان (54) .

وان آية « فاذا انسخ الاشهر الحرم ، فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » — ناسخة لمائة واربع عشرة آية ، ثم صار آخرها ناسخا لاولها — وهــو قوله تعالى : « فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم (55) » . واغرب من ذلك ، ما ذكره فى آية : « خذ العفو وامر بالعرف ، واعــرض عن الجاهلين » كان اولها (خذ العفــو) ، وآخرهــا (واعرض عن الجاهلين) — منســوخ ، ووسطهــا محكم — وهو (وامر بالعرف (56)) .

9 — والف فى القسم الثالث من علوم القرءان — وهو الاحكام — كتابه احكام القرءان — (الكبرى) ، وهو من الكتب القلائل فى هذا الباب .

منهجـــــــه :

وطريقته : ان يذكر سورة القرءان وما فيها من آيات الاحكام ، فيشرحها ويذكر ما فيها من مسائل ، وهو يعتمد على اللغة ، وعلى الحديث ، وعلى ما كان من افعال النبي — ص — وصحابتــه ، مستعينــا بقواعد اصول الفقه التي هي أعظم الطرق لاستثمار الاحكـــام .

وهو الى ذلك — يوازن بين المذاهب ، ويؤيد رايه بالحجة والمنطق السليم ، ينتصر لمذهب مالك فى كثير من الاحيان ، ويدافع عنه تارة بالتصريح ، واخرى بالتلويح ، وربما قسا على بعض المذاهــب وهاجمها بعنف ، ولا يجد غضاضة فى ان يقول لمالك — وهو مذهبه وامامه — انه ليس هناك ، وينصف الذين خالفــوه .

وهو شديد النفرة من الاحاديــث الضعيفــة ينتقدها ، ويحذر أصحابه منها (57) ؛ ويبتعد — مـا

(51) توجد نسخة منه عتيقة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 2024 .
(52) المخطــوط المذكــور .
(53) انظــر الاتقــان 2 / 22 .
(54) المخطوط المذكور ، وانظر الاتقان 2 / 24 .
(55) نفــس المصــدر .
(56) نفــس المصـــدر .
(57) الاحكام ج 1 / 141 ، وانظر التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي 3 / 122 .

وسعه ذلك ــ عن الخوض فى الاسرائيليات ، التي تورط فيها كثير من المفسرين (58) .

وجاء فى بعض النسخ ان المؤلف ، فرغ من تأليف الاحكام سنة ثلاث وخمسمائة ، ولعل الصواب سنة ثلاثين وخمسمائة (530 هـ) (59) .

10 ــ وقد اختصره فى مجلد ، ويعرف بالاحكام الصغرى (60) .

11 ــ والف فى القسم الرابع من علوم القرءان ــ وهو علم التذكر ــ (سراج المريدين) (61) .

قال تعالى : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

وقد تناول فيه آيات الوعد والوعيد ، والجنة والنار ، وحكايات الصالحين ، وسنن المهتدين ...

وهو يميل فى أسلوبه الى السجع والتقنية فى كثير من الاحيان ، وهذا نموذج منه :

(كيف تكون داعيا ، وانت فى المعاصي ساعيا ، ام كيف تكون مضطرا ، وانت للمخالفات ، وهتك الحرمات مختارا ، أم كيف تكون مظلوما وانت قد ظلمت ، فان اجبت فى غيرك ، اجيب فيك غيرك ، فالله اولى بالكل ، « يدبر الامر من السماء الى الارض » .

وعلامته : العاقبة الجميلة لك ، والحالة الحسنة فيك ــ ان تكون ــ أبدا ــ مستجيرا بالله من نفسك وغيرك ، مستغفرا له من ذنبك ، مجتنبا لحقوق الخلق لا يتعلق بك ، والله الموفق برحمته (62) » .

ولعل ابن عطاء الله ، تاثر به فى حكمه ، على ان ابن العربي ، اعتمد كثيرا كتاب (التحيير ، فى علم التذكير) ــ للقشيري ، وقد درسه طويلا لتلاميذه(63) ، وربما كان هو الذي اوحى اليه بتاليف هذا الكتاب .

ومن الموضوعات التي تناولها :

ــ العلم والمباهاة به (64) ــ المحافظة على آداب الشريعة (65) ، ــ الامامة والشورى (66) ، ــ الرباط والمرابطة (67) ــ كيفية اللباس : جائزه ومحظوره ، حسنه وقبحه (68) ، ــ ارتباط آي القرءان بعضها ببعض ، حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني ، علم عظيم .. ــ يقول ابن العربي ــ لم نجد له حملة ، فجعلناه بيننا وبين الله ، ورددناه اليه (69) .

12 ــ ومما يتصل بعلم التذكير ، موضوع العالم الاخروي ؛ وقد الف فيه ابن العربي كتابه (احكام الآخرة ، والكشف عن أسرارها الباهرة (70)) . تحدث فيه عن مشاهد يوم القيامة ، واحوال البعث والحشر والنشر ..

---

(58) الاحكام 1 / 11 ، والتفسير والمفسرون 121/3 .
(59) ويدل على ذلك ما ذكره المؤلف من احداث سنة (28 ــ 529 هـ) ، منها ولايته القضاء ، وصرفه عنها سنة (529 هـ) . انظر الاحكام 2 / 134 .
(60) توجد نسخة منها بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 274 .
(61) ويذكر عباس بن ابراهيم صاحب الاعلام ، انه وقف على نسخة منه عليها خط المؤلف ، وهي من الاهمية بمكان !
(62) انظر العارضة 2 / 120 .
(63) انظر فهرسة ابن خير ص 296 .
(64) انظر العارضة 10 / 123 .
(65) العارضة 8 / 77 ــ 78 .
(66) العارضة 10 / 262 .
(67) العارضة 1 / 68 .
(68) العارضة 10 / 256 .
(69) انظر البرهان 1 / 36 .
(70) توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط ــ ضمن مجموع رقم ك 928 .

13 ـ وقد وقفت على جـزء وسـط ـ فى التفسير ، نسب للقاضي ابي بكر بن العربي ، يحمل عنوان (خامس الفنون) (71) ؛ فسر فيه الآيـات التي تحدثت عن اخبار الامم السالفة التي اعرضت عن آيات الله ، وتمردت عن شرائعه ، فحقت عليها كلمة العذاب ، وكانت عبرة للمعتبرين ، وذكرى للمتفكرين.

وهو يستعمل فى معالجة هذه الآيات اسلـوب الوعظ والارشاد : (تنبه ايها الغافل) ؛ (فانظر وفكر، وفى الحوادث عبر) .. تتخلل ذلك بعض حكـم ، وابيات شعرية فيها عبرة وذكرى .

ـــ (من استرعى الذنب ظلم) .

(شربت الاثم حتى زال عقلي
كذاك الاثم يذهب بالعقـول)

والجزء يبتدىء بقوله تعالى : « وما تاتيهم من آية من آيات ربهم ، الا كانوا عنها معرضين (72) » ، ـ الآية 4 من سورة الانعـام .

وينتهي بقوله ـ سبحانه ـ : « فانتظروا انـي معكم من المنتظرين ، فانجيناه والذين معه برحمة منا، وقطعنا دابر الذين كفـروا بآياتنـا ، وما كانـوا مؤمنين (73) » . ـ الآية ـ سورة الاعراف .

وبعد ان يذكر فى صفة اهلاكهـم ـ ان الله ارسل عليهم الريح العقيم ، ما تذر من شيء الا جعلته كالرميم ؛ ـ يشير الى انه ستاتي بقية القصـة فى سورة هود ، مما يدل على ان هذا الجزء ستتلـوه اجزاء ، وربما تقدمته اجزاء اخرى فى نفس الاتجاه ، والمحتمل ان هذه الاجزاء ـ بمجموعها ـ تكون التفسير الكبير الذي يلمح اليه المؤلف فى نهاية كتاب الاحكام، ويذكر انه تلف منه ، وذهب به المقدار ـ : (.. وكمل القول الموجز فى التوحيد ، والاحكام ، والناسـخ والمنسوخ ... وبقي القول فى علم التذكير ، وهو بحر ليس لمده حد ، ومجموع لا يحصره العد ؛ وقد كنا املينا عليكم فى ثلاثين سنة ، ما لو قيـض لـه تحصيل ، لكان جملة تدل على التفصيل ؛ ولما ذهب به المقدار ، فسيعلم الغافل لمن عقبى الدار) (74).

وقد يقوي هذا الاحتمال ، ما جاء فى آخـر نسخة عتيقة من كتاب الاحكـام ـ (كمل الجـزء السادس والثلاثون من الاحكام ، وبتمامه كمل جميع الديـوان) (75) .

وهذه التجزئة تدل على ان كتاب الاحكام ، جزء من اجزاء ـ (التفسير الكبير) وليس هـو كتابـا مستقلا بنفسه ، ودليل آخر ، انه لم تتقدمه خطبة ولا مقدمة ؛ خلاف صنيع المؤلف فى اكثر كتبـه ، والله اعلم بحقيقة الحال .

14 ـ ولابن العربي المام واسع بعلم القراءات، ومن مؤلفاته فى هذا الميدان كتاب « المقتبس (76) » .

15 ـ و « شرح حديث انزل القـرءان على سبعة أحرف (77) » .

---

(71) انفردت الخزانة الحمزاوية بنسخة من هذا الكتاب ، وبالخزانة العامة بالرباط ـ صورة منـه صورت على شريط (ميكرو فيلم) تحت رقم (141) ، يحتوي على (292) صفحة من القطـع الكبير ، كتب بخط مغربي ، واضح فى اكثر صفحاتـه .

(72) انظر الصفحة الاولـى من المخطـوط السا لف الذكـر .

(73) انظر اللوحة الاخيرة من المخطوط .

(74) انظر الاحكام 2 / 342 ـ الطبعة الاولى (1331 هـ) .

(75) انظر اللوحة الاخيرة من مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ك 427 .

(76) ذكره فى كشف الظنون ص 1972 ، ونسب له فى هدية العارفين 2 / 90 قصيدة فى القراءات ، ثم عاد فنبها فى ص (103) لابي عبد الله محمد بن احمد بن العربي (ت. 591 هـ) ـ ولعله حفيد ابي بكر بن العربي .

(27) انظـر قانـون التأويـل ص 60 .

وهو شرح موسع ، ذكر فيه ان نقل القــرءان نقل تواتر يوجب العلم ، وأن قراءاته نقلت نقــل آحـــاد (78) .

وقال فى قول مالك : (قراءة نافع سنــة) ــ ليس معناه أن قراءة غيره ليست بسنة ، بل المراد أن السنة فى توسع الخلق فى القراءة بهذه الوجوه : من همز وحذفه ، والمد وتركه ، والتفخيم والترقيق، والادغام والاظهار ، من غير ارتباط الى شيء مخصوص منهـــا (80) .

وهاجم القراء فى اختلافاتهم ، وما لهم فى ذلك من جهـــالات (81) ....

واذا كان هذا اسهامه الضخم فى المدرســة القرءانية بالمغرب ، فماذا كان دوره فى مدرســة الحديث يا ترى ؟

ذلك ما سنتحدث عنـــه فى عـــدد قـــادم ــ بحـــول الله ــ .

تطـــوآن : سعيد أعراب

---

(78) نفـــس المصـــدر .
(79) وانظر « البرهان » للزركشي 1 / 212 .
(80) نفـــس المصـــــدر .
(81) انظر بحث الشيخ محمد الفاضل بن عاشور المنشور بمجلة دعوة الحق ، س 10 ع 3 ص 73 .



الشاعر الوزير محمد ابن موسى دراسة شعره

ـ 5 ـ

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

وكان ابن موسى ـ بالاضافة الى هذا ـ رهن اشارة الخليفة دائما يأتمر بامره ، ولا يتخلف ابدا عن تلبية رغبة من رغباته ، او يتقاعس عن تنفيذ طلب من طلباته ، من ذلك ان الشاعر عبد الرحمن بن زيدان(1) ارسل للخليفة في فاتح محرم 1361 هـ رسالة شعرية نثرية يعبر له فيها عن تأثره للانحراف الذي طرا على صحته يقول في اول القصيدة :

خليفة عرش مغربنا المفدى

وبضعة بيت مملكة سمي

فطلب الخليفة من الشاعر ان يجيب على الرسالة المذكورة فاجابه باخرى مثلها يفتتحها بقصيدة في نفس الوزن والروي الا ان الاولى ـ يعني قصيدة ابن زيدان ـ مصمتة ، والثانية ـ يعني قصيدة ابن موسى ـ مصرعة ومطلعها :

يراع الدهر فاجا بالغري (2)

وقام على انامل شمري (3)

يفيض على النهى أعراب كعب(24)

ويسلبها بلحن البحتري (5)

---

(1) عالم وشاعر ومؤرخ (1290 ـ 1365 هـ / 1873 ـ 1946 م) ولد ونشأ بمكناس تولى مديرية المدرسة الحربية بمكناس وتولى نقابة الاشراف العلويين بمكناس وزرهون من تآليفه (اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس) ، وديوان شعر ، انظر القباج (محمد) الادب العربي في المغرب الاقصى ج 1 ص 81 وما بعدها ،والزركلي (خير الدين) (الاعلام) ج 4 ص 111 ، ع 1 و2

(2) الغري على زنة غني وهو الذي يأتي بالعجب فيعمله انظر الفيروزابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) القاموس المحيط ج 4 ص 373 ـ 374 المكتبة التجارية ـ مصر .

(3) المجرب للامور وهو بكسر الشين وتشديد الميم وفي شينها وميمها لغات انظر المصدر السابق ج 2 ص 63 .

(4) هو كعب بن زهير بن ابي سلمى المازني (... 26 هـ / 645 م) من شعراء الجاهلية والاسلام ، وعند ما ظهر الاسلام هجا رسول الله صلى اللهعليه وسلم وتغزل في نساء المسلمين ، اسلم ومدح رسول الله بلاميته المشهورة فعفا عنه وخلع عليه بردته انظر ابن هشام (عبد الملك) (السيرة النبوية) المجلد 2 ص 501 وما بعدها ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط 2 عام 1375 هـ/1955م، وانظر ابن قتيبة (عبد الله) (الشعر والشعراء) ج 1 ص 89 وما بعدها ، ط 2 ، عام 1969 م ـ دار الثقافة ـ بيروت .

(5) هو ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (206 ـ 284 هـ / 821 ـ 898 م) من الشعراء العباسيين المرموقين ولد بمنبج من حلب ورحل الى العراق واتصل بالمتوكل ، له ديوان شعر مطبوع انظر ابن خلكان (شمس الدين احمد) (وفيات الاعيان) ج 5 ص 74 وابن المعتز (عبد الله) (طبقات الشعراء) ص 186 ـ 187 ط ـ 1939 م .

ومن ذلك انه طلب منه نظم قصيدة في تأبين السلطان مولاي عبد العزيز (6) عام 1363 هـ موافق 1944 م فكتب خطابا واشفعه بقصيدة ، وفي هذا كتب الى اخيه محمد ـ فتحا ـ يلتمس منه في تواضع جم رايه في القصيدة ، واصلاح ما قد يكون فيها من ركاكة في النسخ وضعف في التركيب قائلا

(الحمد لله

الاخ الاعز سيدي محمد حفظه الله .

اجابة لرغبة مولانا صاحب السمو أعزه الله ، وامتثالا لامره المطاع عصرت الخاطر الكليل حول ما يرجع لتأبين صاحب الجلالة مولانا عبد العزيز شعرا فاستخلصت من تلك العصارة ما قيدته اسفله لتتأملوه ، وارجوكم أن تدلوا برايكم فيما عسى أن تجدوه من الضعف والركاكة في بعض جملها وابياتها لاكون من ادراجها في نص الخطاب على بصيرة واليكم صورتها) .

والقصيدة يستهلها بقوله :

يا موحش الاسماع والابصار
ومروع الاقطار والامصار

يا تارك الجبل الكبير مرددا
هل ينقضي أمد لغيبة جاري ؟

ومن ذلك انه طلب منه أبياتا (7) لنقشها على سيف من ذهب لاهدائه للملك فاروق (8) ، فكتب هذه الابيات :

أيا طالعا أفق الجلالة فرقدا
يلوح على عرش الكنانة أوحدا

يهز به الاسلام أمضى سلاحه
فيحمي من الاسواء ركنا مهددا

اليكم حساما ينصر الحق مصلتا
به عزمكم او ينشر العدل مغمدا

بقيتم لدين الله والنصر طوعكم
تردون كيد الكائدين مبددا

ولا زلتم للشرق تعلون شانه
كما رفع (الفاروق)(9) منه وازيدا

ومن ذلك أبيات نظمها لتنقش على جدران القصر الخليفي يقول في مطلعها :

---

(6) سلطان المغرب (1298 ـ 1363 هـ / 1944م) بويع عام 1311 هـ وتنازل عن الملك عام 1326 هـ وسكن مدينة طنجة وتوفي بها رحمه الله انظر ابن زيدان (عبد الرحمن) (الدرر الفاخرة) ص 111 طبع في الرباط عام 1356 هـ / 1937 م ، والناصري (احمد) (الاستقصا) ج 9 ص 207 تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ـ دار الكتاب سنة 1956 . وانظر مجلة الانيس العدد 29 السنة الرابعة 4 شعبان 1368 هـ ـ فاتح يونيو 1949 م .

(7) نقشت هذه الابيات بخط الفقيه السيد محمد الزرهوني الذي عرف بجمال خطه المغربي الاصيل .

(8) هو ملك مصر (1339 ـ 1385 هـ / 1920 ـ 1965 م) ابوه هو فؤاد الاول ، تلقى تعليمه على أساتذة خصوصيين رحل الى انجلترا للدراسة،تزوج فانجب ولدا سماه فؤادا ، وفي 23 يوليو 1952 قامت ثورة الجيش فاطاحت بعرشه ، غادر مصر ومات فجأة بروما حيث كان يقيم ثم نقل جثمانه الى مصر . انظر (الموسوعة العربية الميسرة) ص 1264 ـ دار الشعب ـ مكتبة فرنكلين للطباعة والنشر .

(9) يقصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (40 ق هـ ـ 23 هـ / 584 ـ 644 م) لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاروق وهو ثاني الخلفاء الراشدين تولى بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه يضرب به المثل في العدل ، وفي ايامه فتحت الشام والعراق والقدس وأول من دون الدواوين ، مات شهيدا بيد ابي لولزة فيروز الفارسي ضربه بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح . انظر ابن حجر (شهاب الدين احمد) (الاصابة) ج 2 الترجمة 5736 ص 518 ط 1 ـ عام 1328هـ وانظر ابا نعيم الاصبهاني (احمد) (حلية الاولياء) ج 1 ص 38 ط 2 ـ 1387 هـ ـ 1967 م وفي البيت جنوح الى المبالغة السافرة اذ لا وجه للمقارنة ابدا بين الفاروقين .

قصر السعود وفت سعـوده
وتهللت بشـرا عقـوده

ولما سافر أمير الريف ـ كما كان يسمى ـ نجل الخليفة الى مصر لطلب العلم قال الشاعر قصيدة أولهـا :

واجه الشرق بالمكارم واجه
بأبي الفخار والمجد ناجـه

وانشر الفضل والشهامة والنخـ
ـوة والنبل والهدى فى فجاجه

ولم يكن ابن موسى يقتصر فى تسخير قلمه على ذلك فقط ، بل كان يتولى كتابة عقود الانكحة لامراء القصر وكبار رجاله (10) ، مما يؤكد ان ادبه كان يحظى لدى الخليفة بالتجلة والاعجاب والاكرام ، اذ لم يكن هناك من ينافسه امارة الشعر والكتابة فى القصر او يحاول سباقه فى الحلبة ، لذلك اعد ابن موسى شاعر البلاط الخليفي الاوحد ، وكاتبه الفذ ، والمرآة الصقيلة التي تنعكس عليها نشاط القصر ، وابهته وسلطانه وهيبته ، اذ ما تلوح مناسبة رسمية او غير رسمية تتعلق بالقصر ـ كما اسلفت ـ الا ويبادر الى تسجيلها فى شعره او نثره والافاضة فى الحديث عنها ، وكم يجد الشاعر فى ذلك من لذة لا تعادلها لذة ونشوة لا تماثلها نشوة ، لانه وهب مشاعره وقلمه للقصر فاخلص للخليفة ايما اخلاص وخدمه خدمة جلى اعترافا بالجميـل .

وفى الجو الجديد الذي أصبح الشاعر فيه يتنفس عقد صداقات مع علمائه وادبائه بحكم مركزه العلمي والادبي ، وبحكم منصبه الـذي يتقلده ، كما توالت مراسلاته مع بعضهم داخل العاصمة وخارجها اذكر من بين اولئك الفقيه السيد احمد الزواقي (11) والفقيه السيد احمد الرهوني(12)

---

(10) لدى نماذج من هذه الانكحة من بينها صداق الاميرة السيدة فاطمة الزهراء العزيزية وصداق الاميرة السيدة امنة اخت الخليفة وصداق السيدة زبيدة الريسوني زوجة رئيس الديوان الخليفي سابقا المرحوم السيد احمد بن البشير الهسكوري وكمثال على ذلك قوله فى صداق اخت الخليفة (الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ، وصور من شاء فابدع خلقا واحسن تصويرا ، وبرا الخلق ببالغ الحكمة ومحكم التدبير فهل تعلم له سميا او شريكا او وزيرا وانشأهم من نفس واحدة انشاء ادق صنعا وابدع تدبيرا ،وخلق منها زوجها فبث منهما رجالا كثيرا ، نحمده على جزيل انعامه حمدا نتيمن بمطلعه المبارك اولا ونستبشر بعواقبه السعيدة اخيرا ونثني عليه بما اثنى على نفسه اذ لا نحصي ثناء عليه عجزا وتقصيرا ، ونشكره شكرا يزيدنا به من خزائن الفضل مددا ويخولنا من حظائر الرضوان نعيما وملكا كبيرا ، ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تفرع بحلاوة التوحيد اسماعا وتفتح بحقائق الحكمة افواها وتشرح بأنوار اليقين صدورا، ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فاحل الطيبات وحرم الخبائث وفصل الحدود والاحكام تفصيلا وقررها تقريرا ، وشرع لامته الكريمـة حلال النكاح لتصون به احسابا وتسرع اليه مسيرا الخ).

(11) شيخ الجماعة بتطوان (1276 ـ 1371 هـ / 1859 ـ 1952 م) درس بمسقط رأسه تطوان ثم ذهب الى فاس لاتمام دراسته ، تولى قضاء تطوان فكان مثل النزاهة لم يخلف مولفا بل ترك طررا وفتاوي ، وملازم من حاشية شرع فيها على شرح بنيس للهمزية انظر الرهوني (أحمد) (عمدة الراوين فى اخبار تطاوين) الموجود بقسم المخطوطات بالمكتبة العامة بتطوان وابن عبد الوهاب (الحسن) (حواش على بهجة التسولي) ج 1 ص 20 ـ ط 1372 هـ ـ 1953 م .

(12) مـر التعريـف بـه .

والفقيه السيد محمد الصادق الريسوني (13) والفقيه السيد أحمد الحداد (14) رئيس الوزراء حينـداك والاديب السيد البشير أفيلال (15) والفقيه السيد محمد المرير(16) والاستاذ اسيد التهامي الوزاني(17) والشاعر ابراهيم الالغي (18) والاستاذ السيد عبد الله كنون (19) والاستاذ المكـي الناصـري (20) والشاعر النقيب السيد عبد الرحمـن بن زيـدان وغيرهم ممن كانوا يعكسون الواجهة المشرقة للثقافة والفكر والعلم فى العاصمة وخارجها .

وفى 19 صفر عام 1367 هـ موافق 2 يناير 1948 م بعث اليه صديقه الاديب البشير افيـلال قصيدة هزلية تحوي فيما تحوي بين طياتها انتقـادا اجتماعيا يتميز بروح عذبة خفيفة يقول فيها :

يعلق انفاسي الدجاج المحمر
ويحلو لاضراسي أخوه المعمر

وكم عصفت للمشرمل نهمة
تظل بمرعاها الانامل تقطـر

(13) من علماء تطوان ومن موالد شفشاون (1282–1376 هـ / 1865 – 1957 م) تلقى تعليمه على علماء شفشاون والاخماس ثم رحل الى فاس ودرس على علمائها من بينهم السيد أحمد بن الخيـاط والسيد المهدي الوزاني ، تولى قضاء الاخماس وقضاء القصر الكبير ، وعمل عضوا باللجنة العليـا للمآثر التاريخية ومستشاراً لوزارة العدلية ووزيرا للمالية واخيرا عضوا بالمجلس الخليفي الخاص، زاول التدريس والوعظ والارشاد والافتاء والخطابة من انتاجه (السر المصون فى شرح ابيات سيدي عبد السلام ابن ريسون) و (الرد علىمن اجاز التحية برفع اليد) وفتـاو متعـددة ، انظر مجلة الانيس العدد 41 – السنة 5 – شعبان 1369 – يوليو 1950 وللسيد الوالد رحمه الله ترجمة مطولة عنه .

(14) من علماء تطوان ولد عام 1309 هـ موافق 1891 م درس بمسقط راسه تطوان على شيوخها ، من بينهم السيد محمد الفرطاخ والسيد احمد الرهوني والسيد احمد الزواقي ، عمل كاتبا بوزارة المالية وكاتبا بوزارة الصدارة وكاتبا اول بها، وبعد ذلك تولى مديرية الاحباس ورئاسة المحكمـة العليا للعدلية المخزنية ثم رئاسة الوزارة مضافا اليها وزارة المعارف موقتا . امد الله فى عمره .

(15) فقيه اديب ولد بتطوان عام 1314 هـ موافق 1896 م من شيوخه السيد احمد الزواقي له كتابات نثرية ادبية على النمط القديم وله مساجلات ادبية مع ابن موسى ويحتفظ ببعض انتاجه وقد بذلت محاولات عديدة للحصول عليه بدون جدوى فالرجل مريض –شفاه الله– ويأبى ان يستقبل الزوار(16)

(16) من علماء تطوان ولد عام 1303 موافق 1885 درس بتطوان مسقط راسه من شيوخه بها السيد احمد الزواقي ، رحل الى فاس لاتمـام دراسته ، تولى قضاء القصر الكبير وقضاء تطوان ثم رئاسة الاستئناف الشرعي من تآليفه (الابحاث السامية فى تاريخ المحاكم الشرعية) . (توفى فى مستهل السنة الحالية 1398 رحمه الله) .

(17) من علماء تطوان (1321 – 1392 هـ / 1903 – 1973) درس بتطوان على شيوخها ثم انصرف الى الدراسة والتحصيل وحده ، تقلد منصبمدير المعهد الديني ، قبل الاستقلال ، وبعد الاستقلال عين عميدا لكلية أصول الدين بتطوان ، من انتاجه (الزاوية) و (الرفرف) .

(18) شاعر اديب ولد عام 1328 موافق 1910 يعرف بالالغي نسبة الى (الغ) وهو أخو العالم الشاعر محمد المختار السوسي لجأ الى تطوان فرارا من مضايقات الفرنسيين وعمل أستاذا بمعهد مولاي المهدي وأستاذا بالمعهد الرسمي القاضي عياض حاليا وبعد الاستقلال عين عضوا بالمجلس الاعلى للنقض والابرام شعره منشور بالمجلات والصحف التي كانت تصدر بتطوان وله مؤلفات مدرسية انظر السوسي (محمد المختار) (المعسول) ج 2 ص 282 وما بعدها ط 1380 هـ – 1961 م .

(19) مـــر التعريـف بـه .

(20) من العلماء ولد بسلا عام 1324 موافق 1906م تربى فى بيئة علمية درس على كبار أساتذة سـلا دخل المدرسة الدينية ثم سافر الى مصر وتابع دراسته بالازهر والجامعة المصريـة ، أسس حزب الوحدة المغربية ، وعمل فى تطوان مديرا لمعهد مولاي المهدي ، وبعد الاستقلال تولى عمالة اكادير وعمل سفيرا للمغرب بليبيا ، ثم اخيرا تولى وزارة الاوقاف من انتاجه كتاب (الاحبـاس الاسلامية فى المملكة المغربية) انظر القباج امحمد) (الادب العربي) ج 2 ص 70 .

الى ان يقول متحدثا عن الغــلاء الـــذي ساد الـــوق :

زمان امتلاء السوق من كل مشتهى
برأخص سعر يشترى ويوفــر

فاعقبه وقت يسوم رجالـــــه
غلاء يشق الدهر عسفا فيقهــر

وبعث لصديقه المذكور يساجله قائلا :

يا راحة من حيا اخلافها الديـــم
ومن اناملها الاحكـــام تنتظـــم

تبدي على صفحات الطرس من بصر
ما تنجلي بدياجي فضلـه الظلـم

ثم يقول له وفى عمقه صبـوات حـرى الى سويعات يجتمع فيها بالاخوان ، كما كان يجتمع بهم بالامس ، ولعل هذا التشوق الى مجالس اصدقائـه يرجع سببه الى ان الاعمال الرسمية قد اخذت منه جل وقته فلم تتح له الفرص الكثيرة للاستماع بدعابة الاخوان واحاديثهم الطلية :

متى تعود سويعات لنا سلفت
كأنها فى حنواشي دهرها حرم

فى فتية كالنجوم الزهر ان نطقوا
وكالسيوف على الجهال ان زعموا

لاحت وراحت كلمح الطرف سافية
كانها بجناح البرق تعتصـم

اقول والقلب مطوي على حرق
بين الجوانح فى الاحساء تضطرم

(يا من يعز علينا ان نفارقهم
وجداننا كل شيء بعدكم عدم (21))

وفى عام 1374 هـ موافق 1954 م زارته صحافية امريكية بعد ان سمعت عن علمه وادبـه فطلبـت منه ابياتا بواسطة حرمه فكتب لها قصيدة مطلعها :

عجبا من خواطـر الانســـان
فى معاني فواتـر الاجفـان

يزدهيه شكل الملاح ويسبيـ
ـه من الحسن ما يرى بالعيان

الى ان يقول خاتما القصيدة مستهاما بجمـال الفتـــاة :

(21) البيت مضمن وهو للمتنبي (303 ـ 354 هـ/ 915 ـ 965 م) اسمه احمد بن الحسين يكنـى أبا الطيب الشاعر العربي المشهور الذي شغل الناس بشعره ولد بالكوفة ونشأ بالشام وتنقـل فى البوادي طالبا اللغة والادب ، حظي أدبه لدى سيف الدولة بالتجلة والاكبار قتل وهو فى طريقه الى الكوفة ، والبيت المذكور من قصيــدة مشهورة يعاتب فيها سيف الدولة مطلعها :
واحر قلباه ممن قلبه شبـــم   ومن بجسمي وحالى عنده سقـــم
انظر ابن خلكان (شمس الدين احمد) وفيات الاعيان ج 1 ص 102 وما بعدها وانظر الجرجاني (علي بن عبد العزيز) (الوساطة بين المتنبي وخصومه) تحقيق وشرح محمد ابى الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوي وانظر ديوانه ج 4 ص 104 وما بعدها شرح البرقوقي (عبد الرحمـــن) ـ ط 2 ـ 1357 هـ / 1938 .

تستثير النهى ببهجة بلقيـــ
س(22) وتسبي بمقلتي (بوران)(23

والجمال البديع فوق يراعي
وجمال الاخلاق فوق بيانـــي

فلتدم بهجة المحافل حتـــى
يلحظ المحدون حور الجنان

ويوما اهدى له صديق ـ واظنه السيد البشير افيلال ـ عنبا مصحوبا بهذه العبارة (من جناني الى جناني) فقبل الهدية وغفل عن الجواب ، وبعد ايام وجه اليه الصديق نفسه عنبا آخر مصحوبا بهــذه العبارة (منه اليه) فقبل الهدية واجابه بقصيـــدة مطلعهــــا :

ايديا راحة اشارت اليـــــا
فتوالت منها الايادي لديـــا

وفي عام 1376 موافق 1957 زار طنجة وفيها تذكر صديقه الحميم الاستاذ السيد عبد الله كنون ـ وهو حينذاك يلي عمالتها ـ فبادر الى زيارتــه ، واتصل به تليفونيا فاجابته فتاة مكلفة بالاستقبالات بأن العامل في جلسة عمل ، فظن الشاعر ان الفتاة ارادت ان تحول بينه وبين لقاء صديقه فكتب له :

يا باذل التالد والطـــــارف
من علمه وظله الـــــوارف

وكعبة الفضل التي لم تـــزل
امنية البادي مع العاكـــــف

ومن تبادى في هوى حمــده
رغما عن الكاشح والكاتـــف

ما يملا الاسماع من هاتـــف
ويجذب الابصار من راعـــف

يقول من يرقب اجماعهـــــا
ما اشبه الجاهـــل بالعارف

حجبت بل طفت حولي الحمى
وملت للتعريف بالهاتـــــف

حتى اذا الحاجب لم يكترث
عدت ببال آسف كاســـــف

حاشاك ان ارجع دون اللقـــا
يومي رجوع الدرهم الزائف

فراجعه الاستاذ كنون بما أولــه :

حاشاك تحجب من عـــارف
بفضلك التالد والطـــــارف

---

(22) هي بنت الهدهاد بن شرحبيل بن يعفر بـــن سكسك من حمير ملكة (سبأ) يمانية من اهل مأرب وقد اشار القرءان الكريم اليها في قولـه تعالى على لسان الهدهد مخبرا سليمان عليه السـلام (فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا يقين . اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) (سورة النمل الآية 22 و 23) وكانت بلقيس هذه جميلـــة وتوفيت في احدى وعشرين سنة خلت من ملك سليمان عليه السلام انظر النويري (احمد بـــن عبد الوهاب) نهاية الارب ج 14 ص 134 ، وابن خلدون (عبد الرحمن) كتاب العبر ج 1 ص 79 ط الحبابي 1355 هـ ـ 1936 م ، وهناك امراة اخرى تدعى بلقيس الصغرى وهي اروى بنت احمد الصليحي ملكة يمانية (444 ـ 532 هـ / 1052 ـ 1138 م) انظر الزركلي (خيـــر الديـــن) الاعلام ج 1 ص 279 ، ع 1 و 2 . ولعل الشاعر يقصد بلقيس الاولـــى .

(23) زوجة المامون العباسي (191 ـ 271 هـ / 807 ـ 884 م) وهي بنت الحسن بن سهل كانت من اكمل النساء خلقا وادبا واسمها خديجة ، انفق في زفافها ما لم يعهد مثله في عصر من الاعصار قال محمد بن حازم الباهلي :

بـــارك اللـــه للحســـــن ولبـــوران فـي الختـــــن
يا ابن هارون قد ظفـــر ت ولكـــن ببنـــت مـــن

ولما بلغ المامون هذا الشعر قال ما نـــدري خيرا اراد ام شرا ، و (البورانية) طعام ينسب اليها انظر ابن خلكان وفيات الاعيان ج 1 ص 258 وما بعدها ، وابن الساعي (على) نساء الخلفـــاء ص 67 وما بعدها تحقيق الدكتور مصطفى جواد ـ ط. دار المعارف (بدون تاريخ) .

وقد كان ابن موسى ذا حظـوة وقبول لـدى اصدقائه لما يعرفون عنه من علم جم وادب غزيـر وحضور بديهة ونكت طريفة ومداعبة مليحة وحديث طلي يجعل منه شخصية محببة تضفـي على جـو المجالس الاخوانية بهجة ولطفا وتستأثر باهتمـام الحاضرين ، وفي يوم من ايام السمر البريء مـن عام 1374 موافق 1954 طلب منه البعض ان يتغزل فى بنت الجنرال (بريلا (24)) (نونا) فكتـب فى الحين ابياتا اولها :

ما غادرت من فنون السحر مكنونا
اشراك طرف رمت عن قوسه (نونا)

تحكمت فى بديع الحسـن تاركـة
حظ الخرائد من جدواه مغبونـا

ومر الحديث سالفا بأن ابن موسى عقد صداقات مع علماء تطوان ، وعاشرهم ، وخالطهـم واستانس اليهم ، لذلك عند ما مات شيخ الجماعة السيد احمد الزواقي عام 1371 هـ موافق 1951 م اسـف على فراقه ، ولم يترك المناسبة تمر دون ان يسجلها فى شعر فشارك فى حفل تابينه بقصيدة طويلة افتتحها بقـولـه :

قفا بمعاهد امست ثكـالـى
كواسف من صروف الدهر بالا

ذواهل كلما خشعت لشجـو
اباح الشجو للدمع انهمـالا

ومما اثار انتباهي ـ والحديث الآن عن شعـر البكاء ـ ان ما لدي من شعر ابن موسى لا يتوافر على رثائية فى اخيه محمد ـ فتحا ـ برغم انه كان يقدره، ويكن له المودة والحب ويحله من قلبه مكانا عزيزا ـ كما تثبت بعض المراسلات المتبادلة بينهما ـ ولست ادري سببا لهذا الصمت الذي لاذ به ، هل هـول النكبة الجمته فما استطاع ان يفضي لنا بعواطفـه الاخوية كما افضى لنا بأشتات من المشاعر عن الفقيه الزواقي ، ام انه بكاه وغنى حبه وتقديره فاحتفـظ بالرثائية دون ان يطلع احدا عليها ، وبالرغم من ذلك فان هناك وثيقة تكشف لنا عن مدى اثر وفاة اخيه فى نفسه ، وهي رسالة بعثها الى صديقـه المرحـوم السيد احمد بن البشير الهسكوري رئيس الديوان الخليفي سابقا يجيبه فيها على رسالة تعزية فى أخيه. يقـول فيهـا :

« الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

صاحب السعادة الصديق الجليل الوجيه النبيل سيدي احمد بن البشير رعاكم الله

سلام عليكم ورحمة الله .

تلقيت رسالتكم الكريمة فى غرض التعزيـة بالمصاب بشقيقي المرحوم السيد امحمد الصائر الى دار الرضوان ومستقر الرحمة فكانت بلسما يسـد افواه الجراح الدامية وعلاجا يخفـف من الم الفؤاد المكلوم وارشادا الى التمسك بالصبـر الجميـل والرضى بما قدره الله على كل مخلوق ... الخ ..)

وارسلت له زوجة اخيه اطارا يحوي صورتين: صورتها وصورة زوجها المتوفى وطلبـت منـه ان يستوحي من الاطار شعرا لكتابته تحت الصورتيـن فكتب لها هذين البيتين تحت عنوان (الف حزيـن يهفو الى الف دفين) .

دنا رسمه من رسمـه فتراءيـا
اليفين لم يعصف بشملهما الهر

كانهمـا صنـوان لـم يتفرقـا
وقد مر للتفريق بينهما عصـر

سبق الحديث ان ابن موسى حاول رصـد الاحداث الرسمية وغير الرسمية ، فكان شعره معبرا

---

(24) هو المقيم الاسباني العام اسمه الكامل هو خوسي انريكي بريلا اكلسيا تولى عام 1945 وتوفى عام 1951 ، حاول بروحه الاستعمارية الخبيثة ان يقضـي على الـروح الاسلامية بكل الوسائل ، لكن صمود الاحرار كان اقوى من خبثه ، انظر بالاسبانيـة (المغـرب واسبانيا) ص 175 مدريد 1951 .
Marruecos y Espana p. 175 Madrid 1951

(25) كتب البيتان بخط مغربي جميل تحت الصورتين فى اطار بديع ومنه نقلت البيتين المذكورين .

عن حياته الجديدة فى تطوان فى صورتها التي تنم عن انشراح النفس واستعذابها مباهج الحياة .

اتساءل بعد هذا هل كان الشاعر يحيا دائمـا حياة لا تشوبها هموم فلم يعان ما يعانيه الانسان عبر فترات حياته حسب سنة الله فى الكون .

ان ما لدي من نصوص شعرية فى هذا الشان – رغم نزره – يفيد فى استخلاص صور لبعض الآلام البدنية والنفسية التي كان يعاني منها الشاعر ، ففى بعض الايام شكا داء المفاصل (الروماتزم) فنصحه الطبيب بالاستحمام بماء (مولاي يعقوب) فشخص اليه واستحم به ولما احس بالشفاء أثناء الاقامة هناك نقش هذين البيتين على جدران الحوض :

هذا مقام أمـد الله موقعـه
سرا يبيد من الاسقام اقواها

كم خاطب السقم اجسادا وقد وردت
من حوضه اخرست للسقم افواها

وتذكر الشاعر – فيما تذكر – اياما سلفت اقترف فيها ذنوبا ، وارتكب خلالها آثاما فهاجت فى اعماقه الاشجان ، وامسى فريسة الالم الممض لا يغمض له جفن ، تتوالى على مخيلته ذكريات سود مليئة بالرؤى المفزعة ، فلجأ الى الله متضرعا مستغفرا تائبا مسترفدا شاعريته فى هذه اللحظات اللاهبة التي استيقظت فيها الروح الايمانية الشفيفة فقال قصيدة استغفارية – هي من عيون شعره – يفتتحها بقوله :

الله يغفر ذنبا سود الصحفا
وضاعف الاثم والاكدار والاسفا

الله يعفو فلا يبقى على اثـر
للسيئات ولا يجزى بما سلفا

الله يستر عيبا شوهت يده
وجه المحاسن واستوحت بها تلفا

وفى 2 جمادى الاولى عام 1374 هـ موافق 28 دجنبر 1954 م اعفي من وظيفته ، وعين بعد ذلك عضوا بالمجلس الخليفي الخاص يوم 9 جمادى الاولى 1374 هـ موافق 4 يناير 1955 م .

وبعد بزوغ عهد الاستقلال انتهت مهمة الشاعر فى الوزارة والمجلس وكان حينذاك قد بلغ من الكبر عتيا ويبدو انه فى هذه المرحلة اخذ يشكو زمانه بعد أن خبا ضياء مجالس الاخوان ، ولم يعد يزوره فى بيته الا القليل من الاصدقاء الاوفياء منهم الاديب السيد البشير افيلال الآنف الذكر ، وان خير وثيقة تفصح لنا عن حالته النفسية فى هذه المرحلة الرسالة السابقة التي بعثها لصديقه المرحوم السيد احمد بن البشير الهسكوري جوابا عن تعزيته فى اخيه يقول فيهـا :

(ولقد جربتم يا صاحب السعادة على ما طبعكم الله عليه من كرم الاخلاق ونبل الشمائل والتحلى بشيمة الوفاء فى زمن قلت بل عدمت فيه الخصال الحميـدة) .

وفى 12 رجب 1385 هـ موافق نوفمبر 1965م توفى شاعرنا بتطوان بعد مرض الشلل الزمه الفراش مدة من الزمن ودفن بسيدي الصعيدي بباب السعيدة.

(يتبـع)

تطوان : محمد المنتصر الريسوني



علم التوثيق في المغرب والأندلس

للأستاذ عمر الجيدي

اهتمام الشريعة الاسلامية بوجوب كتابة العقود والعهود ؛ القصد منه حماية الانفس ، وحفظ الحقوق ، وصون الاعراض .

وبقدر ما اهتمت الشريعة الاسلامية بالاشهاد ؛ اهتمت بالكتب ، وطلبت من الكاتب أن يكون عدلا عالما بالاحكام الشرعية ، والشروط المرعية ، عارفا وقانونا حسن السيرة ...

وفقه الكتب والاشهاد ، يحسم النزاع ، ويثبت الحقوق ، ويرفع النزاعات ، بالاضافة الى هذا ، ان واجب الكتب له وجوه سياسية ، واجتماعية وقانونية .

وقد بدا التفكير في علم التوثيق مبكرا لحاجة الناس اليه ، واذا كان الانسان اجتماعيا بطبعه ، فلا يمكن أن يعيش منعزلا عن ابناء جلدته ، فالكل مفتقر الى الآخر ، ومع تعدد الاسر وتشبعها ، تكون ما يسمى بالمجتمع او الامة ، وحاجات كل فرد تزداد اتساعا واستمرارا ، ويصبح محتاجا الى التعامل مع غيره ، وانشاء شتى العلاقات مع بني جنسه ، ولا يحسم هذه العلاقات ، وهذا التعامل الا علم التوثيق ، فهو ينظم سيرها ، ويحدد معالمها طبقا للنصوص التشريعية ، دون اغفال العرف ، واجتهادات الفقهاء ، وما جرى به علم القضاة .

فهو علم يبين عناصر كل اتفاقية معقودة بين شخصين او اشخاص يضمن استمرارها واثر مفعولها ، ويحسم مادة النزاع بين الاطراف المتعاقدة ، موضحا للعاقد له ، والمعقود عليه ، ما له ، وما عليه .

والذي يتعاطى لهذا الفن الشهود أو ما يطلق عليهم بالعدول .

وقد ذكر عز وجل الاشهاد في كتابه العزيز في سبعة مواضيع : في الدين ، الطلاق ، البيع ، الوصية ، الرجعة ، الزنا ، وفيما يرفع الحد عن القاذف .

فالتوثيق مامور به بالقرءان والحديث ، قال ابو موسى الاشعري وان عمر : والكتب واجب اذا باع المرء بدين ، وقال ابن عباس : من ترك الاشهاد على البيع فهو عاص . وقال مجاهد : لا تستجاب دعوة رجل باع ولم يشهد ولم يكتب (1) .

ثم ان قضية الاشهاد في التعاقد ، نص عليها كتاب الله تعالى في عديد من الآيات منها : قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل » (2) .

---

(1) انظر في هذا : وثائق وفقه للفقيه ابن اسحاق مخطوط م. ع. بتطوان رقم : 666 — ووثائق الغرناطي ص 3 ط : فاس . والمنهج الفائق للونشريسي ص : 5 ، طبعة حجرية . واللائق لمعلم الوثائق لابن عرضون ج 1 ص : 3 ط : تطوان .

(2) البقرة 282 .

وقوله تعالى : « فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم » (3) .

وقوله عز وجل : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » (4) . وقوله تعالى : « واشهدوا ذوي عدل منكم » (5) . وقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم » (6) . وقوله عز وجل: « والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء » (7) .

وعلى الرغم من ان الامر بالكتب والاشهاد انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في القرن السابع الميلادي ، فهو يعد من احدث النظريات في القوانين الوضعية في المذاهب الاجتماعية الحديثة ، فالدول المسيحية وغيرها قد اخذت به وسمت ذلك « نظرية الاثبات » . فاذا كان فقهاء اوربا لم ياخذوا بهذه النظرية الا في اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر حين اشترط القانون الفرنسي ـ الذي اخذت عنه القوانين الاوربية ـ ان يكون الدين مكتوبا اذا زاد عن مقدار معين فان الفقه الاسلامي قد سبق فقهاء الغرب بحوالي ثلاثة عشر قرنا من التاريخ (8) .

وهذا يدل على سمو الشريعة الاسلامية ، واهتمامها بضمان مصالح الافراد والجماعات وحماية الانفس والاعراض والاموال من ان تنتهك او تستباح ، ومن جهة ثانية نرى ان الشريعة الاسلامية حرمت على المسلم ان يدعى للشهادة فيمتنع عنها او ان يحضر واقعة فيكتمها او يذكرها على غير حقيقتها « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه » (9). حتى لا تتعطل المعاملات ، وتضيع الحقوق .

على ان بعض العلماء يرى ان آية الدين قاعدة من قواعد الاقتصاد في العصر الحديث (10) .

وقد احتاط الفقهاء في كتابة الحقوق والاشهاد عليها ، واشترطوا العدل من المتعاملين والكتاب والشهداء لدفع الارتياب وما ينشأ عنه من مفاسد كالعدوات ، والمخاصمات ، وهذا منتهى الرقي المدني ، هدى اليه الاسلام قبل ان يعرفه الغرب الذي يدعي الحضارة والمدنية بعدة قرون ...

حكم الكتب والاشهاد :

اختلف العلماء في حكم الكتب والاشهاد ، ذهب جمهورهم الى ان الامر الوارد في ذلك امر ندب وارشاد والى هذا ذهب القاضي ابو محمد ابن عطية (11) ، وصحح هذا الراي كثير من العلماء (12).

في حين يرى محمد بن جرير الطبري ان الامر بالكتب فرض واجب (13) . على ان ابن عمر وابا موسى الاشعري يجعلان الكتب واجبا اذا وقع البيع بدين (14 . وذهب « الربيع » الى ان كتب الديون واجب ، الا ان الله خففه بقوله : « فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته » (15) .

---

(3) النساء 6 .
(4) البقرة 282 .
(5) الطلاق 2 .
(6) المائدة 106 .
(7) النور 4 .
(8) التشريع الجنائي الاسلامي ص : 74 ـ 75 ـ 76 .
(9) سورة البقرة 273 .
(10) تفسير المراغي ج 3 ص 75 ط : الحلبي .
(11) المحرر الوجيز ج 2 ص 359 ط : وزارة اوقاف المغرب .
(12) المنهج الفائق ص 4 ووثائق الغرناطي ص 3 واللائق ج 1 ص 2 .
(13) جامع البيان ج 3 ص 120 .
(14) المنهج الفائق ص 3 .
(15) البقرة 273 .

وذكر الامام الشعبي عن بعض العلماء انهم كانوا يرون ان هذه الآية ناسخة لآية الدين ونحا هذا المنحى ابن جرير الطبري وابن زيد ، وروى عن سعيد الخدري مثل ذلك (16) .

واختلفوا فى الكاتب اختلافهم فى الكتب ، فقيل واجب عليه أن يكتب ، وهذا راي عطاء وغيره، وقال الشعبي اذا لم يوجد كاتب سواه فواجب عليه ان يكتب ، وهو رأي السدي (17) .

ونجد الامامين : مالك والشافعي يحملان الامر على الكفاية شأنه شأن الجهاد وصلاة الجنازة ، وطلب العلم ، وتحمل الشهادة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقضاء (18) ...

واختلفوا فى حكم الشهادة ، هل هو على الوجوب أو الندوب ، ذهب الشعبي والحسن وغيرهما الى أن ذلك على الندب ، وذهب ابن عمر والضحاك الى أن ذلك على الوجوب ، وبه قال الطبري وعطاء (19) .

قال ابن عطية : « والواجب فى ذلك قلق ، اما فى الدقائق فصعب شاق ، وأما ما كثر فربما يقصد التاجر الاستيلاف بترك الاشهاد ، وقد يكون عادة فى بعض البلاد ، وقد يستحي من العالم والرجل الكبير الموقر فلا يشهد عليه فيدخل كل ذلك فى الائتمان ، ويبقى الامر بالاشهاد ندبا لما فيه من المصلحة فى الاغلب ، ما لم يقع عذر يمنع منه » (20) .

قيمة هذا العلم :

لكي نعرف قيمة هذا العلم واهميته ، ننقل بعض النصوص لكبار علماء هذا الفن ، فيروي الامام الونشريسي فى منهاجه عن ابن مغيث قوله : « علم الوثائق علم شريف ، يلجأ اليه الملوك والفقهاء ، وأهل الطرق والسوقة والسواد كلهم يمشون اليه ، ويتحاكمون بين يديه ، ويرضون بقوله ويرجعون الى فعله ، فينزل كل طبقة منهم على مرتبتها ولا يخل بها من منزلتها » (21) .

وقال ابي بري : « كفى بعلم الوثائق شرفا وفخرا انتحال اكابر التابعين لها ، وقد كان الصحابة — رضي الله عنهم — يكتبونها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده » (22) .

وورد فى صحيح مسلم أن عليا بن ابي طالب رضي الله عنه كتب الصلح يوم الحديبية بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن فرحون : « هي صناعة جليلة شريفة وبضاعة عالية منيفة ، تحتوي على ضبط أمور الناس على القوانين الشرعية ، وحفظ دماء المسلمين وأموالهم ، والاطلاع على اسرارهم واحوالهم ، ومجالسة الملوك والاطلاع على أمورهم وعيالهم ، وبغير هذه الصناعة لا ينال أحد ذلك ولا يسلك هذه المسالك » (23) .

ونقل الونشريسي عن ابن بري قوله : « وقد سلف للائمة — رضي الله عنهم — اعتناء بكتب الوثائق وانتحله اكابر المفتين واهل الشورى من كبار الاندلسيين وغيرهم » (24) .

صفة الموثق :

قال الامام مالك : لا يكتب الوثيقة بين الناس ، الا عارف بها ، عدل فى نفسه ، مامون عليها لقوله تعالى : « وليكتب بينكم كاتب بالعدل » (25) .

---

(16) المنهج الفائق ص 3 .
(17) المصدر السابق .
(18) المصدر السابق ص 5 .
(19) المنهج الفائق ص 5 .
(20) المحرر الوجيز ج 2 ص 371 .
(21) المنهج الفائق ص 6 واللائق ص 5 ج 1 .
(22) المنهج الفائق ص 6 .
(23) المصدر السابق .
(24) المصدر .
(25) وثائق الغرناطي ص 4 والمحرر الوجيز ج 2 ص 360 واللائق ج 1 ص 9 .

وفي الغرناطية : « يعتبر في الموثـق عشـر خصال ، متى عرى عن واحدة منها لم يجز أن يكتبها وهي أن يكون مسلما عادلا مجتنبا للمعاصي سميعـا بصيرا متكلما يقظا عالما بفقه الوثائق سالما من اللحن وأن تصدر عنه بخط بين يقرأ بسرعـة وسهولـة ، وبألفاظ بينة غير محتملة ولا مجهولة » (26) .

وزاد بعضهم أن يكون عالما بالترسل لأنها صناعة انشاء كما ينبغي له أن يكون لديه حظ من اللغة وعلم الفرائض والعدد ومعرفة النعوت والشيات (27) .

واشترطوا في الوثيقة أن تكون بألفاظ بينة غير محتملة ولا مجهولة ، لأن الألفاظ قوالب المعاني ومنها اقتناصها وهي الكاشفة عنها (28) .

كما استحبوا في كاتب الوثيقة أن يكون كما قال شاعرهـم :

عليك بكاتب لبق رشيـق
ذكي في شمائلـه حرارة

تناجيه بطرفك من بعيـد
فيفهم رجع لحظـك بالاشارة

تطور فن التوثيق عبر التاريخ الاسلامي :

بدأ علم التوثيق مع بداية فجر الاسلام ، غير أن الوثائق في هذا العصر بقدر ما تميـزت بالقلـة ، تميزت ببساطة أسلوبها ووضوحها وإيجازها وأبـرز سمتها أنها كانت تفتتح بالبسملة ، كما كانوا يفتحون الوثيقة بقولهم : هذا ما أصدق فلان فلانـة .. في وثيقة الزوجية ، وفي وثيقة الوصية : هذا ما أوصى به فلان ... وفي وثيقة الشراء هذا ما اشترى فلان من فلان ... وهكذا بقية الوثائق ، وقـد حكـى الغرناطي أن بعض المتأخرين أنكر هذا الأسلوب في افتتاح الوثيقة (29) وأقدم وثيقة تناقلتهـا المصادر هي تلك التي سجلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتعلق ببيع مملوكه للعداء بن خالد بن هودة (30) ووثيقة الاقطاع الذي أعطاه رسـول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الداري وأصحابه ، وصدقة عمر بن الخطاب على الفقراء والمساكين (31) .

وهكذا بدأ هذا العلم ككل شيء في هذا الوجود يبدأ صغيرا ثم يكبر ، وقليلا ثم يكثر .

وقد اهتم المغاربة والأندلسيون بهذا العلـم اهتماما كبيرا وألفوا فيه تآليف جليلة ، حفظت لنا الأيام بعضها وضاع معظمها فيما ضاع من تـراث السلف ، وقد تفننوا في ذلك ما شاء لهم قلمهـم ، وبرعوا فيها براعة فائقة — تأليفا وشرحا وتعليقا — وأكثروا من التأليف في هذا الفن ، فجاءت مؤلفاتهم متعددة الأشكال مختلفة الأحجام ما بيـن مطـول ومختصر ، وفيهم من أطال جدا فجاء مؤلفـه في أسفار كمحمد بن راشد البكري القفصي الذي ألف كتابه « الفائق في الأحكام والوثائـق » في سبعـة أسفار (32) ومنهم من اختصر جـدا كالشريـف الغرناطي صاحب الوثائق الغرناطية حيث جاءت في ورقات معدودة لا تتعدى 14 ورقة ، وبين هذا وذاك توجد مؤلفات متوسطة الحجم وهي أكثرها .

ومن الجدير بالذكر ، أن نهضة هذا الفن بدأت في الأندلس ، فما أن أقبل القرن الثالث الهجري حتى بدأت هذه الصناعة في الظهور والذيوع حيث ارتبط علم التوثيق بفقه القضاء — وما الوثائـق إلا ثمـرة الفقه — ونبغ في هذا الفن فقهاء أجلاء قدموا هـذا العلم ، وأدخلوا عليه تغييرا جوهريا اقتضته عوامل كثرة المعاملات المدنية والتجاريـة ، وبـرزت الى الميدان أشكال جديدة من الوثائق الفقهية ، ولعـل

---

(26) وثائـق الغرناطـي ص 4 .
(27) المنهـج ص 9 .
(28) المصـدر .
(29) وثائق الغرناطـي ص 3 .
(30) المصـدر السابـق .
(31) انظر ما قيل فيها مفصلا في التمهيد لابن عبد البر ج 1 ص 214 ط : وزارة أوقاف المغرب .
(32) انظر : شرف الطالب ص 78 تحقيق د. محمد حجي ط : الرباط .

اقدم كتاب في هذا الفن هو كتاب محمد بن سعيد القرطبي المعروف بابن الملون (33) .

وطبيعي ان يتكاثر هذا الفن وينمو مع مرور الزمن ، وما ان اقبل القرن الرابع حتى تكاثرت مؤلفات علماء الاندلس ، فظهرت وثائق ابراهيم بن سليمان بن ابي زكرياء الاندلسي (34) .

ووثائق محمد بن يحيى بن لبابة القرطبي الشهير بالبرجون (35) . وكتاب محمد بن احمد بن عبد الله الشهير بابن العطار (36) ووثائق محمد بن عبد الله ابن ابي زمنين الغرناطي (37) ووثائق احمد ابن سعيد الشهير بابن الهندي (38) .

وعلى الرغم من ظهور كثرة المؤلفات في هذا الفن في القرن الرابع ، الا ان القرن الخامس كان اجل عصور التوثيق واكبرها اذ فيه الفت الكتب القيمة التي يرجع اليها الفقهاء والقضاة وعليها اعتمد الموثقون ، وبرزت ظاهرة جديدة ، وهي شرح الوثائق السابقة على هذا العصر ، وهكذا راينا شرح وثائق ابن العطار احمد بن عمر بن يوسف القرطبي الملقب بابن الفخار (39) . وكتاب الوثائق وعللها لمحمد بن احمد اللخمي الباجي الاشبيلي (40) . ووثائق محمد ابن عبد الله بن مزين القرطبي (41) .

وكتاب المقنع في الوثائق لابن مغيث الطليطلي (42) والوثائق المجموعة لعبد الله بن فتوح الاندلسي (43) ووثائق ابن فرج الاندلسي (44) ووثائق ابن فتحون (45) .

وفي القرن السادس ظهرت كتب اخرى جديدة في هذا الفن بظهور موثقين جدد ، وهكذا ظهر كتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والاحكام لعلي بن

---

(33) ابن الملون : محمد بن سعيد الموثق من قرطبة كان حافظا لراي مالك عالما بالشروط . انظر : تاريخ العلماء والرواة لابن الفرضي ج 2 ص 14 .

(34) ابراهيم بن سليمان بن ابي زكرياء من اهل رية توفي سنة 326 . انظر تاريخ العلماء والرواة بالاندلس لابي الفرضي ج 1 ص 24 .

(35) ابن لبابة : هو محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة يكنى ابا عبد الله ولي قضاء البيرة والشورى بقرطبة ، مات بالاسكندرية سنة 330 هـ ـ 942 م . بغية الملتمس 134 وجذوة المقتبس 91 والديباج المذهب 251 ـ 252 واعلام الزركلي ج 8 / 4 .

(36) ابن العطار : هو محمد بن احمد بن عبد الله توفي 339 قال فيه ابن فرحون في الديباج : كان متفننا في علوم الاسلام عارفا بالشروط .

(37) ابن ابي زمنين : محمد بن عبد الله بن عيسى المري من اهل البيرة انظر : تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي 2 / 80 ـ الديباج 269 . الوافي بالوفيات 2 / 321 . جذوة المقتبس 53 واعلام الزركلي 7 / 101 .

(38) ابن الهندي : احمد بن سعيد بن ابراهيم الهمداني توفي 399 هـ . انظر الصلة 19 .

(39) ابن الفخار : محمد بن عمر بن يوسف توفي 419 . انظر تحرير الوثائق العدلية ص : هـ .

(40) الباجي : يعرف بابن شريعة محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد اللخمي الباجي الاشبيلي توفي سنة 433 . المصدر السابق .

(41) ابن مزين : محمد بن عبد الله بن مزين القرطبي المتوفى سنة 434 . المصدر السابق .

(42) ابن مغيث : احمد بن مغيث الصدفي من اهل طليطلة محدث فرضي لغوي ... توفي في صفر 459 . انظر الصلة 122 .

(43) ابن فتوح : عبد الله بن فتوح بن موسى الفهري من اهل البونت توفي سنة 462 . انظر الصلة 611

(44) ابن فرج : ابو عبد الله محمد بن فرج الاندلسي توفي سنة 497 هـ .

(45) ابن فتحون : محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون من اهل اريولة توفي بمرسية سنة 520 هـ ـ 1126 م . انظر الصلة 519 ، التكملة 104 الوافي بالوفيات 3 / 45 ، اعلام الزركلي 6 / 348 .

عبد الله المتيطي (46) وكتاب المنهج اللائق في المدخل لعلم الوثائق لابن عياد (47) .

وكان هذا القرن ايذانا بظهور موثقين مغاربة حيث اضطروا للتاليف في هذا الفن انشاء وشرحا ، وهكذا نرى من مؤلفي هذا القرن من المغاربة ابا الحسن علي بن محمد الصنهاجي الريفي الشهير بالجزيري (48) ولاحظ باحث المغرب الاستاذ محمد المنوني أن الوثائق في هذا العصر كانت مزدهرة في المغرب (49) .

وممن الف في اوائل المائة السابعة احمد بن محمد بن خلف بن يحيى الهاشمي البلنسي الاندلسي المتوفى سنة 616 هـ .

وبرزت في اوائل القرن الثامن شخصية مغربية بارزة هو قاضي فاس ومدرسها ومفتي المغرب ابو الحسن الصغير (50) .

غير ان هذه النهضة انطفات جذورها في القرن السابع الهجري حيث قلت التاليف في هذه المدة ، وضعف الانتاج ، وعول علماء هذا القرن على مؤلفات سابقيهم (51) .

وبعد هذا القرن نشط المغاربة في تدوين التوثيق حيث عرف القرن الثامن كتبا قيمة من انتاج مغربي متطور مع ملاحظة ظاهرة التعقيد في نصوصها تدفعهم المنافسة في صياغة وثائقهم كل حسب فقهه ودرجة علمه ، وقدرة استيعابه للمادة واطلاعه على اسرارها ، فتضخمت الوثائق الفقهية ، وتكاثر عددها اضعاف ما كان عند المتقدمين . ومن الموثقين المغاربة في هذا القرن الفشتالي (52) وابو جعفر احمد بن محمد بن ابراهيم الاوسي المكناسي له شرح على وثائق الجزيري سماه المنهل المورود في شرح المقصد المحمود ، ونعد من موثقي هذا القرن ابن سلمون (53) صاحب العقد المنظم للحكام فيما يجري بين ايديهم من العقود والاحكام .

وفي القرن التاسع الهجري ، ظهر الامام الونشريسي (54) الذي الف شرحا على وثائق الفشتالي سماه غنية المعاصر والتالي على وثائق الفشتالي طبع على الحجر ، كما الف المنهج الفائق والمنهل الرائق والمغني اللائق في آداب الموثق واحكام الوثائق طبع على الحجر ايضا .

---

(46) المتيطي : علي بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله الانصاري درس بفاس واستوطن سبتة واشبيلية ، توفي سنة 570 هـ . انظر جذوة الاقتباس ج 2 ص 480 ط : دار المنصور .

(47) ابن عياد : يوسف بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن ابي زيد مؤرخ فقيه ومحدث سكن بلنسية توفي شهيدا سنة 575 هـ ـ 1180 م . انظر ترجمته في اعلام الزركلي 9 / 317 . مرآة الجنان 3 / 402 والتكملة 734 . غاية النهاية 2 / 397 . شذرات الذهب 254/4 . ايضاح المكنون 54/1

(48) الجزيري : علي بن يحيى بن القاسم الصنهاجي اصله من بلاد الريف مما يحاذي غمارة نزل الجزيرة الخضراء فنسب اليها وولي قضاءها توفي 585 . انظر التكملة ترجمة 2878 .

(49) العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ص 57 ط ثانية .

(50) الصغير : ابو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي الخمسي الفماري من كبار المفتين بالمغرب ولي قضاء فاس ودرس بها . توفي سنة 719 هـ ـ 1319 م . انظر : اعلام الزركلي 5 / 156 . الاستقصا 2 / 49 ـ 87 . شجرة النور الزكية 215 وجذوة الاقتباس 2 / 472 ط : دار المنصور

(51) انظر مقدمة تحرير الوثائق العدلية للصنهاجي ص : و .

(52) الفشتالي : محمد بن احمد بن عبد الملك تولى قضاء فاس ، توفي سنة 777 هـ ـ 1375 م . انظر : اعلام الزركلي 6 / 225 الدرر الكامنة 330/3 . جذوة الاقتباس 234/1 .

(53) ابن سلمون : عبد الله بن علي بن عبد الله بن سلمون الكناني ولد بغرناطة وتنقل بين مالقة وسبتة وفاس وتوفي في وقعة طريف سنة 741 هـ ـ 1340 م . انظر : جذوة الاقتباس 434/2 . شجرة النور 214 . اعلام الزركلي 243/4 .

(54) الونشريسي : احمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني حامل لواء المذهب انتقل الى فاس سنة 874 وتوفي بها سنة 914 هـ ـ 1508 . انظر : الاستقصا 182/2 . فهرس الفهارس 438/2 . البستان 53 وتعريف الخلف 58/1 . اعلام الزركلي 255/1 . جذوة الاقتباس 156/1 . اعلام الجزائر 49 .

كما الف ابو الحسن الزقاق (55) تحفة الحكام بمسائل الدعاوي والاحكام .

انصرم القرن التاسع وأتى القرن العاشر ببعض التجديد فى هذا الفن ، حيث قام علماؤه بتجريد الوثائق من الاحكام والشرح والاقتصار على موضوع الشهادة ، وزعيم المجددين فى هذا الامام أحمد بن الحسن بن عرضون (56) الذي الف كتابه المسمى باللائق لمعلم الوثائق والذي يعتبره المختصون فى هذا الفن من احسن ما الف ، فى علم الوثائق ...

- يتبع -

---

(55) الزقاق : علي بن قاسم بن محمد الزقاق التجيبي توفى سنة 912 . انظر : جذوة الاقتباس 2 / 476 .

(56) ابن عرضون : ابو العباس أحمد بن الحسن بن يوسف بن محمد بن عمر بن يحيى بن عمر الزجلي الموسوي الصالحي القرشي الغماري ... انظر ترجمته فى المصادر التالية :
شجرة النور ص 286 ومعجم المؤلفين لكحالة 199/1 والاعلام للزركلي 108/1 والفكر السامي للحجوي 104/1 والبستان لابن عجيبة 141/1 وسلوة الانفاس 268/2 وجذوة الاقتباس 160/1 وهو فيه احمد بن علي . معجم سركيس 179/1 . اليواقيت الثمينة 18 وملحق بروكلمان 693/2 وجامع القرويين 512/2 . الابحاث السامية لمحمد الموير 197/1 - 198 ...



"المتنبي" لمحمود محمد شاكر

● اصدر الكاتب العربي الكبير الاستاذ محمود محمد شاكر طبعة ثانية من كتابه القيم « المتنبي » . وكانت الطبعة الاولى قد صدرت فى أواخر العشرينات قبل ان ينشر الدكتور طه حسين كتابه « مع المتنبي »

وتمتاز الطبعة الجديدة من هذا الكتاب النفيس باضافات موسعة تشكل دراسة جديدة مبتكرة . هذا الى جانب المقدمة الضافية التي تصور واقع الفكر والادب المعاصر فى مصر والوطن العربي احسن تصوير .

وقد احتفت الصحافة الادبية بظهور الطبعة الجديدة من كتاب « المتنبي » للاستاذ محمود محمد شاكر . وقال عنه الدكتور حسين مؤنس رئيس تحرير مجلة « الهلال » أنه احسن كتاب قراه فى سنة 1977 . كما عبر عن نفس المعنى الاديب الكبير يحيى حقي . وقال رجاء النقاش فى مقال له « بالمصور » ان الكتاب من الخطورة الادبية بحيث ينتظر أن يثير كثيرا من النقاش على المستوى الاكاديمي .

وكان آخر كتاب صدر للمؤلف « اباطيل واسمار » فى نحو 500 صفحة من القطع الكبير . وهو مجموعة مقالات رفيعة نشرها تباعا فى مجلة « الرسالة » في عهدها الاخير سنة 64 ـ 1965

وستعود دعوة الحق الى كتاب الاستاذ محمود محمد شاكر فى عدد قادم بحول الله .

أبحاث ودراسات

ظاهـرة التمـرد الفكري

للأستاذ عبد العلي الوزاني

ما هو التمرد الفكري ؟

التمرد كيفما كان المجال الذي يقع فيه ، هو محاولة الانعتاق من السلطة . فلا بد من وجود سلطة اولا ، تشمل باشرافها مجموعة كبيرة او صغيرة من الناس ، وتضع لهم شروطا للتحرك والعمل ، وتحيطهم بحدود يجب الا يتجاوزوها . وسواء اكانت هذه السلطة عائلية أم اجتماعية ، أم مكتبية وظيفية ، ام حزبية سياسية ، أم نقابية مهنية ، أم ادبية ثقافية ، أم كانت هي سلطة الدولة ممثلة فى أجهزتها القضائية والتشريعية والتنفيذية .

والسلطة ـ ايا كانت ـ لا يتم معناها الا بوجود الفرض والالزام من جانب ، والطاعة والامتثال من جانب آخر . فلا سلطة اذا كان الشخص المادي او المعنوي الذي يتصرف بمقتضاها ، ليس فى مقدوره اعطاء كلمته صفة الامر الواجب التنفيذ ، ولا سلطة اذا كان الطرف الذي تمارس عليه السلطة سيادتها لا يتقيد بها فى شأن من شؤونه ، وانما يتحقق للسلطة معناها الصحيح ، اذا كانت تمثل طرفا له سيادة فعلية او فى حكم الفعلية ، فى مقابل طرف ثان ملتزم بكلمة هذه السيادة . وعلى ذلك ، فاذا عجز صاحب السلطة عن اعطاء أحكامه صفة الحقائق الواقعة ، او استطاع من يقع تحت طائلة السلطة الخروج من دائرة نفوذها ، انتفت السلطة وصارت غير ذات معنى على الاطلاق . ولا يمكن وصفها حينئذ بأنها سلطة معطلة، لانها اذا تعطلت اصبحت فى حكم الاشياء اللاغية .

فاذا وجدت السلطة بمعناها الذي ابنا عنه ، فلا بد من وجود أمر آخر لنفهم حقيقة التمرد ، وهو ان يحاول احد او جماعة التخلص من هذه السلطة ، بمعنى ان التمرد موجود فى نطاق السلطة ، ولكنه يريد تمزيق الحدود التي رسمتها ، وتحطيم القوانين التي وضعتها ، فلا هو يستطيع تحقيق كل ما يهدف

اليه ، ولا هو يبقى محافظا على ولائه للسلطة القائمة، وانما يبقى بين هذا وذاك ، وهذا هو التمرد فى معناه الاصيل ، حتى اذا استطاع الافلات من قبضتها وتحطيم كل القيود التي تربطه بها ، لا يسمى حينئذ تمردا ، لان التمرد هو ما يبقى بين الخضوع والعصيان، وربما كان اقرب الى العصيان منه الى الخضوع . هناك اذن سلطة وهي الزام وامتثال ، وهناك حدود او قوانين او اعراف ، تضعها هذه السلطة ، ولا بد من التحرك طبقا لها ، وهناك اخيرا محاولة الافلات من قبضة ذلك كله والتحرر منه . ومن مجموع هذه العناصر يتكون ما نسميه تمردا . ومع ذلك يبقى معنى التمرد ناقصا ما لم نضف عنصرا آخر لا غنى عنه ، وهو العنف . فكل تمرد يكتسي صبغة العنف . وهو درجات ومستويات ، من الحركة القوية ، الى الصوت الصارخ ، الى تحطيم حدود الاشياء ، الى الاذى الجسدي واراقة الدماء ، وهذه اقصى درجات العنف .

وان من الطبيعي ان يكون التمرد متسما بشيء كثير او قليل من العنف ، اذ انه يستهدف تغيير ما هو واقع وحاصل متعارف عليه ، ولا يمكن فعل ذلك ، بدون عنف ، ما دام الامر اصطداما بين ارادتين: ارادة القائم بالتمرد ، وارادة فرد او مجموعة افراد ، هم القائمون وراء السلطة ، مادية كانت او معنوية . وبناء على ذلك ، وعلى كل ما تقدم ، يكون التمرد فى اساسه ومنطلقه تجاوزا للمشروعية ، او قل محاولة لتجاوزها . والمشروعية هي نفس القوانين او الحدود او الاعراف التي تضعها السلطة ، وتلزم اتباعها بتنفيذها ، بقطع النظر عن اهدافها ومقاصدها . فلكل سلطة مشروعيتها ، وكل محاولة لتحطيم هذه المشروعية تعتبر عملا غير مشروع ، ويعرض صاحبه لغضب اصحاب السلطة وعقابهم . ومن ثم كان التمرد اخلالا بالنظام ، ايا كان نوع هذا التمرد . بمعنى تغيير مواضع الاشياء وقلبها راسا على عقب ، او ازالتها بالمرة ، لوضع اشياء اخرى محلها ، او ان شئت تعبيرا ادق ، استهداف هذا التغيير .

هذا هو التمرد فى مفهومه العام ، ثم بعد ذلك اما ان يكون تمردا سياسيا او تمردا اجتماعيا او تمردا مهنيا ، او تمردا فكريا ، او غير ذلك من انواع التمرد .

والتمرد الذي يهمنا من بين هذه الانواع هو التمرد الفكري . فما التمرد الفكري ؟

لتصور هذا الضرب من التمرد على حقيقته ، لا بد من القاء نظرة على السلطة الفكرية التي لا يدرك التمرد الفكري على حقيقته الا بفهمها بشيء من اعمق . وسلطة الفكر هي جانبه الذي يملك قوة التاثير على احداث الحياة العقلية والاشراف على نشاطها ووضع الاهداف التي يجب ان تتجه نحوها . وهي — اي سلطة الفكر — قسمان : قادة فكر او زعماء فكر ، وراي عام فكري تكون خلال سنين عادة، واصبحت له الهيمنة على شؤون الحياة العقلية . قادة الفكر وزعماؤه يمثلون شخصا ماديا عضويا يؤثر على شؤون الفكر تاثيرا مباشرا ، والراي العام الفكري شخص معنوي ليس له تاثير مباشر ، الا انه ربما كان اشد تاثيرا من الشخص المادي ذي التاثير المباشر، حتى لربما كان هذا الاخير مجرد مجسم لاحسن خصائص الاول ومميزاته .

وتختلف سلطة قادة الفكر عن سلطة الراي العام الفكري فى عدة أمور . منها ان سلطة الراي العام اطول بقاء من سلطة القادة ، اذ هي تستمر عقودا طويلة من السنين ، توجه احداث الفكر والادب ، وتوحي الى مبدعي الكلمة بالاتجاه المتلائم معا بطريق غير مباشر ، فى الوقت الذي يتساقط فيه القادة واحدا بعد الآخر فى حياتهم او بعد مماتهم . فالراي العام شبيه بالحياة فى تدفقها الدائم ، وتكرر ماجرياتها واطراد وقائعها ، من حيث ان افرادها الاحياء تذهب منهم طائفة وتجيء اخرى ، فلا تعبأ الحياة فى اطرادها المستمر بشيء من ذلك ، وانما هي ماضية لطيتها فى طريقها المرسوم . نعم قد يكون لبعض القادة تاثير على الراي العام الفكري ، متى كانوا من قوة الشخصية وبعد النظر وسمو الفكر، بحيث يغيرون من مقاييسه ومن فلسفته فى الحياة ، فنراه — اي الراى العام — يضم ذلك الى رصيده من تجارب الفكر التي تراكمت عليه عبر مسيرته التاريخية الطويلة ، ماضيا الى غايات اخرى اوسع وابعد . اما القائد فسيدركه الفناء يوما ، وبالرغم من ان آثاره على الحياة العقلية قد تكون من العمق والقوة بحيث تستمر بعد رحيله عن هذا العالم مدة غير قصيرة من الزمن ، الا انها اخيرا لا بد ان تذوب فى بحر الحياة العقلية وتتحول الى موجة عابرة فى المحيط الفكري. وهذا نفس ما يحدث بالنسبة الى الحياة العامة تماما.

فهي تتأثر ببعض الاشخاص من ذوي النبوغ العظيم فى علم او ادب او فن او سياسة او حرب او ما الى ذلك ، ولكنها فى الوقت نفسه تواصل طريقها الى غاياتها البعيدة خضوعا لما يتحكم فيها من قوانين التطور التي تكاد تكون جبرية لولا ما يعترض طريقها احيانا من عبقريات فردية تجبرها على تخلية السبيل لقوانين اخرى ، ريثما تعود قوانين التطور الى سيرتها الاولى ، مستحثة خطاها نحو ما هو مقدر لها من مصير .

ومما تختلف فيه سلطة قادة الفكر عن سلطة الراي العام الفكري ان هذه الاخيرة اوسع وافسح مجالا من سلطة القادة . فهؤلاء يكون لهم جمهورهم المؤيد لهم ، ويختلف هذا الجمهور باختلاف قادته فى المذاهب الادبية والمعتقدات الفكرية ، بحيث تتعصب كل طائفة لقائدها الممثل لمثلها الاعلى ، بينما تمتد سلطة الراي العام الى أوسع من ذلك ، اذ تضم جماعات من المثقفين اختلفت اتجاهاتها ، وتنوعت الزوايا التي تنظر منها الى قضايا الفكر والثقافة . وما ذلك الا لاعتمادها على عدد من الاصول العامة المشتركة التي لا خلاف حولها . على حين يحصر القادة انفسهم داخل قضايا خاصة ، وفلسفات نوعية يكرسون لها كل جهودهم ونضالهم ، حتى اذا تعرضوا للقضايا الفكرية العامة ، فمن خلال زواياهم الخاصة، وبالمنظار الخاص الذي ينظرون بواسطته الى الاشياء والقادة مهما اوتوا من قوة العقل وشمول النظرة ، لايقوون على ان يحلوا محل الراي العام ، فى سلطته الواسعة العريضة ، لانهم مجرد افراد ممتازين ، فى حين انه ـ اي الراى العام الفكري ـ خبرة اجيال بكاملها تجمعت فى قوم معينين يعيشون فى زمن معين .

ومما يفرق بين السلطتين ان سلطة الراي العام تضغط على الفكر ، وتحدد له الاتجاه ، وتتولى رقابته فى كل حركاته ، فى الوقت الذي تكون فيه مسؤوليتها عن ذلك غامضة ، وغير محددة لانها تعمل فى الظلام والخفاء . فهي شخص معنوي غير ظاهر ، يشعل الحرائق ويختفي فى طرفة عين . آثاره موجودة ، ولكن مصدرها غير معروف بالضبط ، بحيث لا تستطيع توجيه الاتهام الى جهة معينة . اما القادة فسلطتهم واضحة المسؤولية لكونهم اشخاصا ماديين ، يتصدرون الحياة الفكرية ويتولون زعامتها ، ومن ثم يرد اليهم ما ينالها من خير او شر ، ويلوح لهم بمناديل السلام والتحية والاعزاز ، او يرجمون بالحجارة ويشار اليهم بأصابع الاتهام ، مع ان كثيرا من مواقفهم قد لا تكون سوى مجرد صدى لذلك الراي العام الفكري العامل وراء الستار ، وفى جو من الغموض والابهام .

ومما يفرق بينهما ان سلطة الرأي العام الفكري تقوم من جمهور الفكر والادب مقام العقل الباطن من الانسان ، او قل هي ضمير هذا الجمهور ودوافعه الباطنية وبواعثه النفسية ، ومن ثم تكون آثارها عفوية تلقائية ، تنشىء آثارها الكثيرة فى حياة الفكر، فى الوقت الذي يتوهم فيه الكثيرون من حملة الاقلام انهم مستقلون فى افكارهم . اما قادة الفكر فيقومون من جمهور الفكر والادب مقام العقل الظاهر بالنسبة الى الانسان الفرد ، فهم يقررون ويشرحون ويطرحون القضايا والافكار للمناقشة ، قصد اعطاء الحياة العقلية مزاجها الذهبي الواضح المحدد .

فاذا كان الرأي العام الفكري هو وجدان كل من الادب والفكر ، فان قادة الفكر هم عقلهما المنظم المقنن . وبين العقل والوجدان لعبة قديمة ، اذ بينهما جذب ودفع ، ومراوغة واحتيال ، وكثيرا ما نرى العقل يزهو تيها باستقلاله واكتفائه الذاتي ، فى الوقت الذي يسخر منه الوجدان ، لانه استطاع القاء ظلاله عليه من حيث لا يدري .

ومن تلك الفروق ان الراي العام الفكري غير مرن فى مقاييسه ومقاصده ، اذا مال الى ظاهرة فكرية تعصب لها على طول الخط ، ووقف من ورائها مناصرا مؤيدا بدون تحفظ ، واذا كره ظاهرة اخرى قاومها بشدة ، مزورا عنها فى كبرياء تصل احيانا الى حد الفطرسة . وهو على العموم لا يعرف الاعتدال فى مواقفه ، ومن ثم كان المجددون من رجال الفكر والادب يحتالون عليه ضروبا من الاحتيال ، ويضبطون انفسهم فى وجه معارضته القوية ، متسلحين بالصبر الطويل ، حتى يتمكنوا من اقناعه وفتح حوار ايجابي معه ، فهو كرجل طاعن فى السن ، ليس من سبيل الى اقناعه براي يعارضه، الا بكثير من التاني والتروي وبراعة التناول . بينما القادة لا يخلون من مرونة ، ولو بلغ التعصب للراي ببعضهم اقصى مداه . وذلك لكونهم اشخاص ماديين ، يمكن التحاور معهم والتوجه اليهم بالادلة تلو الادلة ، قصد زحزحتهم عن مواقفهم . وطائفة هامة منهم تضطر الى التنازل احيانا عن

مواقفها الصارمة ، حتى لا تتهم بالجمود والعجز عن مسايرة ركب التطور الفكري ، خصوصا اذا كانت رياح الفكر متجهة فى اتجاه مضاد لوجهتها . وقد يلعب حب المحافظة على المركز الفكري والاجتماعي دوره فى هذا التنازل .

بعد هذه النظرة السريعة الى تلك الفروق الكائنة بين ذينك النوعين من السلطة الفكرية ، يمكننا القول بأنها تستمد عناصر تكوينها حتى من خارج الفكر نفسه ، تستمدها من الدين ومن السياسة ومن الاقتصاد ومن العلاقات الاجتماعية ومن التاريخ ، باعتبار أن حياة الفكر متأثرة بكل هذه الامور ، تمتص عصارتها وتتغذى بمقوماتها . ففكر كل امة تتجلى فيه مجموعة من القيم والمبادىء والقوى الروحية التي لا يمكن تفسيرها دون الرجوع الى اصول حياتها المادية والمعنوية ، بحيث اذا انقطعت لدراسة فكر امة امكنك أن تلمح من خلاله عقيدتها الدينية ، وعلاقة حاكمها بمحكومها ، وما هي عليه من غنى او فقر ، وما قد يكون فيها من صراع بين الاغنياء والفقراء ، ومبلغ رضاها بوضعيتها الاقتصادية وقناعتها بها ، او مبلغ رفضها لها وثورتها عليها ، وكذا قل بالنسبة الى اوضاعها الاجتماعية وما الى ذلك . نعم نجد احيانا نوعا من التعارض بين السلطتين من حيث الوفاء للامور المذكورة او مقاومتها . فالجمهور المثقف الماثل خلف الراي العام الفكري غالبا ما يكون محافظا على قيمه التقليدية،وقادة الفكر قد يكونون منسجمين معه فى ذلك وقد يخالفونه او يخالفه البعض منهم ، فيقع بين الطرفين سوء تفاهم قد يستحيل الى خلاف حاد . ومع ذلك فهذا لا يعفي سلطة القادة من ان تكون انعكاسا للقيم السائدة . ذلك ان معارضتك الشيء او الاعتراف به هما وجهان لحقيقة واحدة لاننا لا نعارض او نقر فى هذا المجال الا الشيء الموجود الذي اليه ترد المعارضة او الاقرار والاعتراف .

ربما ان السلطتين تستمدان كثيرا من مقوماتهما من اصول مشتركة ، فبينهما تلاق حول عدد من الاشياء يمكن اجمالها فيما يلي : كل منهما تحاول ان تضبط شؤون الادب والفكر وتحفظ لهما نظامها ، وتحول بينها وبين الفوضى والاضطراب . سلطة الراي العام تفعل ذلك بواسطة ما تتمسك به عادة من تقاليد ، وسلطة القادة تفعل ذلك بما تثبته من قواعد . وبين تقاليد الفكر وقواعده تحاط حياة الفكر باسلاك شائكة تمنع تسرب الفوضى . وكثيرا ما تتطابق التقاليد والقواعد الى حد الضغط على الفكر واصابته بضيق التنفس . وقد لا يكون فى مصلحته ان يقع نوع من التحالف بين التقاليد والقواعد للتضييق عليه . فالخير احيانا يكمن فى تباعدهما كي يخرج الفكر من بين الفكين المنفرجين الى الهواء الطلق . وكل منهما يحرس عددا من القيم الفكرية صادا عنها عادية الميوعة والتحلل ، جالبا لها عناصر التماسك والقوة . فقيم كل مجتمع انما تتحصن وراء عدد من الانظمة والاعراف والقوانين ، لو تخلت عنها لدب اليها الفساد واصابتها عوادي الضغط ثم الانحلال . وكثيرا ما تكون تلك الانظمة والاعراف والقوانين من نفس المعين الذي انبثقت منه القيم ، وحينئذ تكون هذه الاخيرة ذات دعائم قوية لا سبيل الى اضعافها او النيل منها الا فى زمن طويل . وكل منهما – اي السلطتين – يقع من الفكر موقعا يتلاءم وطبيعته . سلطة القادة تتربع على القمة ، وترفع المثل العليا ، وتبرز القيم الادبية الرفيعة ، وسلطة الراى العام تمكث بالقاعدة . والقاعدة هنا هي العقل الباطن لجمهور الفكر ، وضميره الادبي ومزاجه النفسي . وفى حياة كل فكر لا بد من وجود قمة وقاعدة على غرار ما يحدث فى الحياة السياسية ؛ القمة تخطط وترسم الطريق وتقنن القوانين ، والقاعدة تتلقى مخططات القمة وتوجيهاتها فتحافظ عليها وتصونها وتحميها فى غالب الاحيان . وقد يقع خلاف بين القمة والقاعدة ، ولكن هذا الخلاف لا يمنع اي واحد منهما من اداء وظيفته الطبيعية .

اذا نحن تصورنا سلطة الفكر على هذا النحو ، امكننا ان نتقدم خطوة اخرى حتى نصل الى تجلية التمرد الفكري على حقيقته . ان كل سلطة كيفما كان نوعها لا بد ان تحمل فى طبيعتها بذور التمرد عليها ، اذ من عادة الناس النفور من التقيد بالنظام ، والتقولب ضمن مجموعة من الاعراف والتقاليد والقوانين . وما كانت هذه الا قيود توضع على ميل الانسان الغريزي الى التحلل من النظام . ولذلك فهم يقبلونها لانهم نشأوا عليها ، او لكونهم اجبروا على قبولها اما من طرف مجتمعهم او من طرف هيئة خاصة ، ثم بعد ذلك اخذوا يتعودون عليها وينسجمون معها ، الى ان اصبحت بالنسبة اليهم امرا طبيعيا . ومع ذلك فقد يجد من الاسباب ما يجعلهم يضيقون بها يوما ، متأثرين بمنازعهم الذاتية المكبوتة فتصدر عنهم حركات تمرد وعصيان . وحينئذ لا بد ان يجدوا مبررا

او اكثر لعصيانهم . والمبررات دائما كثيرة وجاهزة، جنوحا منهم الى اقناع انفسهم بأن تمردهم ليس مجرد ظاهرة انفعالية ، وانما هو صادر عن اقتناع بوجهة نظر . ومن ثم كان التمرد ظاهرة طبيعية سأتولى شرحها بشيء من التوسع بعد قليل .

والتمرد الفكري هو من جنس التمرد بمعناه العام . اي انه تعبير عن ضيق بعض المثقفين بشتى القيود الفكرية والادبية المحيطة بهم من كل جانب . وهي نوعان : قيود خارجية قائمة فى الوسط الادبي والفكري ، وهي عبارة عن مجموع التقاليد الثقافية السائدة كالمناهج والاساليب والمواضيع والهياكل الثقافية برمتها . وقيود داخلية نفسية وعقلية ، هي عبارة عن الاصداء والرواسب والانطباعات التي تركها المحيط الخارجي فى نفس المثقف ، فكانت من وراء كل آرائه ومواقفه الفكرية ومآتيه الذوقية والوجدانية . التحالف القائم عادة بين هذين النوعين من القيود ، وحصار المثقف بينهما ، مما يخلق فى نفسه بذرة التمرد والعصيان . فهو تمرد على السلطة الفكرية والادبية المستمدة من قادة الفكر الذين يكونون كاعضاء حكومة بالنسبة الى الجمهور ، ومن الراي العام الادبي والفكري ، منظورا اليه من جهته الخارجية ، ومن خلفيته النفسية . وهنا يجدر بنا ان نقف قليلا عند هذه القضية : هل التمرد الفكري هو تمرد جميع القوى المنضوية تحت لواء العقل من ذوق وعاطفة ووجدان او هو تمرد العقل وحده ، باعتباره القوة العاقلة المفكرة التي يتحدث عنها كشيء قائم الذات يقف فى موضع الفعالية والوضوح والصدارة بالنسبة الى القوى النفسية الاخرى . او بعبارة اكثر اختصارا : هل التمرد الفكري خاص بالقوى الذهنية او هو تمرد عام يشمل الافكار والنظريات كما يشمل الانفعالات والعواطف والاستجابات الوجدانية ؟ اذا جاز لنا ان نضع حدودا مصطنعة مؤقتة بين قوى العقل والعاطفة والوجدان ، امكننا القول بأن العنصر الفكري الذهني هو الذي يبدأ بشق عصا الطاعة على التقاليد الفكرية والادبية السائدة ، فى الوقت الذي تكون فيه العواطف والوجدانات ما زالت مشتبكة بالتقاليد كدودة القز داخل شرنقتها . وجل الانتفاضات الفكرية كان العقل فيها هو صاحب الدور الاول ، وكان المثقفون الذين يحتل العقل النافذ المكانة الاولى عندهم ، هم طليعة المتمردين على الاعراف الثقافية السائدة . ولكن احيانا يكون من وراء تمرد العقل بعض البواعث النفسية العاطفية التي تعطي انتفاضة العقل حماسها ووقودها اللازمين . وهذا مصدر الحدة فى اللهجة التي نجدها لدى الكثيرين من المتمردين فكريا ، ولولا ان عقلهم يضع عليهم قيودا كثيرة لذهبت بهم حدة انفعالاتهم كل مذهب .

والآن نصل الى عملية التمرد الفكري نفسها . فما هي ؟ وما طبيعتها ؟ لقد تقدم شيء من صفاتها العامة ، ولكن ذلك لا يكفي لتصورها تصورا شاملا ودقيقا ، فلا بد من تحديد ادق . فوصف هذا الضرب من التمرد بانه مجرد محاولة الانعتاق من السلطة الفكرية القائمة ، ليس من شانه ان يجعلنا نتحدث عن شيء كامل الوضوح ، وله جدرانه الاربعة ، ولا من شانه ان يقنعنا فكريا الى درجة الاكتفاء . لذلك ازيد موضحا : ان التمرد الفكري فى حقيقته هو (عجز عن تغيير الاوضاع الفكرية يقترن به عادة رفض لهذه الاوضاع ، باي شكل من اشكال الرفض) وهذه عبارة تحتاج الى تحليل . ان الشخص الذي يجد من الوسائل ما يستطيع به تغيير نمط من انماط الحياة المادية او المعنوية لا معنى لان يتمرد . لان التمرد هو الحيلة التي يلجا اليها العاجز ، فبدل ان يعمد الى الظاهرة الاجتماعية او الفكرية فيزيلها ، يتمرد عليها، اي يحاول رفضها ، عن طريق الشروع فى عدم الالتزام بها ، مع بقاء الظاهرة قائمة الذات فى الفكر او فى المجتمع . لذلك كان المتمردون فى عالم الثقافة او فى غيرها من مجالات الحياة ، تشويشا على هامش النظام بمعنى انهم يتركون الطريق العام ، ويشقون لانفسهم طرقا جانبية يحاولون جلب الانتباه اليها ، وتحويل الانظار عن ذلك الطريق الطويل الذي طالما وطئته اقدام السابلة . واذن فالتمرد انما هو بديل القدرة على التغيير ، بحيث لو اتيح للمتمرد قبل تمرده ان يغير ما يود تغييره لما كان متمردا بالمعنى الذي شرحته . وما دام التمرد الفكري بديلا ، فهو حركة موقتة مبدئية ، وليس هو غاية ما يهدف اليه الخارج على الاوضاع الفكرية الجامدة ، بدليل ان المتمردين ما ان ينجحوا فى تمردهم ويحرزوا بعض الانتصار على خصومهم ، حتى يشرعوا فى ترك مواقع التمرد الى مواقع الهيمنة والقدرة على التغيير . وبناء على ذلك يكون التمرد الفكري هو انقلاب الشخص على نفسه فى حالة عجزه عن تحقيق الانقلاب على غيره ، والانسان اذ ينقلب على نفسه مثقفا كان

او غير مثقف ، لا يصح بحال من الاحوال اعتبار عمله هذا شخصيا محضا ، لا علاقة له بالغير ، ذلك ان الشخص هو مجموعة من العلاقات والالتزامات ، منها ما هو قانوني ، ومنها ما هو سياسي ، ومـا هـو اجتماعي ، وما هو ديني ، وما هو ثقافي . فاذا هو انقلب على نفسه ، كان في الحقيقـة منقلبـا على علاقاته والتزاماته . ومن ثم لو حاول مثقف ان يتمرد على ثقافته قصد استبدال قيم اخرى بقيمه الثقافية التي هي في الوقت نفسه قيم من يقتسمون معه حياة عقلية مشتركة ، لما عد عمله هذا عملا فرديا محضا ، لانه يمس بالكيان الثقافي العام . وهذا هو الـذي يعطيهم الصلاحية للتدخل في تمرده ، كي يوضع لتمرده حد ، حتى لا يستشري ويتضخم ، فيقابل التمـرد الفكري بقوى مضادة تعمل على استئصاله من اساسه . وهذه القوى ضرورية لوجود التمرد نفسه ، اذ لـو خلي بينه وبين ما يريد لاستحال بقاؤه تمردا . فلا بد من وجود قوى مضادة ، تقف حجر عثرة في طريقه ، وتسير في اتجاه مضاد لاتجاهه . وهـذه القـوى المضادة هي سلطة قادة الفكر ، وسلطة الراي العام الادبي . هذا معنى قولنا في تعريف التمرد انه (عجز عن تغيير الاوضاع الفكرية ، يقترن به عادة رفض لهذه الاوضاع باي شكل من اشكال الرفض) وبذلك يكون التمرد الفكري قد اتضح بما فيه الكفاية ، وصارت عندنا القدرة على التفرقة بينه وبين الثورة الفكرية ، او ارادة التغيير ، او التحول الثقافي ، او غيرها من الكلمات الملابسة لتمرد الفكر ، ويكون بينها وبينـه شيء من التداخل .

تقييم التمرد الفكـري :

تحيط بالتمرد الفكري بعض الشبهات ، وتقع عليه الوان من سوء الظن ، وهو في جل الاوسـاط الفكرية المتشبثة بمفاهيم وقيم ومعاييـر ثقافيـة عريقة منظور اليه على انه انحراف وتنطع وتجـاوز للمكتسبات الفكرية . ولذلك فهي تقاومه بكل مـا اوتيت من قوة ، معتبرة اياه نشازا يشوه جمال الحياة الفكرية . سلطة الراي العام تقاومه ، لانها ترى فيـه مساسا بنسقها الفكري الذي اطمانت اليه زمنا طويلا ، واجدة فيه راحتها وارتخاءها اللذيذ . وقادة الفكر التقليديون يقاومونه ، لكونه يحاول سحب الثقة منهم ، ووضع قشرة موز تحت اقدامهم . ومن ثم فهـو مطارد من الجانبين . وقد لا يعدم ان يجد اصوات تأييد خافتة تتسلل من خلال الثقوب الضيقـة في الجدران السميكة المحيطة به .

وعندي ان التمرد الفكري لا نشـاز فيـه ولا انحراف ، لانه ظاهرة صحية تتلاءم وطبيعة حيـاة الفكر . بل اني لا اتصور فكرا حيا دون ان تعتريـه من حين لآخر حالة انتفاض وتبرم بالروتيـن الفكري المالوف وتمرد عليه ، كي يجدد نفسه في مواجهـة تقلبات الحياة في شتى المجالات . وللبرهنـة على صحة هذه الفكرة اقول : ان التمرد جزء من طبيعـة الفكر نفسه ، ولا يمكن تصور فكر دون ان يكـون التمرد داخلا في صميم تكوينه . فما الفكر ؟ الفكر في ابسط صوره واقربها الى الفهم هو القوة العاقلة في الانسـان ، والتي اليها يرجع في تعليل شتى الظواهر المحيطة به ، قصد اتخاذ موقف منها . ولكن هل هذا الفكر هو فكر مجرد قائم الذات ؟ كلا ، انه فكـر هؤلاء الافراد الذين لا يقعون تحت حصر ، فلا يمكن تصوره الا من خلال الفرد . اما ما يقال عنه من انـه فكر اجتماعي فأمر لا يثبت امام البحث العلمـي . فالفكر الفردي هو الموجود حقيقة ، اما ما يدعـى بالفكر الاجتماعي فمجرد عبارة مجازية تطلق ويـراد بها وجوه الاشتراك والتشابه العديدة الموجودة بين افراد المجتمع الواحد في طرق التفكير ، داخـل حقبة زمنية معينة . ثم هل من الضروري ان يفكر الافراد باسلوب واحد ، وطريقة واحدة ؟ طبعا لا . لان كل فرد له من المقومـات الذاتيـة الوراثيـة والمكتسبة ما يجعل فكره يلتقي مع افكار الآخرين في اشياء ، ويختلف عنها في اشياء اخرى . ومن ثـم كانت الحياة العقلية لكل امة مسرحا لكثيـر مـن التناقضات والمواقف المتباينـة ، خصوصـا وان تقابل الملكات والكفاءات الفكرية واصطراعها وتحاورها من شانه ان يسفر عن ظهور الفروق بين اقوياء الفكر وضعفائه . وقوة الفكر ليست قوة مسالمة مهادنة ، قانعة ، وانما هي قوة طاغية ذات جبروت ، طمـوح الى بسط السيطرة وفرض التفوق . وفيها طبيعـة العدوان والافتراس والميل الى الزعامة وتكوين مدرسة من الاتباع والاذناب والحواشي . وليس ذلك راجعا الى ما قد يكون من غطرسة في بعض قادة الفكـر فحسب ، بل ان طبيعة الاقتدار الفكـري الفائـق تقتضي ذلك ، كالشأن في جميع القوى التي يزخـر بها هذا الكون ، وتطفح بها هذه الحياة ، اذ تجنح الى السيطرة على كل ما يمت اليها بصلة من الصلات .

وتلك طبيعة النظام الشامل لكل الكائنات ، في عالم موجوداته غير متكافئة . هذا الجبروت الفكري الجانح الى السيطرة وبسط النفوذ بحكم طبيعته ، ربما ركب في بعض قادة الفكر من غطرسة ، من أهم العوامل الخالقة . للتمرد الفكري . ذلك ان السلطة الفكرية كثيرا ما تتعارض مع حرية الفكر ، وتخلق تحيزا ضدها لدى بعض المنتمين الى الحياة الفكرية ، فيتمردون عليها ، شاقين عصا الطاعة ، رافضين الانضواء تحت لوائها ، وترديد ما تشيعه من آراء ونظريات . وهنا كثيرا ما تكون السلطة الفكرية مظلومة ، تهاجم وتستنزل من عليائها ، وتمس حقوقها مسا غير رفيق . وليس لها من ذنب الا انها رفضت التراجع – وهي القوية – وآثرت الوفاء لطبيعتها ، فلم تتخلف فيها بواعث الغلبة والاقتدار . وكثيرا ما يعمد المفكر ذو السلطة المذكورة الى ظلم المتمردين عليه ، الضاربين بآرائه عرض الحائط ، فيكيل لهم الصاع صاعين ، ويمر عنهم في الوحل ، ناثرا اياهم يمينا وشمالا ، كما يفعل النسر اذ تتحرش به بغاث الطير . وبذلك تهان القيم الانسانية ، ويساء عن عمد وسابق اصرار الى الارادات الخيرة ، الساعية الى ممارسة الحرية الفكرية واثبات الشخصية الانسانية ، والنضال من اجل الانعتاق الفكري ، والبحث عن جزر مهجورة ، وزوايا منسية افلتت من قسوة النظام الذي فرضته التقاليد الفكرية القائمة لشدة رسوخها وقيامها مقام الظواهر الطبيعية .

وقد لا يكون التمرد على السلطة الفكرية المتمثلة في زعماء الفكر فحسب ، بل حتى على النسق الفكري الذي يمثلونه ، بما في ذلك القيم الثقافية والفلسفية الفكرية السائدة ، والتي ينتظم تحتها كل الانتاج الفكري على سائر المستويات وقد اثبتت التجارب ان كل نسق فكري يحمل في طياته اسباب زواله والتمرد عليه . طالما ان كل الانساق الفكرية انما تريد ان تبقى ، وان تستمر ، ولو زالت مبررات وجودها ، الا انها ما ان تصل الى اوج قوتها ، وتستنفد كل اغراضها حتى تبدأ في الانحلال والتآكل ، اذ تخلق لها خصوما من نفس بيئتها يريدون نسفها من الاساس ، بشن الغارات على مواقعها الاساسية وما ترتكز عليه من قيم ومبادىء ، فلا تمر عقود من السنين على هذا التمرد ، حتى تكون قد تداعت للسقوط ، وترنحت تحت تأثير ما يوجه اليها من ضربات ، في الوقت الذي تكون فيه انساق فكرية اخرى قد برزت شابة متحدية عاقدة العزم على البقاء والاستمرار ، ولكنها هي الاخرى يكون مصيرها كمصير سابقاتها بعد ان تستنفد اغراضها ، وتصبح مانعة من اي تحرك فكري الا داخل وضمن مناخها . وما كل الانساق الفكرية خليقة بالزوال والاندثار ، فان في بعضها خيرا كثيرا وقيما رفيعة جديرة بالخلود والاستمرار ، ولكنه حب التغيير ، والكلف بالتهوية الفكرية ، وديدن الاجيال في اثبات ذاتها ، يدفعها الى التنكر للاجيال السابقة عليها وانتزاع المبادرة منها واحالتها على المعاش ، كي يخلو لها مركز الصدارة ، ويترك لها الطريق مفتوحا الى ما تريده من شهرة ونباهة ذكر وتول لمقاليد الحياة الفكرية . هذا مع العلم بأن الناس ابناء عصورهم دائما ، وحياتهم لا تسير على نمط واحد ، وانما هي دائمة التغير ، الامر الذي يفرض ان يكون نسقهم الفكري متغيرا هو الآخر ، حتى يكون هناك انسجام بين طرفي حياة الانسان : الطرف المادي ، والطرف المعنوي . فاذا كان هناك تعارض بينهما بأن كان الناس يفكرون على نحو ، ويحيون على نحو آخر ، اصبحوا يشكون في سلامة قيمهم الفكرية ويظنون بها الظنون . ها هنا تكمن بذرة التمرد الفكري .

ودعني اجازف بهذا الراي ، وهو ان الناس قبل اليوم كانت حياتهم تابعة لافكارهم ومبادئهم ، فصارت اليوم افكارهم تابعة لحياتهم . ومما يستأنس به في تبرير هذا الراي أن الافكار والمبادىء كان لها قديما من السلطان ما ليس لها اليوم ، وكانت الحياة تتسم بشيء من البطء غير قليل . وكان الناس محكومين بالعاطفة وما تنشئه فيهم آراؤهم وقناعاتهم الفكرية من مشاعر واحساسات ومن ثم كان لرجال الفكر المكانة الاولى في المجتمع بعد ذوي السلطان، نظرا لما لهم من تأثير كبير ونفوذ عظيم على الهيئة الاجتماعية . وكان الادب ينال من الناس ويتحكم في اقدارهم ، فيرفع قوما ويخفض آخرين ، لما كان للكلمة من فاعلية وتأثير . اما اليوم فالافكار تراجعت عن مكانتها العتيدة ، وصارت تابعة للحياة العملية الواقعية . ذلك ان الحياة العملية الواقعية بلغت من السرعة والتعقيد والديناميكية والتحرك في كل اتجاه، الى حد انها سيطرت على عقول الناس وشدتهم اليها بأياد من حديد ، وفرضت عليهم الذوق والراي والصورة واللون ، وكان من اثر ذلك ان ارتفع الواقع

الى مقام الحجة القاطعة ، وصار المنطق المقبول هو منطق الواقع ، وحتى صار الناس لا يحتون بالفكر على الواقع ، كما كانوا يفعلون من قبل ، وانما يحتجون بالواقع على الفكر ، لان ما هو واقع عندهم اولى بالتقديم مما هو مجرد خيالي او مثالي فكري او عاطفي ، وصاروا من جراء ذلك ينعتون من لا يرضخ للواقع بانه خيالي ، ولو كان لا يحتكم الى الخيال ، وانما يحتكم الى العقل ، اذ انهم اقاموا علاقة تناقض وتضاد بين الواقع والخيال . واعتبروا كل ما ليس واقعيا ضربا من الخيال . وانتشرت كلمتا : واقعي، وواقعية ، فى وقتنا هذا ، واكتسبتا معنى سحريا يكاد لا يحتمل المناقشة لدى جل الناس ، فيكفي فى التنويه بشخص ان يقال عنه انه واقعي ، ويكفي فى تمجيد فكرة او خطة ان توصف بانها واقعية . وبذلك صارت الواقعية هي المنطق وهي الفكر وهي الخاصية التي تهب لصاحبها قيمة بين الناس . ونخلص من هذا الى تأكيد ما سبق منذ قليل ، من ان افكار الناس صارت تابعة لحياتهم وصادرة عنها ومشتقة منها ، وان الكثيرين من المثقفين يجري عليهم فى هذا الصدد ، ما يجري على السواد الاعظم من الناس . وبما ان الحياة فى وقتنا هذا كثيرة التبدل والتغير كانها الفاتنة اللعوب ، فان افكار الناس ما تفتأ تتقلب وليس لها من قرار . ومن ثم كانت الافكار فى تمرد مستمر ، يثور بعضها على بعض ، حتى صار انسان العصر يغير فكرته بكل سهولة ، منقادا فى ذلك لتيارات الحياة من حوله . ويزيد فى بلبلة الافكار، الصحافة التجارية الواسعة الانتشار ، والتي تلبس لكل حالة لبوسها ، وتتلون بلون المصالح التي تمثلها، وتفسر ما تعرض له من وقائع تفسيرا يتلاءم وهذه المصالح ، لا يهمها الا ارقام المبيعات من اعدادها . اضف الى ذلك الدعاية المغرضة المنظمة الهادفة الى تلوين عيون الناس ووضع السماعات على آذانهم ، وادخال محلول كيماوي على اذواقهم وتعريضهم لصنوف من الاغراء تشغلهم عن مضامين الاشياء ، وتلهيهم عن اللباب بالقشور ، وعن الحقائق بالزخارف، وتأخذهم بالشعارات الزائفة ، الامر الذي ابعد اشياء ثمينة الى زوايا منسية ، ووضع فى دائرة الضوء الساطع اشياء تافهة ولكنها شديدة التأثير على عقول الناس واذواقهم ونظراتهم الى الحياة ككل . فلا غرابة اذا كان عصرنا هو عصر التمرد . الفكر يتمرد على الفكر ، والواقع يتمرد على الفكر ، والفكر يتمرد على الواقع .

وهنا اقف وقفة قصيرة لانفي عن التمرد الفكري الاصيل ما يعلق به من شبهات ، ولاستخلصه من بعض ما يلتمس به من ضروب ردود الافعال الفكرية غير المسؤولة ولا الناضجة فاقول : ان كل تمرد فكري لا بد ان يكون له مضمون فكري معين ، اي موقف محدد يطرح من خلاله البديل للاوضاع الفكرية التي وقع التمرد عليها . ذلك ان الانشقاق على النسق الفكري العام لا يعني شيئا اذا كان مجرد زوبعة فى فنجان ، يتخذ شكل رفض لما هو قائم ، دون ان يكون منطلقا من تجربة فكرية حية مبدعة . وكثيرا ما نجد بعض مراهقي الفكر يحدثون نشوزا فى الحياة العقلية قصد لفت الانظار اليهم ، وليصيروا محط اهتمام من طرف الوسط الذي اهملهم لانهم ليسوا جديرين بالاهتمام ، او لانهم ما زالوا فى اول الطريق ، ولم تتفتق محاولاتهم عن عمل فكري واعد . وعليه فيجب الا نخدع بما قد نجد احيانا من تظاهرات تتخذ شكلا فكريا خاليا من اي مضمون ، وتحاول استعارة علامات التمرد الفكري وليست منه فى شيء . ومن ثم فهي لا تستحق احترامنا . وخير ما يقضي عليها ويحولها اثر ابعد عين ، هو اهمالها وعدم تغذيتها بالحديث عنها ونقد اصحابها بما فى ذلك اشارتي اليهم فى هذا المضمار .. !

واذا كان التمرد الفكري بمعناه الاصيل الدقيق ظاهرة صحية ، فان ما يلتبس به ويتشبه به من تظاهر فارغ ، ليس الا شذوذا ، ولا باعث عليه من التجربة الفكرية نفسها ، وانما باعثه حب الظهور والرغبة فى الامتياز ، اذا لم يكن عن طريق الخلق والابداع ، فعن طريق احداث الصخب والضجيج . ولكن مما يؤسف له ان الكثيرين تنطلي عليهم الحيلة ، ويخافون من الاصوات الصاخبة فينشقون لاصحابها عن طريق يمرقون منه الى حيث توجد الطليعة المفكرة، فيحتكون بها ، ويندسون فى صفوفها بوقاحة اللسان، وصفاقة الوجه ، وقلة الحياء .. ! كما يفعل المارة اذ يصك آذانهم بوق سيارة حاد ، فيهربون الى جانبي الطريق تاركين لها المجال . ! واذا كان التمرد الفكري الاصيل ظاهرة صحية ، فان التظاهر الكاذب مظهر غير صحي ، ذلك ان التمرد الفكري يجدد انسجة الحياة العقلية ويفتح امامها آفاقا طريفة للتأمل والتفكير ، ويحدث هزة فى المقاييس الذهنية المالوفة من زمن بعيد ، على حين ان التظاهر الكاذب زيف ونفاق واستغلال للقيم الفكرية للوصول الى

اغراض ساقطة ، ومحاولة خبيثة مسمومة لنشر الفوغائية واسلوب التنطع والقفز فوق الرؤوس .

هذا وقد يكون التمرد الفكري خاليا من القدرة على طرح البديل للقيم الفكرية السائدة في اول الامر، اذ يظهر في شكل اقرب ما يكون الى التظاهر الكاذب، ولكنه ما يفتأ يبحث عن بديل الى أن يجده ، وهنا يستوي قوة فكرية دافعة ، تفرض احترامها . ذلك ان البديل المطروح هو المبرر المعقول لوجود التمرد ، واضفاء صفة المشروعية عليه ، بشرط ان يكون هذا البديل رؤيا جديدة ، تزيد في ثراء الفكر القومي ، وتتحدى أقوى عناصره وملكاته . التمرد العاجز عن رؤية البديل في أول الامر ، يكون ثورة في الوجودان ، مبهمة الاهداف والغايات ، اذ هي ضرب من الشعور بالملل وكراهية الرتابة ، ومن حب التغيير والتجديد في قواعد التفكير ومنطلقاته ومسلماته ، مما تضطرب به قلوب شباب طموح ، يود ان يعيش تجربة فكرية تنسجم وتطلعاته الى المستقبل . ولكن الرؤيا الغامضة ما تلبث ان تتضح، والضباب الذي يحول دون رؤية الاهداف ما يلبث ان ينقشع ، فيطرح البديل الفكري ، وتنهض فلسفة جديدة تدعم الموقف المتمرد ، ولا يحصل ذلك الا بوجود نزاهة النفس ، وشرف القصد ، وصفاء النية ، وقوة الضمير .

فاس : عبد العلي الوزاني



رسائل جامعية :

الأدب في ظلال الصنهاجيين

عرض : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

رسالة دكتوراه نوقشت فى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر فى 28 من يونيو سنة 1977 تقدم بها الى الكلية الباحث محمد سلامة يوسف رحمة وحصل بها على الدكتوراة فى الادب والنقد بمرتبة الشرف الاولى مع التوصية بطبعها على نفقة جامعة الازهر وتبادلها بين الجامعات الاخرى .

— 1 —

تتكون هذه الرسالة من :

ا ـ مقدمة واشتملت على :

— التعريف بموضوع الرسالة وبيان الاسباب التي دفعت الطالب الى اختياره .

— بيان اهمية الموضوع واهمية دراسته ومدى الحاجة اليه .

— بيان الصعوبات التي عاناها الطالب وكيفية التغلب عليها .

— التعريف بأهم المصادر والمراجع وبيان اهميتها

ب ـ هيكل البحث بأبوابه وفصوله .

ج ـ خاتمة الرسالة ثم مصادرها ومراجعها وفهارسها .

اما هيكل الرسالة فيحتوي على اربعة أبواب ، لكل باب فصوله الخاصة به ، وقد بلغت فى مجموعها ستة عشر فصلا على الوجه التالي :

ا ـ الباب الاول :

موضوعه (عصر بني زيري الصنهاجيين) واشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الاول :

عن (الحياة السياسية) وفيه عرض الباحث للتاريخ السياسي لهذه الدولة التي خلفت الفاطميين على المغرب مع التركيز على المعز بن باديس ، وما نجم عن انفصاله عن الفاطميين ، وانشقاقه عليهم ، وخلع طاعتهم ، ونبذ دعوتهم وتحولهم الى السنة واتجاهه نحو المالكية ، وايقاعه بالشيعة ، واسرافه فى تقتيلهم وتحريقهم ، وما استتبع ذلك من غضب الفاطميين ، واغرائهم أعراب الصعيد بالمغاربة ، وما تمخض عن ذلك من خراب القيروان وتقلص ملك بني زيرى منها .

الفصـــــل الثانــي :

عن (الحياة الاجتماعية) وفيه عرض الباحث للعوامل التي كان لها أثرهـــا البالـــغ فى الحيـــاة الاجتماعية لهذه الدولة ، ولطوائف المجتمع مـــن فقهاء تزعموا حركة المعارضة القوية للامراء ، ومن مرابطين نفروا الى الجهاد ، وخفـوا الى المعاقـــل والحصون للذب عن حوزة المسلمين ، والذود عــن حياضهم ، ومن طائفة أسرفت على أنفسها ، واخذت بأسباب من الحياة اللاهية المستهترة العابثة ، كما عرض لظاهرة كادت مساجد القيروان تنفرد بهـــا ، وهي انشاد الرقائق التي كان الناس يتواجدون عند انشادها ، وتسيل عبراتهم عند سماعها .

الفصـــــل الثالـــث :

عن (حالة العمران) تناول فيه بايجاز حالـــة العمران بقدر ما تدعو اليه الحاجة الى تعرف الحياة الفكرية والادبية ، لانه المهد الوطيء الذي درجـــت فيه هذه الحياة والبيئة التي تنفست فى جنباتها ، ونشطت فى رحابها ، واجتزأ بالحديث عن القيروان، وتونس ، والعباسية ، ورقادة وصبرة والمهدية .

الفصـــــل الرابـــع :

عن (الحياة الفكرية) أرخ فيـــه للدراســـات الفقهية واللغوية والنحوية ، وعرض لها عرضا موجزا.

ب ـ البـــاب الثانـــي :

موضوعه (الادب المغربي) ويقع فى فصلين :

الفصـــــل الاول :

عن (الادب المغربي بين الاصالة والتقليـــد) عرض فيه لاثر المشرق فى التراث المغربي وادبــه وبين ان موقع المغرب الجغرافي وتوسطه بين شرق الدولة العربية واقصى غربها فى الاندلس أتاح له ان يكون ملتقى لثقافات طرفي الدولة ، وان المغاربـــة أخذوا يعارضون المشارقة ، وينافسونهم بـــل ان بعضهم انتقص المشارقة وغض من شأنهم .

الفصـــــل الثانـــي :

عن (النثر وخصائصه) قسم فيه النثـــر الى ثلاثة اقسام : النثر الاداري المستخدم فى مراسلات الدولة الرسمية وأجهزة القضاء والجيش ، والنثـــر العلمي الذي استعمله المؤلفون فى مصنفاتهـــم فى الفقه واللغة والتاريخ مثل رسالة ابن أبي زيد الفقيه، وتاريخ افريقية والمغرب للرقيق القيرواني ، والنثر الادبي المطبوع بطابع الصنعة فقد غلب عليه السجع والاكثار من الاستعارات والمجازات والوان المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية والتأنق فى اللفظ ، وكأنهم اتخذوا من أسلوب المقامات الوافد عليهم من المشرق نموذجا يحتذونه ويقلدونه ، كما صنع ابن شرف فى رسالته أعلام الكلام ثم عرض لثلاثة نماذج من النثر الادبي هي : العمدة وقراضة الذهب وما أثر لنا من « انموذج الزمان فى شعراء القيروان » مبينا طريقة ابن رشيق فى الكتابة الادبية ومنهجه من حيث طرق الاداء والتعبير عما يعالجه من قضايا ، ويتناوله من مسائل ، ثم عرض لطائفة من أعلام الكتاب ونماذج من الكتابة الانشائية .

ج ـ البـــاب الثالـــث :

موضوعه (الشعر) وقد تناول الباحث هـــذا الموضوع فى فصول اربعة :

الفصـــــل الاول :

(نهضة الشعر) تحدث فيه عن أسباب نهضة الشعر ورجعها الى تشجيع أمراء بني زيري للشعراء، واجزالهم لهم الصلات ، واذكائهم روح المنافســـة بينهم ، واستقدامهم من شتى الاقاليم ، ونتيجة لذلك نهض الشعر وكثر الشعراء فى القيروان وخاصة فى عهد المعز ابن باديس ، وحتى خصص ابن رشيـــق كتابا قصره على شعراء القيروان المعاصرين له .

الفصـــــل الثانـــي :

(تصوير الشعر للحياة السياسية والاجتماعية) بين فيه ان أمراء بني زيري سخـــروا الشعـــراء ، واتخذوا منهم ألسنة تلهج بآيات المديح والثناء عليهم، كما سخروهم لازجاء أوقات فراغهم حين يخلدون الى

الراحة ، ويركنون الى الدعة ، وللهوهم حين يطيب لهم ان يلهوا ، فالفراغ اللاهي كان يدفع بالمعز بن باديس الى ان يعقد المجالس للشعراء ، ويتقدم اليهم أن يلقوا في وصف طعام من الاطعمة أو فاكهة من الفواكه الى غير ذلك ، ثم بين كيف كان الشعر مرآة صادقة انعكست عليها الحياة السياسية والاجتماعية، كما بين اننا نلمح فيه ظلال للحياة الفكرية واورد أمثلة على ذلك .

الفصل الثالث :

(اغراض الشعر) اوضح فيه أن الشعراء قالوه في شتى الاغراض ونظموه في كافة الفنون الشعرية وانهم سبقوا المشارقة في فن رثاء المدن وأن هناك ظاهرة كادت مساجد القيروان تنفرد بها ، وهي انشاد الرقائق ، ومن الاغراض التي طرقوها المدائح النبوية والمساجلات الشعرية ووصف الطيف ، ومن الفنون الشعرية التي عرفوها واجادوها وبرعوا فيها قبل المشارقة رثاء المدن الذي عرف أول ما عرف في المغرب عندما سقطت القيروان في ايدي الاعراب .

الفصل الرابع :

(أعلام شعراء هذا العصر) تناول فيه بالتعريف بعض مشاهير شعراء هذا العصر ، مع التركيز على اثنين هما : علي بن عبد الغني الحصري ، والرقيق القيرواني .

هـ ـ الباب الرابع :

وموضوعه (النقد الادبي) ويقع في ستة فصول :

الفصل الاول :

(منزلة القيروان في النقد) بين فيه أن النقد في هذا العصر أصاب حظا كبيرا من التقدم والازدهار، وأن القيروان كانت ملتقى الآراء النقدية الوافدة من المشرق والاندلس تلك الآراء التي ترددت أصداؤها في جنبات القيروان وقرعت مسامع الادباء والنقاد بها ، واختلطت بما كان يدور ويتردد في مجالسها من أصوات نقدية من نحويين ولغويين وعروضيين لهم نظرياتهم الخاصة في الشعر والغريب واللغة والمحسنات اللفظية ومن نقاد امثال عبد الكريم النهشلي في كتابه الممتع وكيف تناول فيه اثر البيئة في الشعر ، والقزاز الذي عرف باتجاهه اللغوي والحصري في زهر الآداب الذي حفظ فيه كثيرا من الآراء النقدية قل ان نجدها في مصدر آخر غيره وابن شرف في رسالته « اعلام الكلام » التي حمل فيها على مقاييس الشعر القديم التي تعارف عليها الرواة واللغويون ، وابن رشيق في كتابه العمدة الذي توجت به حركة النقد الادبي في هذا العصر .

الفصل الثاني :

(القزاز القيرواني) عرض فيه لاتجاهه اللغوي في آرائه النقدية المتمثلة في كتابه « ما يجوز للشاعر في الضرورة » وانتهى الى ان القزاز اللغوي النحوي بموقفه المتسامح من الضرورة على النقيض من اللغويين والنحويين يستحق التقدير والاكبار من جانب الشعراء والنقاد على السواء ، أما الشعراء فقد نبههم الى حقهم في استعمال الضرورة ، وأما النقاد فقد نعى عليهم تناقضهم في موقفهم المتشدد للغاية من الضرورة في اشعار المحدثين ، وتساهلهم فيها مع الشعراء القدامى ، وبين أن القزاز صدر في رايه هذا عن كونه شاعرا تدفعه رغبة اكيدة وملحة في ان يوسع على الشعراء مذاهب اللغة والنحو ، وان يضيق عليهم شأن اللغويين والنحاة وانه خليق بالنقاد المحدثين أن يقفوا على هذا الكتاب ، وأن يتبينوا موقف القزاز من الضرورة وأن يتحققوا من ترخصه فيها وتسامحه بها ، وأن يدركوا ويعوا بواعث هذا الموقف ومقتضياته وأسبابه ودواعيه حتى يعرفوا انها حق للشاعر له أن يستعملها عند الحاجة اليها .

الفصل الثالث :

(الحصري) عرض فيه لكتابه « زهر الآداب» ومصادره وعناية صاحبه بانتقاء نصوصه التي تكاد جميعها تكون مشرقية ، وبين أن موضوعه هو الادب بالمعنى المفهوم عند القدامى لهذه الكلمة الشامل للشعر الجيد والنثر الحسن المستعذب والاخبار والنوادر مع شيوع الفوضى والاستطراد وعدم اصدار حكم فيما يعرض له من نصوص واعتداله في فهم البلاغة اذ كان يرى انها الحد الوسط بين الغريب الوحشي والساقط السوقي ، وذهابه مذهب اصحاب

المدرسة الادبية فى البلاغة القائم على الاكثار المسرف من الامثلة والشواهد الادبية والاعتماد على الذوق وحاسة الجمال مع الاقلال من البحث في التعاريف والاصطلاحات كما حفظ لنا صورة واضحة للحياة الادبية في عصره بما نقله من استعمالات معاصريه فى شتى الموضوعات الادبية والاجتماعية ، فقد عقب كل باب وقفى عليه بفصل تحت عنوان « الفاظ لاهل العصر » ونحو ذلك ، وقد شملت هذه الاستعمالات شتى الموضوعات التي طرقها ، وعرض لها فى كتابه ، ورجحت انها من تاليفه لغلبة السجع عليها ذلك الاسلوب الذي يذكرنا بأسلوبه المسجوع فى مقدمة الكتاب وخاتمته كما اشتمل على نصوص ، وحوى معلومات تاريخية كثيرة لها خطرها وقيمتها الكبيرة فى تاريخ الادب العربي ، كما احتفظ بنصوص نادرة قل أن نجدها فى غيره من المصادر وهذه النصوص القت الضوء على كثير من القضايا الادبية مثل كلمة الحاتمي التي تمثل فهمه للوحدة العضوية فى القصيدة العربية .

الفصل الرابع :

(عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي) تناوله بالتعريف ، وبين انه كان من كبار الادباء والكتاب والشعراء بالقيروان ، كما كان رائد الحركة النقدية بها ، واستنتج من الاثارات التي وصلت الينا من شعره أنه كان شاعرا طويل النفس ، متجنبا للهجاء لما فيه من قبح الاثر وسوء الاحدوثة ، كما كان عارفا باللغة خبيرا بأنساب العربية وأيامها ، كما يبدو من كتابه « اختيار الممتع » ثم عرض لكتابه « اختيار الممتع » وبين انه يكاد يكون اهم كتاب تناول فيه صاحبه الشعر بالدراسة ، وحاول فيه ان يجعل للشعر علما خاصا به ، وان يتصدى فيه للدفاع عنه ، وان يسوق كل ما يمكنه من حجج وبراهين ترفع من شأن الشعر ، وأن يعرض له من ناحية كونه علما وفنا وعرف به فى عدة مواضع ، كما تحدث عن اولية الشعر ورفعة منزلة الشاعر عند العرب لحاجتهم اليه مع كثرة ايراد الشواهد الشعرية ، واغفال عزوها احيانا ، والعناية بشرح المفردات وندرة التعرض للمسائل النحوية والصور البيانية ، كما عرض لنقول ابن رشيق عن الممتع ، وخاصة راي عبد الكريم المشهور فى اختلاف المقامات والازمنة والبلاد الذي لا يوجد فى نسخة الاختيار التي بين أيدينا ، وانتهى الى انه اذا اعوزنا كتاب الممتع فاننا لم نفقد مضمونه وخلاصته بل اننا نحس روح هذا الكتاب تطوف فى ثنايا العمدة ، وتطالعنا من حين لآخر ، كما انه لا تعوزنا آراء عبد الكريم بل اننا نراها فى عمدة ابن رشيق .

الفصل الخامس :

(ابن رشيق) ترجم له فيه ، وانتهى الى انه اعجمي رومي الارومة عربي ازدى بالولاء واللسان والمنشأ والمربي ، ثم عرض لشيوخه ذوي النزعات المختلفة والاتجاهات المتباينة ، وبين وجوه تاثره بكل منهم ، ثم عرض لحياته فى كنف المعز بن باديس وابن مدكود امير مازر بجزيرة صقلية ثم نوه بمنهجه العلمي وما التزمه من اخذه نفسه بما ينبغي أن يكون عليه العالم الثقة الثبت من الامانة العلمية من عزو للآراء التي ينقلها الى اصحابها واسنادها اليهم ، وذكر المصادر التي استقى منها ونقل عنها ، والرجوع بالفضل الى اهله وذويه ، ثم تحدث عن اثاره ومصنفاته ، كما عرض لشعره وانتهى الى انه كان يتمتع بشاعرية ممتازة الا انها توارت وراء ما عرف به من كونه صاحب بلاغة ونقد ورجل لغة وادب ، فضلا عن أن شعره لم يصل الينا كاملا ، ثم عرض لاهم ارائه النقدية فى كتابه العمدة مثل قضية اللفظ والمعنى ، وانتهى الى انه كان يميل الى جانب المعنى، ورجع ذلك الى شيوع هذا المذهب فى المغرب ، والى ميل النقاد المغاربة اليه ، ونظرته الى الشعر ، وانه لا بد ان يتوافر قصد الشعر فيما يطلق عليه اسم الشعر ، وتنويهه بأهمية الوزن والقافية ، وادراكه لعنصر العاطفة فى الشعر ، حتى نادى بضرورة الفصل بين الشعر والفلسفة وجر الاخبار ، كما عرض لرايه فى القدامى والمحدثين ، وانتهى الى انه كان ينظر الى الشعر بعين الانصاف والحيدة ويقومه من حيث هو اثر فني بغض النظر عن قائله وعن زمنه ، بل كان يعطي كلا حقه ، ويضعه حيث وضعه شعره ، كما عرض لرايه فى تاريخ الشعر ونشأته واعتماده على روايات ساقها ، ونقول اوردها عن المتقدمين دون ان يقرر رايه فيها ، كما عرض لجملته على البناء التقليدي للقصيدة العربية من استهلالها بالنسيب على الصورة المأثورة عن الجاهلية من بكاء الديار والوقوف على الاطلال ومخاطبة الربوع والمدن ، واستيقاف الصحب وذكر الرحلة والانتقال الى مدح المقصود ، اذ كان

يرى ان عصره تغيرت فيه حال الشاعر ، فنأى عن البادية ، وسكن القصور ، كما أشار الى الوحدة العضوية للقصيدة العربية واستشهد عليها برأي اخذه عن الحاتمي ، كما عرض لارائه في قضايا التكسب بالشعر ، وتخير الاوقات الملائمة لانتاج الشعر والدوافع التي تثير قريحة الشاعر الى القريض ، وتبعثه على الاجادة فيه ، وبين انه أولى هذه القضية عنايته واهتمامه ، اذ كان شاعرا مر بالتجربة الشعرية وعاناها ، الى آخر ما عرض له من آراء ابن رشيق في العمدة ، كما بين أن موضوع رسالته « قراضة الذهب » هو النظر في الخلق الشعري وتتبع تطوره ونقد الاشعار في مجال هذا الخلق ونطاق هذا التطور، وانها تمثيل لفكره الشخصي وصورة لوقوفه على الخلق الشعري ، وتفقهه فيه حيث أن موضوعها هو تتبع المعاني واستقراء الوان البديع في أشعار الشعراء منذ اخترعها مخترعها من بداية العصر الجاهلي ، وتداولها من أتوا بعده حتى عصر ابن رشيق ، فزادوا عليها واضافوا اليها ، وحسنوا فيها، او قصروا عنها ، وانه يأخذ نفسه فيما بقي من كتابه « انموذج الزمان في شعراء القيروان » بتطبيق المعاصرين له ، كما عرض لمظاهر تأثره بمن سبقه من النقاد ، وانتهى الى انه لم يكن ينقل آراء سابقيه نقلا ، وانه لم يكن يأخذها دون أن يعمل فيها فكره ودون ان يناقشها بل كان يناقشها ويقبل منها ما يقبل، ويرفض ما يرفض صادرا في ذلك عن دقة بصر بالنقد ، وبيان لوجهة نظره فيما يأخذ به أو يرفضه محتكما الى المنطق السليم ، ومعتمدا على حسه اللغوي وذوقه الادبي .

الفصل السادس :

(ابن شرف القيرواني) عرف به ، وذكر أنه كان شخصية خصبة متعددة الجوانب ، فهو اديب ناقد كاتب شاعر صاحب منظوم ومنثور كما اشتهر بالعلم والفقه حتى ترجم له صاحب معالم الايمان وسلكه في عداد الفقهاء ، ثم انخرط في سلك خدمة المعز بن باديس ، وفي ظلاله اتصلت المناقضات والمجادلات والمناظرات بينه وبين قرينه ومنافسه ابن رشيق ، وبعد عام النكبة ركب البحر قاصدا جزيرة صقلية ثم غادرها الى الاندلس ، وتردد على ملوك الطوائف الى ان ادركته منيته بطليطلة ، ومن اهم آرائه حملته العنيفة على مقاييس علماء اللغة والرواة وما ذهبوا اليه من تفضيلهم القديم واستحسانه لا لشيء الا لمجرد قدمه وسبق الزمن بصاحبه ، وتنبهه الى خطأ هذه القضية ، ونظرته الى الشعر بعين النصفة ، ودعوته الى التزام الحيدة في الحكم عليه وتقويمه من حيث هو اثر فني دون نظر الى قائله وزمنه ، وعلى وجه الاجمال فرسالة أعلام الكلام باشتمالها على العديد من القضايا النقدية ، واحاطتها بالكثير من المسائل الادبية تعد متنا في النقد الادبي ، الا انه لا يتقيد فيها بمنهج نقدي يقوم على الاستقصاء والاستقراء والتحليل والتعليل ، وانما يتناول طائفة من الاخبار النقدية ، واشارات متفرقة هنا وهناك ، ويبدي آراء جزئية في هذا الشاعر او ذاك ، ويصدر احكاما عامة مسرفة في التعميم .

هذا هو هيكل الرسالة بمحتوياتها اجمالا ، وقد ولي ذلك مباشرة خاتمة الرسالة التي اوردها فيها الباحث صورة عامة مجملة للبحث ، ثم اشار الى اهم النتائج التي توصل اليها والجديد الذي اضافه المكتبة العربية ثم اشار الى ما بدا له اثناء دراسته من مقترحات تنهض بالدرس الادبي في جامعة الازهر العريقة التي اختارها الله لتكون حصن القرءان وعلومه وحامية حمى لغة العرب وتراثها في كل صقع فتح باسم الله .

والبحث كله جديد وهو اضاءة للحياة الادبية في عصر كامل هو عصر دولة بني زيري الصنهاجيين.

— 2 —

اما اهم الافكار والنتائج الجديدة التي كشف عنها الباحث في رسالته فهي باختصار شديد :

1 ـ البحث في جملته ووفق منهجه وبالهدف المقصود منه يعد جديدا لم يكتب فيه من قبل، والقاء الضوء على الحياة الادبية والنقدية لعصر باكمله ـ هو عصر دولة بني زيري خلفاء الفاطميين على المغرب ـ باتجاهاته واعلامه وخصائصه وأعلامه وسماته شيء جديد كل الجدة ، اصيل غاية الاصالة ، وعلى جانب كبير من حيث الاهداف والنتائج .

2 ـ من الفنون الشعرية التي عرفها المغاربة واجادوها ، وبرعوا فيها قبل المشارقة ـ كما ابانت الرسالة ـ رثاء المدن الذي اجاده شعراء

المغرب وتفوقوا فيه عندما سقطت القيروان في ايدي اعراب الصعيد في منتصف القرن الخامس الهجري (449 هـ) وقد سبق شعراء المغرب الاندلسيين في هذا الفن الجديد من رثاء المدن.

3 ـ هناك ظاهرة كادت مساجد القيروان تنفرد بها، وهي انشاد الرقائق التي شغف بها القوم ، وزاد ولعهم بها واشتد حرصهم عليها ، فكانوا يتواجدون عند انشادها ، وتسيل عبراتهم عند سماعها ، وقد مال اليها كثير من فقهائهم فكانوا ينشدونها ، ويترنمون بها في مجالسهم ، وبلغ من حرصهم عليها انهم كانوا يختمون بها مجالسهم ، بل ان الرقائق كانت هي الشغل الشاغل لكثير من الزهاد ، فقد اخذت عليهم تفكيرهم حتى كادت تصرفهم عن كل ما سواها، وقد أوضح صاحب البحث ذلك بتفصيل .

4 ـ الكتابة في هذا العصر كانت مطبوعة بطابع الصنعة ، فقد غلب عليها السجع والاكثار من المجازات والاستعارات والوان المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية وكأنهم اتخذوا من اسلوب المقامات الوافد عليهم من المشرق نموذجا يحتذونه ويقلدونه ، كما بينت الرسالة ذلك .

5 ـ توضيح مذهب ابن رشيق الادبي ، وانه لم يكن فيما تناوله من دراسات ، وتعرض له من موضوعات يعمد الى صنعة وزخرف ، او يقصد الى تزيين لفظ وتزويق عبارة او يلجأ الى اصطناع محسنات بديعية من جناس وطباق ومقابلة وتورية وما اليها من محسنات ترهق البحث وتطغى على الفكرة ، وتحول دون ادائها واخراجها على وجهها ، اما عندما يتناول موضوعا من الموضوعات الانشائية الصرفة الصادرة عن الذات فانه كان يجري فيها على اسلوب عصره المغرق في الصنعة المغالي في الزخرف والتزاويق الكلامية ، ويرجح ذلك ان رسائله التي لم يبق منها سوى اسمائها جاءت بعض عناوينها مسجوعة .

6 ـ درس الباحث القزاز القيرواني ، وعرض لاتجاهه اللغوي في النقد المتمثل في كتابه « ما يجوز للشاعر في الضرورة » مبينا أن النقاد وقفوا موقفا متشددا من الضرورة الشعرية ، وانهم اشتطوا على الشعراء المحدثين، وبالغوا في العنت بهم ، واستقبحوا وقوع الضرورة في اشعارهم ، وانكروها عليهم ، وعابوهم بها ، اما القزاز فلم يذهب هذا المذهب بل ذهب الى النقيض مما ذهبوا اليه في كتابه « ما يجوز للشاعر في الضرورة » فوضع الضرورات بين ايدي الشعراء لكي يستعملوها عند اضطرارهم اليها ، وحاجتهم الى استعمالها، ولم يقف عند هذا الحد بل ذهب الى ابعد من هذا فحاول أن يلتمس لهم المعذرة في ارتكابها، وان ينتصف لهم ممن يعيبونهم بها ، وينكرونها عليهم ويؤاخذونهم بها ، فالضرورات في حقيقة امرها ليست عيوبا ، وانما هي جوازات ورخص للشاعر ان يأخذ بها عند حاجته اليها ، وانتهى الى ان القزاز بموقفه المتسامح من الضرورة خليق بالتقدير من جانب الشعراء والنقاد على السواء ، اما الشعراء فقد نبههم الى حقهم في استعمال الضرورة ، واما النقاد فقد نعى عليهم تناقضهم في موقفهم المتشدد من الضرورة في اشعار المحدثين وترخصهم فيها مع الشعراء القدامى ، وبين أن القزاز صدر في رايه هذا عن كونه شاعرا تدفعه رغبة اكيدة وملحة في ان يوسع على الشعراء مذاهب اللغة والنحو والا يضيق عليهم شأن اللغويين والنحاة وانه خليق بالنقاد المحدثين ان يقفوا على هذا الكتاب ، وان يتبينوا موقف القزاز من الضرورة ، وان يتحققوا من ترخصه فيها ، وتسامحه بها ، وان يدركوا ويعوا بواعث هذا الموقف ومقتضياته واسبابه ودواعيه ، حتى يعرفوا انها حق للشاعر له أن يستعملها عند الحاجة اليها .

7 ـ ذهب الدكتور محمد حسين الى ان القزاز دفن بالقاهرة بينما الثابت من النص المأثور لنا من تلميذه ابن رشيق كما بينت الرسالة ـ ان وفاته كانت بالقيروان .

8 ـ ذهب الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب الى ان القزاز كان يمدح الامراء الفاطميين وقد جانبه الصواب فيما ذهب اليه اذ لم يؤثر لنا عنه مدحة واحدة لهذا الامير او ذاك من امراء الفاطميين ، بل انه ليغلب على الظن ان القزاز كان يضمر العداوة والبغضاء للفاطميين ، وليس ادل على ذلك من تصدره محاكمة ادبية نقدية

لاختيار احسن القصائد التي قيلت في ثورة اهل القيروان بالشيعة فضلا عن المديح لم يكن من الاغراض الشعرية التي احتفل بها .

9 — حلل الباحث زهر الآداب للحصري ، وبين أن عمل الحصري فيه لم يكن مقصورا على انتقاء النصوص والاكتفاء بجمعها وسردها ، بل كان يضيف الى ذلك كثيرا من شروحه ويبدي آراءه وملاحظاته في كثير من المعاني والاغراض الشعرية التي تناولها ، وتعاقب عليها طائفة من الشعراء ، كما كان معتدلا في فهمه للبلاغة فهي عنده حد وسط بين الغريب الحوشي والساقط السوقي ، ويتضح من تعريفه للبلاغة ومن مختاراته ونقوله فيها من اقوال علماء البلاغة والبلغاء والفصحاء أنه كان يذهب مذهب أصحاب المدرسة الادبية في البلاغة القائم على الاكثار المسرف من الامثلة والشواهد الادبية والاعتماد على الذوق وحاسة الجمال مع الاقلال من البحث في التعاريف والاصطلاحات كما حفظ لنا صورة واضحة للحياة الادبية في عصره، واشتمل على نصوص ، وحوى معلومات تاريخية كثيرة لها خطرها وقيمتها الكبيرة في تاريخ الادب العربي ، كما احتفظ بنصوص نادرة ألقت الضوء على كثير من القضايا الادبية مثل كلمة الحاتمي التي تمثل فهمه للوحدة العضوية للقصيدة العربية .

10 — عرف بعبد الكريم النهشلي رائد الحركة النقدية بالقيروان ، وعرض لكتابه « اختيار الممتع » بالدراسة والتحليل ، كما عرض لنقول ابن رشيق عن الممتع وخاصة رأي عبد الكريم المشهور في اختلاف المقامات والازمنة والبلاد الذي لا يوجد في نسخة الاختيار التي بين أيدينا ، وانتهى الى انه اذا اعوزنا كتب الممتع فاننا لم نفقد مضمونه وخلاصته بل اننا نحس روح هذا الكتاب تطوف في ثنايا العمدة وتطالعنا فيه آراء عبد الكريم من حين لآخر .

11 — درس الباحث ابن شرف ، وحلل آراءه النقدية في رسالته « اعلام الكلام » الاثر الوحيد الذي وصل الينا من بين آثار ومصنفاته التي امتدت اليها يد الضياع على النحو الوارد في البحث دراسة تكاد تكون جديدة .

12 — ذكر الباحث عدم اطمئنانه الى ما ذهب اليه ياقوت الحموي ومن تبعه من المحدثين من ان ابن شرف اتصلت اسبابه باسباب المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية ، وانه عاش في كنفه الى ان ادركته منيته وترجيحه وفاة ابن شرف بطليطلة في كنف ابن ذي النون ، لان ابن شرف كان منحرفا عن المعتضد وكان يتجنبه ويتحاماه على نحو ما ذهب اليه في الرسالة .

كما قام الطالب لاول مرة بتحقيق كتاب «اختيار الممتع » لعبد الكريم بن ابراهيم النهشلي وشرحه والتعليق عليه كملحق مكمل للرسالة عن نسخة وحيدة مودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم 54 اعتمد مصورتها في التحقيق .

وذكر الطالب انه يوجد على صفحة عنوان المخطوط ما نصه « هدى كامل المبرد » مضروبا عليها ، ومكتوبا فوقها ما نصه « انما هو قطعة من اختيار الممتع كتاب عبد الكريم » وبازائها من الناحية اليسرى ورد ما مثاله « صححته كتاب في المحاضرات انتخبه مؤلفه من كتاب الممتع لعبد الكريم راجع ص 18 من هذا الكتاب » ومكتوب تحت هذه العبارة كلمة الاصمعي ، وفي منتصف صفحة العنوان تحت كل ما تقدم سرد لابواب الكتاب ، وفي أسفل هذه الصفحة تحت عناوين أبواب المخطوط السابق ايرادها تمليك مكتوب بخط كوفي متضمن وقف هذا المخطوط وقفا مؤبدا على عصبة مالكها محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي .

وفي نهاية الصفحة الاخيرة من المخطوط ورد ما مثاله « الى هنا انتهى كامل المبرد بعون الله ولطفه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » وبازائها في الهامش الايسر ورد ما نصه « قلت ليس هذا بكامل المبرد وانما هو قطعة من اختيار الممتع كتاب عبد الكريم » واصل هذا المخطوط الذي وصل الينا بعنوان « اختيار الممتع » هو الممتع في علم الشعر وعمله « المأثور لنا عبد الكريم » وقد ورد ذكر هذا الكتاب ، وجرى على لسان ابن منظور حيث يقول : « وشعراء المغرب حازوا قصب السباق في وصف الاطباق فمن ذلك قول عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي مصنف كتاب الممتع في الشعر وعمله » وقد فقد هذا الكتاب ولم يؤثر لنا عنه سوى المختصر المشهور باسم « اختيار الممتع » الذي قام الطالب بتحقيقه ، وهو — كما يبدو — تلخيص للممتع واحاطة بجملته .

وانتهى الطالب بعد ايراد عدة قرائن واشارات الى انه يمكننا الاطمئنان الى ان هـــذا المخطـــوط المعنون صوابا بانه قطعة من اختيار الممتع حسبمـا ورد بصفة العنوان هو منتخبات ومختارات من كتاب الممتع فى علم الشعر وعمله لعبد الكريم وليس كامل المبـــــرد .

وقد اخذ الطالب نفسه فى تحقيـــق هـــذا المخطوط بمنهج صارم يقوم على القواعد الآتية :

أولا : التدقيق فى كل كلمة فيه ، والتحقـــق مـــن صحتها قبل اثباتها ، وذلك بمقابلتها بما ورد فى المصادر والمراجع الاخرى ، او بملاءمتهـــا لسياق المعنى ، مع الاشارة الى الروايـــات المختلفة للنصوص والتنبيـــه على الاخطـــاء اللغوية والنحوية بها .

ثانيا : التعريف بالاعلام الواردة فيه سوى قلة قليلـة لم يعثر على تراجم لها ، لانهـــا شخصيـــات مغمورة او لغير ذلك وقد وفق الى تصحيح كثير من أسماء الاعلام وردها الى الصواب على نحو ما هو وارد فى هوامش التحقيق .

ثالثا : تخريج الآيات القرآنية الكريمـة والاحاديـث النبوية الشريفة والنصوص الشعرية والاخبار باذلا فى تخريجها غاية الوسع وجهد الطاقة .

وقد اقتضاه المنهج الذي التزمه ، واخذ بـــه نفسه فى تحقيق هذا المخطوط وشرحه والتعليق عليه الرجوع الى اكثر من ثلثمائة مصدر من امهـــات الكتب التاريخية والادبية وكتب الطبقات والبلـــدان ودواوين الشعراء ما بين مطبوع ومخطوط مما يشهد له بما بذل من جهد ، وما تجشم من مشقة وعناء فى تحقيق هذا المخطوط حتى اخرجه على هذا النحـو القريب من الكمال بتوفيق الله وعونه .

وهذا عمل مثمر مفيد ومجهود ضخـــم مـــن الباحث حيث القى الضوء على الحياة الادبية والنقدية لعصر باكمله باتجاهاته واعلامه وخصائصه وسماتـه هو عصر دولة بني زيري خلفـــاء الفاطميـــين على المغرب ، كما نفض غبار الزمن واماط اللثام عن اثر من اهم آثار هذا العصر حيث قام لاول مرة بتحقيق اختيار الممتع لعبد الكريم النهشلي رائـــد الحركـــة النقدية فى هذا العصـــر .

وقد اعتمد الباحث فى رسالته على الكثير من امهات الكتب والمصـــادر المغربيـــة والمشرقيـــة المخطوطة والمطبوعة من التراث العربي القديم بصورة مستوعبة شاملة ، وبذل جهدا واضحا فى الافادة منها .

كما اعتمد على كثير من المراجع الحديثة ، وقد وفق الباحث الى كيفية الافادة من هذه وتلك ممـــا جعل البحث يبدو فى صورة من الشمول والتكامل والاحاطة والدقة والاستقصاء .

وقد بلغت مصادر البحث ومراجعه فى مجموعها اكثر من ثلثمائة مصدر ما بين مطبوعة ومخطوطـــة ، وفق الباحث الى كيفية الافادة منها ورصد افكارها وسلامة تناولها واستخلاص النتائج منها فى درجـــة كاملـــــة .



أنور الجندي يتحدث الى "دعوة الحق" :

• بحثي عن طه حسين جزء من معركتي ضد التغريب والغزو الفكري

• المستشرقون هم الذين وضعوا مصطلح "التغريب" كمفهوم وهدف

القارىء الاسلامي ليس فى حاجة الى التعرف على الاستاذ انور الجندي . فهو يطالعه بانتظام على صفحات الدوريات الاسلامية على امتداد الوطن العربي الاسلامي ، من الكويت شرقا الى المغرب غربا .. ويستطيع المرء ان يطالع مقالاته دائما فى « المجتمع » الكويتية و « الرسالة » العراقية و « الرابطة » و « التضامن » السعوديتين ، و « الاعتصام » و « منبر الاسلام » المصريتين و « الاصالة » الجزائرية و « دعوة الحق » و « المناهل » المغربيتين .. بالاضافة الى هذا الفيض الغامر من الكتب التي يتوالى نشرها باستمرار وتحمل اسمه ، ولعل القارىء يعلم أن الاستاذ الجندي أصدر ما يزيد على الستين كتابا فى مجال الفكر المختلفة . وفى العام الاخير اصدر عددا من الكتب الهامة ، والتي اثار بعضها كثيرا من الانفعالات والمناقشات فى حياتنا الفكرية والادبية مثل كتابه : عن الدكتور طه حسين .

وكان اول حديثي معه يتناول سؤالا عن سر هذا النشاط الملحوظ فى مجال التأليف الاسلامي ، والظروف المساعدة على استمراره فى ذلك النشاط. فقال لي :

(ان النشاط الواضح الآن فى مجال التأليف الاسلامي هو امر طبيعي بالنسبة لهذه المرحلة من حياة العرب والمسلمين ، ومصر بالذات ؛ بعد مرحلة الجزر الشديدة التي سبقت ، وبعد أن تبين الطريق الى الله واضحا للكثيرين ، وأن الاسلام هو الحل الحتمي لمواجهة مشاكل المجتمعات فى العصر الحديث ، وبعد ان ثبت عجز الايديولوجيات الغربية والماركسية عن أن تجد استجابة صحيحة من النفس العربية الاسلامية ، وبعد فشل مصطلحات التقدمية والعصرانية والحداثة وغيرها من مصطلحات اريد بها اخراج المسلمين والعرب عن أصالتهم وعن منطلق فكرهم الذي يهديهم الى النهضة والنصر) .

لقد فرض موضوع « طه حسين » نفسه على الحديث ، فهو موضوع الساعة فى مصر وغيرها ، وبمجرد صدور الكتاب الذي الفه الاستاذ انور الجندي ، تصدت له مجلات وصحف « الهلال » و « الجديد » و « الجمهورية » و « صباح الخير » و « الدوحة » و « العربي » و « الاذاعة » بالنقد والمناقشة والهجوم العنيف . وقد طلبت منه ان يعلق على ذلك ، فقال :

(لم يكن بحثي عن الدكتور طه حسين الا جزءا من معركة التغريب والغزو الثقافي التي بداتها عام 1946 تقريبا ، بل هو « الحجر الاكبر » فى هذه العتبة الصماء التي حاولت ان تعزل المسلمين والعرب عن مصادر فكرهم ودينهم ، وتزيف لهم منطلقاتهم وتسمم لهم منابعهم . واي مواجهة للتغريب والغزو الثقافي لا يمكن ان تكون سليمة وسديدة الا اذا واجهت فكر عميد الادب العربي ومخططاته . اما الهجوم الذي قوبل به البحث فيرجع الى مصدرين : مصدر عدم الاحاطة بأساليب الدكتور وحيله وهو نوع من العجز والقصور . ومصدر الخداع والمراوغة من العاملين على طريق التغريب وهؤلاء هم اصحاب الاهواء والضالون) .

وقد سألته : بمناسبة كتابكم « المخططات الصهيونية والتلمودية فى غزو الفكر الاسلامي» الصادر فى العام الماضي–هل يمكن القول ان المفكرين الاسلاميين قد استطاعوا تغطية هذا الجانب ؟ وما هو تصوركم لافضل الطرق لتناوله ؟

وقد اجاب :

(ان منطلق فهم المؤامرة اليهودية الصهيونية يجب ان يبدا من القرآن الكريم الذي كشف لنا هذه الخلفية بكل ابعادها ودلنا على منطلق طريق الفكر البشري القائم على الوثنية والمادية والاباحية بكل ابعادها . وما نراه الآن ، ما هو الا تشكيل حديث على هيئة نظريات او ايديولوجيات للفكرة التلمودية اليهودية القديمة التي تقوم على احتقار الامم (الجوييم) وعلى تدمير الامم من غير اليهود ، وعلى الدعوى الباطلة الزائفة تحت اسم « شعب الله المختار » ، ومن العجيب ان يشغل كتاب يدعون انهم فى منزلة (هرتزل) بالواقع الاسرائيلي اليوم فى اقامة راس جسر فى فلسطين ، دون ان يصلوا الى ابعاد المخطط الذي احتوته بروتوكولات حكماء صهيون ، والذي يحاول ان يحاصر الفكر الاسلامي عن طريق السيطرة على المناهج التعليمية والثقافية بفرض نظريات « فرويد » و « ماركس » و « دوركايم » و « سارتر » وكلها من صميم التلمودية، وتستهدف ضرب شباب هذه الامة وتدميره ، وتمهيد الطريق نحو الزحف الصهيوني الذي رسمت خططه البروتوكولات) .

سؤال : ما رأيكم فى حال الدعوة الاسلامية الراهنة ؟

جواب : (الدعوة الاسلامية فى حالتها الراهنة تعاني أزمة الخروج من ليل طويل وعليها ان تكشف عن جوهر الفكرة الاسلامية الاصيل القائم على الدعوة الى الله بالحسنى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر دون الطمع فى اي مطمع الا ان يصل المجتمع الى تحقيق غايته باقامة شريعة الله وتطبيق منهجه على الناس ، وتحرير المناهج التعليمية من الازدواج والفكرة الوافدة وتحرير الشرائع من القانون الوضعي واعادة حق الله باقامة الحدود ، والغاء الربا بكافة انواعه والتماس مفهوم دور المراة الصحيح ودعم الاسرة وسيلة الى دعم الجماعة وبناء الشباب فى مجال القوة والصمود بعيدا عن الرخاوة والتحلل) .

وعن مفهوم « التغريب » قال الاستاذ انور الجندي :

(كلمة « التغريب » ما تزال غريبة على افهام الكثيرين مع ان المستشرقين هم الذين وضعوا مصطلحها كمفهوم وغاية وهدف ترمي اليها اعمال الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي ، هذه الغاية هي القضاء على الاصالة الاسلامية والذاتية الاسلامية التي تمثل طابعا خاصا ، ومزاجا خاصا للمسلمين جعلهم الله به شهداء على الناس ، وحملة لكلمة التوحيد ، ودعاة الى تحرير البشرية من الوثنية والتعدد وعبودية الانسان للانسان .

وهدف التغريب هو صهر المسلمين فى بوتقة العالمية والاممية ، واحتواء الاسلام بالقضاء على ملامحه الخاصة والاساسية التي تميزه عن الاديان البشرية وعن تفسير الاديان . ويستهدف التغريب اقامة التأويل والتسوية حتى لا تتبين ان هناك فوارق بين الدين الحق وبين الاديان الاخرى . هذه الفوارق التي تتمثل فى المنهج الذي رسمه القرءان.

ذلك النص الموثق الذي لم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويحاول التغريب استغلال الاسلام فى تبرير الواقع الفاسد فى المجتمعات ، وتبرير اتجاه الحضارة الغربية المنحرف ، وتبرير امور مرفوضة فى الاسلام تماما ، لانها تتعدى حدود الله كتبريـر الربا والزنا والخمر والاوضاع الاجتماعية المضطربة بين الرجل والمراة والانظمة الاجتماعية والسياسية الباطلة سواء كانت ليبرالية او ماركسية او وجودية او عدمية ، وبالجملة فان التغريب هو غاية يسعـى اليها الغزو الفكري لازالة الاصالة الاسلامية وقطـع المسلمين عن منابعهم وتدمير ذاتيتهم الخاصة حتى يصبحوا غربيين لا يتميزون بشيء ، منصهريـن فى الامية والحضارة العالمية ، وبذلك تزول شخصيتهم الواضحة المستقلة وينتهي دورهم الذي الزمهم الله به ووكله اليهم ، وهو اذاعة الاسلام وتقديمه للبشرية وتبليغه للانسانية جميعا ، فان لم يفعلوا فانهم آثمون . ومن هنا يتبين خطورة خطة التغريب الخفية التـي يجهلها كثير من السذج والبسطاء والذين لا يؤمنون الا بالمؤسسات الظاهرة .

ولا ريب ان التبشير والاستشراق والماركسية هي عوامل اساسية ، ولكن هناك مؤسسات اخـرى خفية كالماسونية والروثاري والليونز وغيرها ، وكلها تساهم فى تنفيذ خطة التغريب !) .

قلت للاستاذ انور الجندي : كتبتم للشباب عن الاسلام ، فهل تتصورون منهجا عمليا ليعيش الشباب حياة اسلامية صحيحة ؟

قـــال :

(لا ريب أن هناك منهجا اسلاميا لحياة الشباب رسمه الاسلام ، وبناه التربويون الاسلاميون ، هـذا المنهج يعمل فى ثلاثة ميادين اساسية هي : البيـت والمدرسة والشارع .

ولما كانت المدرسة الآن فى مرحلة تدهور ، والشارع قد فسد تماما ، فان المعول الاكبـر على البيت ، وعلى القدوة وعلى الدور الذي يؤديه الاب والام لابنائهما ، هذا اذا كان الاب والام على وعـي بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم وعلى خطورة العمل مع الابناء وحشد كل الطاقات لبناء اجيال سليمة صالحة لحمل أمانة الامة من بعد ، ولما كان ذلك عسيرا ، فانه لا بد من تعليم المعلمين وتربية الآباء أولا ، وعلى كل حال ، فان الاجيال الجديدة الشابة تحاول أن تكون نفسها ، وهي فى حاجة الى توجيه كبير لتتمكن من الاستمرار ولتكون صالحة لحمل أمانة الامة) .

وبمناسبة الحديث عن تطبيق الشريعة الاسلامية قلت للاستاذ الجندي :

ـــ الحديث كثير عن تطبيق الشريعة الاسلامية وهناك الآن تياران واضحان : الاول ينادي بتأهيـل الشعب لتقبل التشريع الاسلامي ، خاصة فى مجال الحدود ، والثاني : يرى التطبيق الفـوري . مـا تعليقكـم ؟

قـــال :

ـــ (لا بد من العمل فى المجالين معا : لا بد من تأهيل الشعب وبناء الامة بالتربية واقرار القوانين وتطبيقها ، والعملان مكملان لبعضهما ، وقد عمـد الاسلام فى السنوات الاولى الى ذلك . ولعلك ترى ان ما يقدم الى الناس من مسرحيات واغان وقصص يحول دون هذه الغاية ويعرقل المسيرة الاسلامية).

ـــ وكان سؤالي الذي ختمت به هذا الحديث عن آخر نشاطات الاستاذ انور الجندي فى ميـدان التاليف الاسلامي . وقد أجاب :

ـــ (ما تزال امامي مراحل طويلة من العمـل لاكمال « معلمة الاسلام » التي صدر منها 20 كتيبا حتى الآن ، وهي محاولة لاستيعاب الفكر الاسلامي فى دراسات متوسطة ميسرة صالحة للشباب والمثقفيـن دون الدخول فى التفصيلات الواسعة ، أو وجـوه الخلاف ، وآمل ان يحقق الله الغاية) .

ـــ وقد توجهت اليه اخيرا بالشكر والتحية على تفضله بهذا الحديث الطيب .

القاهرة : حلمي محمد القاعود

طبعات جديدة لثلاثة كتب مغربية

● « جولات فى تاريخ المغرب » للاستاذ المرحوم عبد القادر الصحراوي صدرت منه طبعة ثانية عن دار الكتاب بالدار البيضاء . الطبعة الاولى صدرت سنة 1961 .

كما صدرت عن نفس الدار الطبعات الثانية للكتب التالية :

— من موسكو الى مكة للاستاذ عبد الكريم غلاب ، وهو فصول قيمة فى أدب الرحلات .

— ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب للاستاذ عبد الهادي بوطالب ، وهو مسيرة حياة لسان الدين ابن الخطيب فى قالب روائي شيق ، صدرت طبعته الاولى سنة 1960 .

هذا وتعتزم دار الكتاب اصدار طبعات ثانية من عدد الكتب المغربية القيمة .

مكتبة دعوة الحق

* ديوان « أيامنا الخضراء »

* ديوان « من وحي الاطلس

دراسة في ديوان:

أيامنا الخضر

شعر الاستاذ:
أحمد عبد السلام البقالي

عرض وتقديم: الاستاذ محمد تقي ماء العينين

من المعلوم عبر التاريـخ ان المثقف المغربي نهم في مطالعاتـه دقيق في ملاحظاته نقاد بميولـه وطبعه ، وهذه الظاهرة لها محاسنها ، وعيوبها شان جل الظواهر ، فمن عيوبها انها تخلق نوعـا من الحـذر ، والتحري يكاد يصل احيانا الى تسرب نوع من العقم ، للمكتبة من الانتاج المحلي ، فالكاتب او الشاعر يضع جميع حساباته لملاحقات القراء ، وما سيصدرونه على انتاجه من احكام قاسية لا تعرف الرحمة ، ولا تجد العاطفة الوطنية اليها اي سبيـل ، هذا السبب من بين الاسباب التي تجعل ظهور كتاب ادبي او ديوان شعر قليلا ، بالنسبة لما تحتاجـه الاندية الثقافية ودور النشر والاوساط الثقافية من حملـة رسالـة الادب ، بوطن أعطى الكثير وترك اسلافه آثارا بارزة في النقد الادبـي ، وتاريخه ، نظما ، ونثرا .

ثم ان تلك العوائق بالاضافة الى سلبياتها نتجت عنها ايجابيات تمحو ادران سلبياتها ، فالحذر الذي يساور نفس الكاتب ، او الشاعر يحتم عليه ان يقدح زند العبقرية ليقدم انتاجه قابلا للصمود امام نقـد الناقدين ، وملاحظات الملاحظين ، لذا فقليلا ما نجد كتب الفواصل ، والقواطـع ، وجمـال الاوراق ، ودواوين اللحن ، متداولة بأقلام مغربية داخل مكتباتنا الخاصة او العامـة .

فالقارىء المغربي ، عكس كثير من القـراء لا يقرأ ليملك سمعه اليراع المثقب ، وانما يتصفح ما يجد بحثا عن الملاحظات لتقويم اعوجاج بيـت او اصلاح غلط لغوي ، او نحوي ، او غير ذلك حتى اذا ما تم للشكل شرطه يسير نحو المضمـون ليميـز السرقات ، فيرجعها الى اهلها ثم عندئذ يصطفي من الشعر أجوده ومن النثر اسلمه واحسنه .

واذا ادركنا مغزى الملاحظات السالفة لندرك ان نقد كتاب من بين الكتب او ديوان من بين الدواوين يستدعي ممن اقدم عليه ان تكون احكامه خالية من العيوب التي ذكرناها ، وعلى هذا الاساس وجدتني مدفوعا ، بمشاعر ملؤها الاعجاب ، والتقدير بأن اقدم

تعليقا ، وتلخيصا على آخر ديوان شعر اصدرتــه المطبعة الملكية الا وهو ديوان الاستاذ الجليل الكاتب الشاعر السيد أحمد عبد السلام البقالي الذي هــو اشهر من ان يعرف او يقدم فما خطه يراعــه على اعمدة الصحف والمجلات ، من بحوث ومقالات تعدت شهرتها وطنه ، وبلده لتنزله في مصاف كتاب عالمنا العربي الممتازين ، اما الديوان المقدم الآن فان تقديم الاستاذ البقالي له اغنانا عن التعليق عليه خصوصـا عندما قال : « قصائد كتبت في بحر الثلاثين سنــة الماضية .. وربما كتبها عشرة او عشرون شخصا معنويا سكنوا جسدا واحــدا ثم غادروه لساكنــه الجديــد » .

هذا التعبير وحده يجعل القارىء يدرك باوجز عبارة مضامين الديوان الذي هو بحق تجسيد لافكار متخصص في علم الاجتماع .

فتغلب الشاعر على عقبات اود النظم وسلاسة العبارة وجودتها ، يتجاوب مع جمال اللفظ لم يذهب بشاعرنا بعيدا عن تناول مواضيع بعيدة عن الذاتية التي هي الطريق الهين امام الشاعر ، وعلى أي حال وقبل اعطاء الراي النهائي في ديوان «ايامنا الخضراء» سأتناول الموضوع حسب ما يأتي :

1 ـ تحليل فصول الديوان

2ـ انــواع شعــره :

ا ـ الشعــر المقفــى

ب ـ الشعــر الحــر

3 ـ عدد القصائد ومواضيعها

4 ـ أغــراض الديــوان

1 ـ تحليل فصول الديوان :

الفصل الاول خصصه الشاعر لمعجزة المسيرة التي اعطا اسمها للديوان بأسره ، ولا غرابة في ذلك فهذا الحدث الذي غير وجه تاريخ نضالات الشعوب، واعطاه روافد جديدة تمكن اي قائد توفر على عناية الالهام ، ودقة الملاحظة ، وعبقرية التفكير ، وشجاعة العباقرة الابطال ، من ان ينتزع حق بلاده ، بمواجهة العدو وبأسلوب يجعل من طاقات السلم حربا ، تقهر كل وسائل الدمار الشيء الذي استطاع أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني نصره الله ان يسترجع به لنـا حتى لم يبق بيدنا من وسيلة لاسترجاعه سوى عدالة المطلب ، وتصميم شعب بأكمله على الموت في سبيل استرجاعــه .

لذلك اختار الاستاذ البقالي ان يجعل فصـل ديوانه الاول خاصا بالمسيرة وظروفها فخصص له ما بين القصائد والمقطوعات عشرين وحدة افتتحها « بنداء المسيرة » وهو اشبه بنشيد استحث فيــه همم المواطنين للمشاركة بحماسهــم المعهــود في حدثهم الوطني باسلوب استعمل فيه ربط الحاضر بالماضي ، وان كان يؤخذ عليه في هذا النداء انه لم يشر فيه الى الفارق بين حدث المسيرة وغيره مـن المواقف التي ذكرها مثل : طارق بن زياد ، وقعـة الزلاقة عند ما قال :

ذكرتنــا بطـــارق
ووقعــة الزلاقـــة

بمجد عهد سابـــق
بهــذى الانطلاقـــة

فاذا كانت تلك الملاحم خالدة فانها ما وصلت الى فخامة حدث المسيرة الخضراء التي أوجـدت مفهوما جديدا للنضال ، غير ان هذه الملاحظة الهامشية لا تنال من حسن مضمون تلك المقطوعة وخصوصـا عنـد قولــه :

وسنزيــل عن طــر
يقنا الحدود والسـدود

كموجــة جبـــارة
الى الوراء لا تعــود

لقد صور الشاعر جحافل المسيــرة بتخيلــه اياها عند اعلان أمير المؤمنين لها ، واذكر ان لم تخن الذاكرة ان الشاعر قدم مقطوعته هاته الى التلحين بمدة لا تقل عن اسبوعين قبل انطلاقة الطلائع الاولى للجماهير المغربية نحو ارضهم الصحراوية .

ثم استرسل في وصف احداث المسيرة ، وما صاحبها من ظروف دولية كانت فرصة ثمينة للمغاربة عرفتهم بشهود لا تقبل الطعن بالاشقاء والاصدقـاء

الذين اشتروا صداقة كل المغاربة بمناصرتهم العدل والحق ، ومنهم اولئك الذين غررت بهم دعاية المغرضين الجزائريين فتعلقوا بالغريق بعد ان تهاوى فى اعماق الباطل . فحلل الشاعر تلك المرحلة تحت العناوين التالية : « اعلان المسيرة » ، مطلعها :

طغا الشر حولنا وتمرد
ونادى بويلاته المستطيرة

استعرض فيها ما حركته المسيرة فى نفوس الشعب المغربي من روح النضال ويؤخذ عليه فيها بالنسبة لمدارس الشعر الاصيلة تعدد قوافيها ، لكن مع سلامة اللفظ ، وتحكم فى تحليل الموضوع ، ولعل حسنات هاته تذهب سيئات تلك .

وتحت عنوان : « فى طرفاية » قدم الشاعر ثلاث مقطوعات : الاولى صور فيها تلاقي المواطنين بمدينة العبور ، وشوق المؤمنين الى يوم النصر ، او الاستشهاد ، وما اثارته تلك المظاهر من تذكر لامجاد المغرب السالفة ، فقال :

وعادت ذكريات المجد تترى
معطرة بانسام رقاق

والثانية اشتملت على مساهمات المغاربة المادية ومواقف الاشقاء العرب ، والاصدقاء الافارقة وكل المحبين للسلام المؤيدة للحدث الذي ترك العالم مبهورا كما وصفه شاعرنا بقوله :

ورنا العالم المخدر مسحو
را لشعب المسيرة الخضرا

اما الثالثة فكانت لوحة لوصف منجزات المسيرة ، واستحكام الرعب عن طريقها فى نفوس العدو الاسباني قادة ، وجيشا ، وما كلفتهم من اظهار قوة لم تغن عنهم فى الاخير الا ان تعلن استسلامها لادارة ملك ، فكر فخطط فنفذ ثم انتصر .

وظن حارسهم نبض القلوب بها
طبول حرب تزف النصر للحسن

وتحت عنوان : « الاقتحام »

انشا الشاعر ست مقطوعات تناولت ساعة النداء الملكي للعبور بعد استكمال الاستعداد ، وتلبية الشعب لذلك النداء ، وصلاة المؤمنين ركعتين على اول تربة وطئتها اقدامهم من ارض الصحراء التي كانت فى قبضة المستعمر الاسباني ، واحتقار المواطنين العزل لما احشده المستعمر امامهم من معدات حربية :

واصبح المدفع والدبابة
يبدو لنا كأنه ذبابه

وتجلى ذلك فى اقتلاع الاسلاك وادواسة حقول الالغام .

واقتحمنا اشواكهم وانتزعنا
ها ودسنا الالغام بالاقدام

ويختتم هذا المقطع من هذا الفصل ، بذكر كرم الاخلاق ، والترفع الذي يطلق عليه العفو عند المقدرة ، وعدم رغبة المغرب ملكا وشعبا فى الحرب بعكس الرغبة الاكيدة فى احلال الصداقة محل الخلاف والتنافر .

ومددنا يد المودة للجا
ر وهذه مكارم الاسلام

وبعد الاقتحام يأتي النصر ، وبلوغ الهدف ، فتصل الجماهير ارضها ، وتنتصر على اعدائها فتنزل علم المستعمر الغريب ليحل محله ، علم الوطن الحقيقي على المغرب فوق ارض المغرب ثم يعلن القائد الملهم :

واتى قائد المسيرة بالبشرى
بان الصحراء ردت الينا

ثم صدر الامر بالرجوع ، وكان الحدث المدهش للعالم : شعب لبى نداء قائده لعبور الحدود ، وعلى مشارف مدنه المغتصبة ، ياتيه الامر بالرجوع فيلبي بنظام ، وانتظام .

فاذهلهم تماسكنا وما شا
هدوه من انضباط وانتظام

وقال الناس هذا شعب حقا
جدير بالجلال والاحترام

وبعد العبور والرجوع ، اتى دور تسلم امور الاقليم المغربي ، ليعاد مجد تالد لمجد طارف بجمع شمل فرق بينه المنون وتلاعب به العابثون زهاء قرن من الزمن ، ثم وضع الحاقدون الجزائريون واسيادهم الاستعماريون اللمسات الاخيرة على خطة ابتلاعه نهائيا ، ولم يضع من حسابهم الا عنصر واحد كان هو السر في فشلهم ذلك انهم نسوا بانهم يريدون اغتصاب حق شعب « من المحاربين » يقوده ملك عبقري له من الحكمة والتبصر ما مكنه من وضع استراتيجية افسدت ما خططوه منذ عشرات السنين في اقل من شهر .

واعدنا ما كان من حقنا ضاع
بعهد الاجداد للابناء

وبعد النداء والاستعداد ، والعبور ، والرجوع ، والنصر ، واسترجاع الحق تكون المسيرة ادت غايتها الشيء الذي تمكن الشاعر من وصفه مرحلة مرحلة ، وخطوة خطوة ، وهو شيء ينبىء عن مقدرة ادبية وسليقة شعرية تشفع في تعدد قوافي القصيدة الواحدة حينا ، وقصر النفس الشعري حينا آخر ، بعد تلك المراحل يميل شاعرنا صوب هامش المسيرة ، فخصص عدة قصائد لجهود حكام اللصوصية بالجزائر ، واغراءاتهم وتهديداتهم لاسبانيا ، من اجل اجهاض مفاوضاتها مع المغرب ، ثم كذلك لم ينس دور بوق اذاعة الجزائر ايام المسيرة ، وتحريضه لجيش المستعمر الاسباني ليضرب المواطنين المغاربة العزل ، متهكما على المهاتر المخدوع بومدين في تساؤل لا يخلو من الدعابة الهازئة ، عن مصير مغرب الشعوب الذي سبق ان غطى به طبيعة مكره ، وخداعه يوما ما ؟ عن الشعب الجزائري ، وقد اهتدى في آخر مطاف هذا الفصل الى وصف حقيقة حكام الجزائر وذلك ، بتسميتهم ، بسماسرة المبادىء ، وهي آخر قصيدة في موضوع المسيرة ، وان كانت الشعر الحر فانها قدمت الصورة الحقيقية عن نظام جماعة اللصوص الجزائريين .

الفصل الثاني

الوطنيات من 1949 حتى سنة 1955 يجد القارىء في هذا الفصل سبع عشرة قصيدة من اجود ما تضمنه الديوان بل تكاد تكون هي سر فعاليته الشعرية ففيها كان الشاعر مبتعدا شيئا ما ، عن غير الشعر العربي الاصيل ، وفيها عبر الشاعر عن احساس امته في انصع ايام الكفاح الوطني ، ثم كذلك وقف الشاعر في اختيار عناوين القصائد بذكاء يحمل الناظر على قراءة ما تحت العنوان .

من حيث التقديم يلاحظ عدم التقيد بترتيب القصائد حسب المناسبات التي قيلت فيها عكس ما شاهدناه في فصل المسيرة .

فالقصيدة التي عنوانها (ذكر المجد) يرجع تاريخ انشائها الى 49 ، وقد ادرجت في آخر القصائد الوطنية مع انها كانت كلها مخصصة للتوعية والتغني بالامجاد .

« الم يان يا تطوان ان يصدق الوعد ؟
ويخشن تحت الجنب من اهلك المهد »

انها من احسن شعر الديوان في نظري ، خصوصا وان الشاعر قالها بمناسبة عيد المولد النبوي خلال السنة المذكورة ، والدافع الى قولها ، وهو شاب ناشىء انه يذكره لي اراد بعض اساتذة معهد تطوان ان يمتحنه ليعرف مدى مبلغ موهبته الشعرية ، فطلب منه ان يهيأ لهم قصيدة بالمناسبة المذكورة .

وانها لبحق كانت انفجارا لعبقرية شاب متوثب تضيق حناياه ، عما يطفح به فكره الادبي نحو بلده ودينه ، واستمع لذلك عند ما يقول :

لعمرك ما الذكرى بنافعة غدا
اذا لم يكن فيها اتعاظ ولا رشد

فو الله ما الاسلام بالمدرك العلا
اذ لم يقرح مقلة المسلم السهد

بني وطني قد اصبح النصح واجبا
علي فمالي من نصيحتكم بد

اذا لم تقيموا شرعة الله فيكم
فمن ذا الذي يزهو بطلعتها غد

الى ان يقول :

نسيم الصبا ما انت الا حشاشة
المت باجساد هياكل لا تبد

ومنهـــــــا :

فبلغ سلامي ان مررت « بيثرب »
ربي أحد وانجد بمن ضمهم نجـد

ويختم قصائده الوطنية بقصيدتين في مـدح جلالة المغفور له محمد الخامس طيـب الله ثـراه احداهما نونية من بحر الطويل مطلعها :

عليك لسان الدهر يا ذا العلى اثنى
فلم يبق لفظا للثناء ولا معنــــى

ومنهـــــا :

وانقذت قوما من شبى ظفر الردى
وابدلتهم من بعد خوفهم أمنــــا

بقدر مصاب الشعب تسمو ملوكـه
واسنى نجوم الليل احلكها دجنــا

وان تنبأت شاعرنا في قصيدته التالية التـي نالت جائزة العرش لسنة 1952 لا تنبيء لنا عن قوته الشاعرية ، وتمكنه من ازمة اللغة العربية كما عهدنا في قصائده السالفة ، وانما توصلنا الى الحكم على انه لم يكن ينظم الشعر عن طريق الايحاء وتنسيـق الكلمات ، لنسج مجموعة من الظواهر التي يحس بها تقاسما مع ابناء شعبه ، شأن كثير من ناظمي الشعر بل ان احمد كان من بين النخبة القليلة التي قال فيها الرسول الاعظم او على الاصح قال في انتاجها عليه الصلاة والسلام « ان من الشعر لحكمة » انه لتنبـؤ بالاحداث التي وقعت سنة 53 وكان الشاعر عاشها ، وبدأ يتكلم حول ردود فعل الشعب عليها ، وذلـك مثـل قولـه :

ولم يدركون ان الدم الحر واحـد
ولو كان يجري في عروق الثانـي

ابعد الذي شاهدت تخبو قريحتي
ويخرس عن مدح الامام لسانــي

الى ان يقـــول :

تعـددت الامال فيـك كانمــا
تدور على أفلاكـك القمـــران

لقد كتب الشاعر نفسه في تقديمه للقصيـدة أعلاه ما نصه : « جاء في هذه القصيدة التي كتبها على لسان المغرب تشاؤم غير مقصود ، وكأنني استعجل حوادث 1954 التي كانت بدء مخاض الاستقلال » .

لا شك انه هنا يعني ما قال في البيت :

وزين للمستعمرين انتدابـه
لعرشي ما ظنوا من الطيشـان

الى ان قـــال :

اذ انكسرت أمواجه بين اضلعـي
تردد في اعماق كل جنـــان

وفي موضوع المراثي أورد قصيدتين الاولـى تحت عنوان سكتة القلب الكبرى في رثاء اب الحرية زعيم نهضة افريقيا المغفور له سيدي محمد الخامس طيب الله ثراه مطلعها :

كف قلب تفديه كل قلـــوب
الارض عن نبضه وعن خفقانـــه

واختفى مشعل اضاء ليالـــي
قومه فجاة وقبـل أوانــــه

وخبت في تلك العيون ابتسامـات
تـرد الفؤاد عـن احزانـــه

فسلام عليك من وطـن خلفتـه
حرا وشعب حللت في انسانـه

ان المناسبات الوطنية والمنجزات الجلى التي فتح بها عصر أمير المؤمنين فجر نهضته المباركـة كانت مناسبات اكبر من الكلام ، واسمى مـن ادراك الشعر ، وبذلك فانها كانت دفعة الى الامـام طورت اسلوب الشعر ببلادنا ، واكسبته حيوية جديـدة ، جعلت أسلوبه يتفاوت ، حتى ولو كان الشاعر واحدا ، تجاوز مرحلة ابتداء نسج الشعر ، وذلك ما يلاحظ في

بعض قصائد آخر الديوان مثل قوله بمناسبة المباراة التي نظمتها وزارة الدفاع بمناسبة حفل جلاء آخر جندي فرنسي عن ارض الوطن سنة 61 تحت عنوان:

روعــة الجـــلاء

جلا الليل عن ارضي وولت غياهبه
وشابت مع الفجر الوليد ذوائبـــه

ورفرف فى آفاقنا علـم الضحـى
بنصر بدت للعالميـن مواكبـــه

جلا جيش الاستعمار عن ارض مغربي
وعن افقنا الزاهي تلاشت سحائبه

وفى مدح امير المؤمنين مجلى مفاخر عظمـاء الزمن مولانا الحسن الثاني نصـره الله . قال فى تلك القصيدة :

تفاءل هذا الشعب يـوم اعتلائـه
على عرش اجداد تسامت مراتبـه

به الوطن الغالي تشامخ انفـــه
وبالامم الكبرى تساوت مناكبـه

انهى الاستاذ احمد عبد السلام البقالي هـذا الجزء من ديوانه اقيم بقطعة فى رثاء الاستاذ الكبير المرحوم علال الفاسي تحت عنوان :

ســوف يحيـــا عـــلال

مطلعهـــا :

ان دفنا جثمانه ما دفنـــا
علمه او كفاحـه او جهـاده

لقد مثل هذا الجزء قمة شعر الاستاذ البقالي لانه اختار عن عمد حسبما يبدو لي ان يسوق القارىء بتلك الحـان الروائع لان تكون بداية مشاهـدات الديوان لتجره الى الجزء الذي يليه والمعنون بقوله وطن اكبـر .

وهذا الجزء بدا بمقطوعات من الشعر الحر ، ثم بمقطعات تحت عناوين :

— حول الشرق والغرب
— سيوف الاســلام
— نشيد اسرة المغرب
— حماة العروبة (عش للمحبة)
— لومومبا لم يمت (موجهة الى جميـع شهـداء الحرية) .
— طبــول افريقيـا
— رجع الى الانــدلس

وتاتي اهمية هذا الفصل دون مرتبـة الـذي سبقه من حيث السبك الشعري بكثير ويكاد يكـون غريبا على مستوى الديوان لو لم يختم باحدى روائع الديوان تحت عنوان الفردوس الدارس .

اسجى فؤادك طرفه المتخفــر
فاراك عن هجرانه لا تصبـر

ملك كان الله صور وجهـه
من لطفه غض البنان مطهـر

تطوان ما تلدين الا جوهـرا
يحتار فيه الناقد المتحيـر

او لست الا دمعة مسفوحـة
من عين اندلس المفاتن تقطر

الله فى كبدي عليها انهـــا
يا قوم بين جوانحي تتقطـر

وتحت عنوان مزامير كتب الاستاذ عشر قطع كلها تأملات نفسانية ، فيها تساؤلات صوفية ، حول الايمان والخشوع الالهي، احسنها : قصيدة «أنا الله»:

ان الله فاعبد فى وصل صلاتـي
وسبح بحمدي وازدجـر بعظاتـي

انا الله سبحاني واعظم بقدرتـي
وجل جلالي لامـدى لحياتـي

كل هذا الفصل ينبىء عـن الروح الاسلاميـة الاستاذ مثل قوله :

يقولون امرؤ لا يرى غير نفسه
اصم على اذنيه من دوننا وقر

ونشوان تسجيه الاصائل والضحى
اضلته فى وديان احلامها الخمر

وهل بقيت عين رات ربها ترى
سواه ، وفى الديجور لا يبصر الصقر

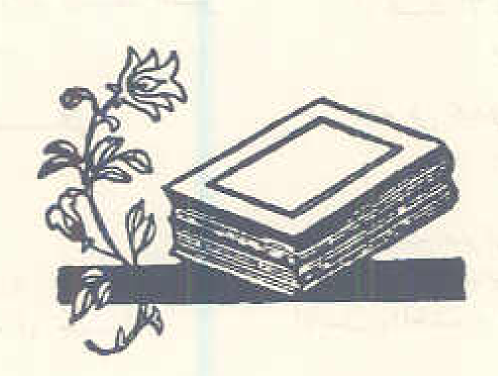
اما بقية الديوان وبالضبط من صفحة 126 الى نهاية الديوان فهي مجموعة من الاناشيد ، وقصائد من الملحون ومقطعات من الشعر الحر ، وبعض الغزليات التي يبدو ان الشاعر لم يعرها من الاهتمام ما اعار لغيرها من مواضيع الديوان الاخرى او ان خياله الشاعري هنا اثر فيه تركه للشعر مدة طويلة لتملك مشاعره الكتابة عن موضوعات اخرى ذات اهمية بالنسبة لكثير من القراء .

اما عن من تأثر بهم ، حسب نظري ، فقد تأثر الشاعر فى بداية حياته الشاعرية بالمتنبي اكثر من غيره اذ يحس بطابعه فى غير ما موضوع من مواضيع الديوان ، اما فى آخر الديوان فتبدو بصمات مدرسة اصحاب الشعر الحر بحسناتها ، وسيئاتها واضحة .

وبالجملة فاننا نتمنى ان يسهم شعراء مثل البقالي بتزويد المكتبة الادبية بمزيد من انتاجهم .

وفى مقال قادم ان شاء الله سأقدم جملة من الملاحظات تهم المقارنات والاقتباسات الواردة فى الديوان ، وما يمكن ان اوجه من نقد لاسلوب بعض القصائد وان كان حكمى فى النهاية بعد ذلك سيكون طبعا لصالح جودة الديوان فى مجمله .

الرباط : حمداتي ماء العينين



قراءة في ديوان

من وحي الأطلس (الملحمة)

لشاعر المغرب العربي الكبير المرحوم مفدي زكرياء

للأستاذ محمد بن محمد العلمي

ان للكلمة جمالا وجلالا يستوقفان انفاس الزمن، ويجثو على قدميها الخلود . ولا يعطي الله البلاغة والبيان وفصل الخطاب الا لمن أحبه واصطفاه من عباده ، ليكون المعبر الامين عما في صنع الكامل . وتدبيره من حكمة وكمال . والله يقول في كتابه المبين : « ن . والقلم وما يسطرون » — « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم . »

فالمتجول في ديوان « من وحي الاطلس » الذي تم طبعه تحت سامي اشراف صاحب الجلالة الحسن الثاني ابقاه الله ، بمناسبة تخليد ذكرى مرور عشرين سنة على استقلال المغرب ، لشاعر الثورة الجزائرية المغفور له مفدي زكرياء ، يدرك عن كثب أن ذلك المناضل العظيم عاش من اجل قضية نبيلة وهي : أن وحدة المغرب العربي مرحلة حتمية لتحقيق الوحدة الاسلامية الكبرى ، ايمانا منه بأن الوحدة حاصلة بين الشعوب لولا السياسة التي تسيطر عليها الاطماع في بعض الادمغة الضعيفة الايمان » .

والشيء الذي يسترعي الاهتمام في هذه المأثرة الادبية ، والملحمة الشعرية الطافحة والزاخرة بالروائع ، هو الحضور المستمر في الساحة الوطنية، والوفاء بالعهد ، والسير الحثيث في درب المبادىء النضالية الثورية والمثل العليا للوطنية والروابط الاخوية الانسانية .

ولقد اشاد هذا البلبل الفريد بوحدة اقطار المغرب العربي مستمدا وحيه مما قدمته تلك الاقطار في نضالها المرير من أجل خلاصها وانعتاقها ، من فنون التضحيات ، وضروب البطولة ، والبلاء الحسن ، والاستشهاد في سبيل التحرير ، وحماية امجادها الاصيلة ، وشعورها بحقيقة وجودها ، وواقع تاريخها وذاتها .

وهذا الشاعر الفذ لا يخفي هيامه وصبابته بالمملكة المغربية ، وما قطعته من أشواط باهرة في مجالات التنمية والرقي والازدهار والعمران ، مما اوحى اليه برائع الاشعار التي تطرب وتمتع . وكان أثبت ما يكون الثبات على هذا الصدق والاخلاص والوفاء والعاطفة نحو بلادنا في ظروف تحاك فيها ضدنا المؤامرات من شرذمة لا ضمير لها ولا اخلاق ولا احترام لحقوق الجوار .

ولعل اطلالة عابرة على ديوانه « اللهب المقدس» تذكرنا بما هنالك من انسجام تام وتجاوب عميق بين الكلمة الصادرة في الاعماق ، وبين وقع السلاح الهادر في قمم الجبال وفي مختلف قلاع الفداء والجهاد . ان شعره ابان الثورة وتصاعدها ، كانت له ابعاد تاريخية تمضي جنبا الى جنب مع مصير أمة وشعب . اليس هو القائل :

نطق الرصاص ، فما يباح كلام ،
وجرى القصاص فما يتاح ملام

السف اصدق لهجة من أحرف
كتبت ، فكان بيانها الابهــــام

وهو الذي يقول ايضا فى نخوة ومنعة :

وتكلم الرشاش جل جلالــــه
فاهتزت الدنيا ، وضج النيـر

ونزلــت آياتــه لهابــــة
لواحة ، اصغى لها المستهتــر

والنار للالم المبرح بلســـم
يكوى بها العظم الكسير فيجبر

وإبان الثورة الجزائرية ، كان الشاعر مفــدي زكرياء يرى استمرارية النضال مرتبطة اشد ما يكون الارتباط بالمصير المشترك للمغرب العربي الكبير . ولذلك كان يتغنى أيضا بالمغرب وتونس . فهو القائل فى هــذا الخصــوص :

وتغنيت منذ فجر شبابــي
بالتحام القوى ودعم الجهود

لم ازل صادحا على كل غصن
من ربى المغرب الكبير العتيد

انا فى المغرب الكبير نشيد
يترامى صداه للاحقـــاب

ونداء لوحدة الصف يسمــو
للنهايات دون اي حســاب

والمتجول ايضا فى ديوانه : « تحت ظــلال الزيتون » يلمس عن كثب ذكريات الشاعر فى تونس الخضراء ، وكيف تغنى بأمجادها وبطولاتها والمواقف الخالدة للمجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة .

وقد وجد الشاعر فى المغرب مستقرا وملاذا وهو فى عز معاناته لالتزامات المقاومة وواجباتها . وأثرى الادب المغربي بما لقحه به من روح تضامنية وروح وحدوية متشبعة بالاصالة الحضارية ، والذات الثقافية العربية العريقة ، فى اطار ما يحظى به المغرب من معطيات طبيعية وبشرية ، وما يتسم به من مثل وشيم سارت بذكرها الركبان ، وما يجعلــه بحــق منطلقا لتعزيز الوحدة التي يهفو اليها الشاعر حيث ازداد به حبا وهياما ، لا عن افتعال وتصنع ، ولكن عن صدق وايمان عميق بعظمة الغاية ، ونبل الوسيلة . فهو الذي يقــول :

وقالوا : مدحت المالكين ، اجبتهم :
ما المدح فى غير الاماجد شانــي

اذا ما استقام المالكون مدحتهــم
وصفت مديحي من قواعد ايمانــي

ولولا كفاح ما مدحــت محمــدا ،
ولا جئت بالآيات فى الحسن الثاني

فمديحه اذن منبثق من المبادىء والقيم التي يقتنع بها ، لا عن الزلفى والتملق والانحــدار الــى مهاوي التزويق والتلفيق والكذب . فهذا الصنف من الشعر فى المفهوم والمعيار المغربي التقليدي هو من صميم الشعر الوطني فى الكفاح المشتــرك بيــن العرش والشعب . وفى هذا المعنى يقول الشاعــر الخالد مفدي زكرياء :

ومن الف الكفاح يــزد كفاحــا
بمدح رفاقه أيــان حلــوا

وعودني نضالــي فى بــــلادي
على مدح البطولة فى الرجــال

مدح البطولة رفعة وكرامــة ،
لولا البطولة ما انتزعت خلــودا

فهو اذن بريء من التكسب او ادنــى ريــاء. وشعره انما هو فى الواقع اشــادة بالتخطيطــات والمنجزات ، واستنهاض للهمم على التشبث بالمبادىء والمقومات الذاتية للامة ، وتحميــس للجماهيــر المنفعلة بالمواقف البطولية . فهو يسيــر فى نفس الخط المستقيم المتطلع لآفاق الوحدة عبر الرؤيــة الواضحة ، ومن خلال الزاوية القوية .

اليس هو القائل فى المسيرة الخضراء :

صحراؤنا دنس الغربان حرمتهــا
وخانها من الى جلادها ركنــــوا

قالوا : براح ، وفى دعواهمو كذبوا ،
لا بدع ، فالمين من اخلاقهم سنن

سلوا الوثائق ، فالتاريخ يحفظها ،
وسائلوا الكون عنها يشهد الزمــن

واستفت (لاهاي) واستنطق نزاهتها
تنبئك من نبتوا فيها ومن سكنــوا

دم المغاربة الابطـال ضمخهــــا
وما استكانوا لظلام وما وهنــــوا

قالوا : اقتراع ، فقلنا : بل نقارعكم
فتهزمون ، ويبقى اللحد والكفــن

فهذه النبضات الصادقة والخفقات الحلـوة لا لا تصدر الا من ذات اصيلة ، وعاطفة فياضة ، جميلة التعبير ، عميقة الانفعال .

وهو الذي يتفنن ايضا فى براعة متناهية ، اذ يصف المسيرة الخضراء بقوله :

فقاد مسيرة خضراء تعلــو
بها الرايات والذكر المجيــد

بها الاكباد تنصب انصبابــا
فيدهش من شجاعتها الوجود

فلا تعجب لمعجزة شعــب
تسير المعجزات كما يريــد

وهو الذي يصف ايضا كيف ان صاحب الجلالة الحسن الثاني ــ ايده الله ونصره ــ هو حامل لـواء الوحدة الكبرى ، وراسم منهاجها واصولها ، فيقول :

يا من رعى الوحدة الكبرى وآزرها
فاخضر من عودها دوح واغصــان

فليصنع المغرب الجبار وحدتــه
ما دام يرعى ذمام الجار جيــران

ومفدي زكرياء لا يكتم حبه للمغرب وافتتانه به وبشعبه ، وبما يتفرد به هذا القطر دون الاقطـار الاخرى ، اذ هو الذي يقول فى هذا المعنى :

وطني مغربي ، واهلي بنــوه ،
ان ما بي من حبه مثل ما بـــك !

بلاد عرفت الله فى قسماتهــا ،
وآمنت ان الله ليس له ثانـــي

وهو الذي يشيد بالموقف البطولي للمغرب فى حرب رمضان ، فيقـول :

يقود الثائر الحسن المفـدى
جحافلها ، فيرتعش الوجـود

الى سيناء تنصب السرايا ،
الى الجولان تندفع الاســود

ويمتاز شعر مفدي زكرياء بالتناسق والتماسك ووحدة العرض والقدرة الكاملـة على التحكـم فى الشعور ، وذلك فى نمط عمودي اصيل . فكله تنوير للبصائر ، وشحذ للهمم ، وحث على الثبات والصمود، وتحريض على الجهاد والصبر والمصابرة والثورة على الدخيل الغاصب حتى النصر او الاستشهــاد .. كما ان شعر مفدي زكرياء يمتاز بالتطريب فى التقاسيم والمقاطع ، وبالقافية الرصينة القويــة ، والاوزان الموسيقية المناسبة ، وقد يذهب به الحـرص على جمال القافية الى حد لزوم ما لا يلزم ؛ هذا بالاضافة الى جزالة اللغة وسلاستها وسهولتها ونصاعتهـا ، وشحن الكلمات بالنبرات والايقاعــات الحماسيــة الرنانة ، فى روح من التلقائية البعيدة عن التكلـف والتلاعب بالالفاظ . فالمهم عنده هــي الصياغـة الناضجة المؤدية بامانــة للوظيفـة التعبيريـة . والانسجام بين الشكل والمضمون أحسن طابع لشعره فى صدق التعبير والجودة الفنية روحـا واداء ، الشيء الذي ينم عن شاعرية ناضجة مكتملة تتطلـع دائما الى الابهى والافضل ، وعن المبـرر الدافـع للحفاظ على مقومات حياة الشرف والنبل والحرية والكرامة والنضال . وهذه المقومات بالذات هي التي تلهم الجدية والموضوعية فى المعاناة والتشبع بروح العروبة والاسلام القائمة على التساند والتعاضـد ، وحب مبادىء الخير ، وصيانة ما للراي من حرمة ،

وما للكلمة من مقام رفيع . فليست العبرة بغزارة المضامين وتنوع الاشكال والقوالب ، ولكن العبرة بوضوح الرؤيا وتعزيز وشائج الوحدة فى الكفاح الوطني والقومي من أجل المصير المشترك .

تلك هي العبرة من جولتي هذه في ديوان « من وحي الاطلس » الذي اقتبس عظمته واشعاعه من بطل التحرير وقاهر الاحداث والزمن وملهم الاجيال محمد الخامس طيب الله روحه ، ومن وارث سره ورفيقه فى الكفاح ، محقق الوحدة الوطنية الكبرى ، ومحرر اقاليمها الصحراوية الحبيبة بفضل المسيرة الخضراء المظفرة جلالة الحسن الثاني دام له العز والتمكين والفتح المبين .

رحم الله شاعر المغرب العربي الكبير ، استاذنا الفذ الجليل ، المجاهد الشهيد مفدي زكرياء الذي كان لي نعم القدوة ونعم الرفيق . وانني لاعتز ايما اعتزاز باهدائه لي ديوانه الخالد بخط يمينه .

فالمجد والسؤدد ، والمغفرة والرضوان للشاعر العربي الفذ مفدي زكرياء الذي انتقل الى جوار ربه بغتة في تونس . وانا على فراقه لمحزنون . وخسارة العروبة والاسلام ، والمغرب العربي الكبير فيه لا تعوض . ذلك قضاء الله لا مفر من قضائه . وانا لله وانا اليه راجعون . ونحن ان شاء الله على دربه سائرون!



قصة قصيرة :

صورة جده

للأستاذ عبد المجيد بنجلون

استرعت انتباه الطفل صورة موضوعة فوق رف مثبت على الحائط منذ اليوم الذي استطاع فيه ان يركز النظر ويتبين الاشياء ، ولو كان فى استطاعته **ان ينطق لسال امه عنها منذ عهد مبكر فى حياته ،** ولكنه كان يقتصر على التحديق فيها ثم يعود الى لعبه وتلك الصورة منه فى الاعماق ، وهو لا يستطيع ان يتبين بوضوح فى سنه المبكرة هل فى الصورة سحر يجذب أو غرابة تبعث على النفور ، وظل ذلك موقفه من الصورة الى ان جاء اليوم الذي حلت فيه عقدة لسانه ، فسال امه وهو ينظر الى الصورة كما اعتاد ان يفعل منذ رأى النور تقريبا :

— ماما ، لمن تلك الصورة المعلقة على الحائط ؟

وصدم السؤال الام صدمة خفيفة ذات مغزى لم تعرف مصدرها ... ونظرت الى الطفل ثم رفعت بصرها الى صورة الشيخ الذي كان يبدو على طلعته انه ينتسب الى عصر سقراط ... لو كان عصر سقراط يعرف الصور الملونة ... لنظرته الصافية التي ترقص مستبشرة فى عينيه الخضراوين خضرة خليج من خلجان البحر المتوسط ... وابتسامته الواعية الحافلة بالاطمئنان والمرح ... وبلحيته المشذبة وثيابه المغربية وعمامته المنسقة ، وكلها بياض ناصع ... كانه يضرب المثل لما يجب ان يكون عليه الناس فى مدينة فاضلة تفتق عنها خيال شاعر مبدع ، فى ليلة مقمرة تحت سماء صافية الاديم ..

وانحدرت ببصرها من الحائط الى الطفل تتفرسه بشعره المنفوش الكستنائي .. انسان مستقبل المغرب على أبواب الاستقلال ... فلم يستقر تفرسها عن اية صورة واضحة ... فانه ما يزال يترنح فى مشيته ... تختلط على لسانه الكلمات ... ويصرخ فى بعض الاحيان لسبب ، ولكن لغير سبب فى كثير من الاحيان ... وهنا تذكرت ان الطفل ينتظر الجواب ، فقالت :

— صورة جدك يا بني ، انه الرجل الذي كان باباك يقول له : « بابا » .

ولم يستطع راسه ان يستوعب أكثر من هذا ، بل ان ردها لم يترك اكثر من أثر غامض ، ولكن اهتمام الطفل بالصورة الموضوعة فوق الرف المثبت على الحائط تزايد مع مرور الايام فكان يتوقف عن اللعب فى بعض الاحيان ويسعى لينظر اليها فى استغراب ، كما لو كانت صورة شخص كان يعرفه ولكنه نسيه ، ومع ذلك يحاول جاهدا ان يتذكره دون جدوى .

وقد استرعى ذلك انتباه والدته الشابة ، واثار استغرابها فى نفس الوقت ، وان كانت تعلم علم اليقين ان هناك رابطة ما تربط بين الاجيال ، قد تكون قوية وقد تكون واهية ، ولكنها موجودة فى سائر

الاحوال ، فهل يكفي ذلك لتبرير اهتمام الطفل بصورة جده ، وهو الذي مات منذ سنوات طويلة جدا قبل ان يعرف ابنها النور ؟ انها هي نفسها لا تذكر الجد حينما كان لا يزال على قيد الحياة الا على نحو باهت، ولولا هذه الصورة الموضوعة فوق الرف لكان من المرجح ان تكون قد نسيته تمام النسيان ، بالرغم من انها كانت تدعوه « عمها » عندما كانت هي بدورها طفلة صغيرة منذ زمن بعيد ..

لم يكن توفيق – وهذا هو اسم الطفل – غريبا عنا في صباه ، وكنت اتوسم فيه صفاء الذهن وصدق العاطفة وسلامة الطوية ، ولكن نات بي عنه الدار ، ومرت عدة سنوات دون ان اعرف عنه اكثر من انه تلميذ ناجح فى مدرسة ابتدائية من هذه المدارس الحرة التي اخذت على عاتقها ان ترفع مشعل الحرية والعرفان في اواخر عصر الظلمات الغابر ، وان كانت اخباره قد اخذت تترامى الى بعد ذلك بانه يواصل دراسته الثانوية بالنجاح المعهود ، وفيما عدا ذلك كدت انساه ، بل نسيته لولا ان اعادته الى ذاكرتي من جديد رسالة تلقيتها منه يطلب مني فيها ان اوافيه بكتاب من كتبي القصصية كان حديث العهد بالصدور.

وكنت اعرف بالاضافة الى ذلك ان توفيق وحيد ابوين لم ينجبا سواه لا فى عالم الاناث ولا فى عالم الذكور ، وان اباه الحاج محمد – وكان نصف المغاربة يسمون الحاج محمد يومئذ – كان رجلا عصاميا يشق طريقه المادي بنجاح تحت سمع وبصر الاستعمار دون ان يتمكن من ان يتعرض له بسوء حقيقي ، وكان يحيا حياة تميل كل الميل الى البذخ والرفاهية فى منزله ، وان كانت شركاته تفرض عليه ان يتنقل فى كل مكان داخل البلاد ، وفى قليل من الامكنة خارجها ايضا كلما اتاحت له قبضة الاستعمار ان يحقق ذلك ومهما يكن من شيء فقد كان الحاج محمد رجلا ناجحا بقدر ما يمكن ان يسمح به الوضع الاستعماري فى تلك الايام الذاهبة .

وكانت والدة توفيق سيدة مثقفة عنيت بتربية وحيدها فى المنزل ، وتمتع باهتمامها حينما اصبح تلميذا فى المدرسة الابتدائية ، ولكنها لم تكن ربة منزل على النحو الذي كنا نعرف عليه ربات المنازل فى تلك الايام ، بل كانت من القليلات اللائي اختلفن الى المدارس وتعرفن الى الحياة العامة .

لم يكن توفيق من ابناء الجيل الذي ضبط ساعة تخرجه على ساعة بزوغ الاستقلال ... ولذلك فقد كان عليه ان يواصل اقامته فى باريس اربع سنوات اخرى قبل ان يعود الى المغرب بعد ان تحقق الاستقلال .

ولذلك فان من المستطاع ان يقال ان عقل توفيق تفتح فى فترة خطيرة وسريعة من تاريخ هذه البلاد ، فانتقل من الفترة التي كان الابيض فيها ابيض ، والاسود فيها اسود ، الى فترة اختلطت فيها معالم الالوان اختلاطا مريبا .. كان الهدف واضحا فى اول الامر ... ثم فجاة لم يعد بعد احد يدري اين اختفى هذا الهدف ، او تعددت الاهداف المشكوك فيها بتعبير آخر ، وذلك فى فترة وجيزة لا تتعدى سنوات اصابع اليد الواحدة ، وهي نفس الفترة التي قضاها توفيق فى حياته الجامعية بباريس .

وقد حدثتني والدته بعد ذلك عن بقية حياة توفيق الطفل والعلاقة الغريبة التي نشات وترعرعت بينه وبين صورة جده الملونة الجميلة المعلقة على الحائط . منذ نعومة اظفاره ، فاخذ يطيل النظر اليها ساهما ، واما التحق بالمدرسة الابتدائية وضع مكتبه عن يسارها فى الحجرة الكبيرة لتطالعه الصورة عن يمينه كلما رفع طرفه اليها .. ويتوقف عن مراجعة دروسه ويتوجه اليها كانه يستلهمها حلا لما استعصى وعندما تنشب المشاكسات بين التلاميذ يسرع توفيق الى المنزل غاضبا فى بعض الاحيان فيعدو الى الصورة ليقف تحتها لحظات وعيناه مثبتتان فى عينيها ، ليخرج بعد ذلك من الحجرة وكانه تلميذ آخر منشرح النفس ، واسع الصدر مشرق الابتسام .

وعندما شب توفيق عن الطوق اخذ يطيل الى جده الجلوس،ولكنه لم يعد يرفع اليه طرفه كثيرا كما كان يفعل ، وانما كان هادئا كما لو كان يستانس بقرب صورة جده التي اخذ يبدو انه استوعب اسرارها ..

مشاكل جيل يتمخض عن جيل ... جيل يحسب التمخض ايذانا بالانفصام ... وجيل يحسب التمخض ايذانابالاستمرار ... جيل يريد ان يلوذ بالفرار بعيدا بعيدا عن صقيع الماضي ... وجيل يرى فى هذا الفرار ترديا فى اعماق الجحيم ، ومعانقة مخيفة للاحتراق ... ورباه . معركة تصدع الاجيال هذه يا ترى ؟ يجب ان يزول جيل كامل قبل ان يخلفه جيل آخر اذن ؟ بين كل جيل وجيل هوة ؟

الاجيال حلقات متماسكة ، ان الاجيال مجرد حلقات كل منها يندثر ، ولكل منها مقبرة معزولــة عاليــة الاسوار ؟ تاريخ المغرب حلقات مبعثرة لا يجمعهـا تسلسل ولا ترابط ، كل حلقة منها ابنة سفــاح ؟ ام تاريخ المغرب سفر ضخم متماسك الفصول متناسق الابواب ، صفحاته متسلسلة الارقام من واحد الى ما شاء الله ؟ هل نحن امة تتحدث اجيالها لغة واحـدة ولها تاريخ مشترك ، وثقافة متوارثة ، وعقلية تتطور ونفسية تنمو ، وشخصية تتبلــور ، ومستقبـل يتاجج ... ؟ او مجرد اجيال مفككة يستأجر كل جيل منها هذا المغرب فترة من الزمان ... ثم يجلو عنه ليستاجره جيل آخر ... المغرب منزل للايجــار اذن ؟ ...

واذا كان المغرب منزلا للايجار يفعل به كـل مستاجر ما يشاء ... فماذا يفعل به هذا المستاجر الجديد ؟ يسير به نحو اليســار او اليمين او يقف به فى منتصف الطريق ؟ واين تقف حريتي وحريتك اذا كنا من افراد اسرة هذا المستاجر الجديد ؟ وهـل تتمثل العدالة فى نظام او تتمثل فى حق ؟ وهـل الدين مرب للنفوس او مخدر لها ؟ وهل تتمثل الثورة الانسانية الكبرى فى ان تثور على الاجيال فى الوطن الواحد ، وان تتمرد الدول على الدول فى القــارة الواحدة ، وان تتمرد القارات الخمس بعضهـا على بعض ؟ ام ان الثورة الانسانية الكبرى تتمثل فى ان تثوب الاجيال والدول والقارات الى رشدها ، وتعمل، وان تتفاهم بالحسنى تمهيدا لتحقيق هدف الثورة الانسانية الكبرى ، فيتعايش الانسان مـع اخيـه الانسان فى ارض تسودها المحبة ، ويسودها التفاهم ويسودها التساهل ، يوم يحل التنازل محل التنافس فى ميدان المصالح الاقتصادية لمصلحة الانسانيــة كلها ... لا لمصلحة فرد او جيل أو دولة او مجموعة من مجموعات دول العالم السكين .

هذا شيء ، ولكن الواقع ان الفرد يحل مشاكله مع اخيه بالقوة ما وجد الى ذلك السبيل ، قوى يأكـل الضعيف الذي ينادي بالمثل العليا .. ولو تبــادلا الموقف لكان الاول هو المنادي بهذه المثل العليا ... طبيعة متاصلة فى الانسان ؟ شريعة الغاب ؟ لا احد يــــدري .

ثم الم يعرف التاريخ ابطالا صبروا وصابــروا لنصرة الحق على الباطل وكان نصيبهم فى النهايــة النجاح وكانوا هم هداة البشرية طوال عصور التاريخ ... ولولاهم لتقهقرت الى عهود القردة منذ عهــد بعيد ؟ ولكن من الذي قال ان الانسانية لم تتقهقر الى عهود القردة منذ عهد بعيد ؟ وهل يعرف التاريــخ عصرا عانى من الهدم والتدمير ، وعرف من الحقد والضغينة ما عرفه قرننا العشرون ؟ ومع ذلك هــل اطل عصر آخر على الآفاق ...

هذه هي الاسئلة ــ او بعض الاسئلة ــ التــي كان يصيح بها عقل توفيق وافراد جيل توفيق ــ بعد عودته الى المغرب ، وكانت قد تحولت الى صداع فى الرؤوس ، وهم فى الصدور ، وضلال فى العقول ، وضباب فى الابصار ...

ولا يعرف توفيق سر القوة التي منعته من ان ياخذ معه صورة جده الى باريس يوم ذهب لتلقــي الدراسة فى جامعاتها ... فانه لم يكن ليستغنى عن الالتجاء الى النظر اليها كلما ادلهم عليه امر ... لعله استهجن ان يمد اليها يده وينتزعها من مقامها السامي وموقعها التقليدي من الجدار ... وها هو ذا يعود اليها بعد غيبة طويلة اختلط الادراك خلالها عليه ، ولم يدلهم عليه امر واحد فقط ولكن ادلهمت عليه كـل الامور ، فسعى الى صورة جده فى اشفــاق ... مخافة ان تكون الامور قد ادلهمت عليه هي ايضا .. ولما رفع الطرف اليها طالعته نفس الابتسامة المعهودة بكل ما فيها من وقار وطيبة نفس ، وجمال روح ورضى عن الحياة ... بالرغم من انه فارق الحياة منذ عقود خلت من السنين ... وركز عينيه الحائرتيــن فى عيني الصورة الخضراوين الصافيتين مليا ... وشعر بنظرات العينين النجلاوين تتسرب من عينيــه الى اعماقه ... وشعر بعرق بارد يترقرق فوق جبينه.. وتلاشي كل شيء ... كأنه اصبح فجأة فى مكــان يشبه غار حراء ... وبان الحياة قد دبت فى الصورة فاتسعت ابتسامتها ... وتحولت صورة جــده فى اطارها الى شخص حقيقي يطل عليه من نافذة ... تتحرك اساريره ... ويتقد نور عينيه ... وتستفرب حاجباه ... وتتحرك شفتاه ... ليهمس فى قلبه :

اعرف ان فى راسك دوامة مياهها رعناء ، وان لم يعرف راسي مثيلا لها فى يوم من الايام عند ما كنت على قيد الحياة ، انتم جيل مغرور تحسبون ان الدنيا ظهرت بظهوركم دون ان يكون لها وجود من قبــل ، وانها ستختفي باختفائكم ... ولذلك فهي دنياكــم

وحدكم ... والاعباء أعباؤكم ... قبلكم لم تكن توجد اعباء ... الاعباء متوارثة يا بني ... والمتوارث يتناقض ولا يزيد ، او هذا هو المظنون على كل حال ... بيد انكم انتم تعملون على مضاعفة اعبائكم بدلا من التخفيف منها ... فانت تحلم بمشاكل الانسانية قبل ان تحل مشكلة واحدة من مشاكل نفسك ... هل وضعت خطة لحياتك بعد ، قبل ان تضع خطة للحياة البشرية ؟ لقد عشت حياة سعيدة جدا يا بني اتحرق الى ان اعيدها يوما يوما ، وان لم يكن متاعي من الدنيا الا قليل ...

الابتسامة التي تراها على وجهي ليست استجابة للشخص الذي اخذ صورتي ، ولكنها استجابة صادقة للمحبة الحقيقية التي كنت اكنها للحياة ... وللبهجة التي كانت تتدفق في قلبي لشعوري بانني حي يحبني الناس وأحبهم ، وتحبني حياتي واحبها ، وأحب الحدائق والزهور والحيوانات والنور والظلام والنجوم والسماء والارض ، وهي تحبني أيضا ... حل المشاكل ؟ من الذي قال ان حل المشاكل غير محمود ؟ ولكن ثق يا بني ان حل المشاكل بالابتسام اجدى كثيرا من حلها بالعبوس... فالابتسام مجلبة للابتسام يا بني ، ولكن العبوس ليس مجلبة الا للعبوس .. قد تقول ان لكم من المشاكل ما لم يكن لنا ، وانا لا انكر ذلك ولا انكر انني لا اعرف الكثير من مشاكلكم وانا مثبت هنا على الحائط عبر السنين ... ولكن العيب الحقيقي في جيلكم هو انه يظن انه مفصول عن جيلنا ... هل تعرفون اننا نحن الذين دفعنا ضريبة حياتكم هذه من أموالنا وانفسنا ودمائنا وجهلنا ؟ وعملية الاستعمار الجراحية نحن الذين عانوها ... والضربة التي ايقظتكم هبطت على رؤوسنا ... جيلنا هو الذي مشى فيه المحراث لتبنوا ... الا تكون جاحدا اذا ازلت صورتي من مكانها والقيت بها في قمامة ... ؟ لم اقم بشيء عظيم في حياتي ولكني فخور بانني اشعت حولي الابتسام ، لم يكن احد يكاد يراني حتى يبادلني ابتسامتي ... وما ازال الى اليوم احاول ان ابثها من مكاني هذا في نفوس من يدخلون هذه الحجرة ، وتزداد ابتسامتي اتساعا ورضى عن الحياة من هنا ايضا ، حينما اسمعهم يقولون : « رحمه الله » وأراهم يبتسمون ... انني لا اعرف الا القليل عن المشاكل وحلها ... ولكنني اعرف الكثير عن الابتسام ...

كان توفيق مطأطأ الراس وهو يستمع في ضميره الى صوت صورة جده ، وكان يشعر شعورا مريحا بانفراج توتر شدده مرور الايام وعقده تعاقب السنين ... وغمره من الهدوء ما يغمر صحراء انحسرت عنها عاصفة مجنونة حمقاء ... ليخلفها سكون مطبق لم يكن منذ قليل في حسبان ... وايقظ السكون المطبق توفيق من ذكرى هزيم الزوبعة العاتية التي تلاشت ... رفع راسه لتلتقي عيناه بعيني جده الزرقاوين الصافيتين ، وبابتسامة محياه المشرقة ، فنهض لينصرف وهو يبادله الابتسام . ولكن كانت تترقرق في عينيه دموع ...

الرباط : عبد المجيد بن جلون



حكاية من شاطئ الغيب :

الرباط السماوي

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

هذه القصة واقعيـــة ...

يعرف أحداثها جميع من تتبعوا الاحداث الدولية فى السنـــوات الاخيرة .. بل وحتى الذين لم يتتبعوها .. فقد فرضت نفسها على العالم بأجمعه من خلال أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ، والتي لم يعد لنا مفر منها .. وهي قصـــة اختطاف وزراء البترول فى (فيينا) فى شهر ديسمبر سنة 1975 .

فلماذا ، اذن أكتبها ؟

لماذا أكتب قصة تجندت لها وكالات الانباء العالمية ، وتناولتهـــا بالتفصيل والتحليل دقيقة بدقيقة ،لانها تتعلق بمصير ثلاثة عشر رجـلا من اهم رجال هذا العصر ، رجال البترول ، وبالتالي رجال الطاقة التي استيقظت العالم فجاة ، بعد حرب رمضان ، على هيمنتها المطلقة على مصير البشريـــة ! ؟

السبب هو جزئية لم تتسرب الى وكالات الانباء ولم يطلع عليها صحفي ، وبالتالي لم تتعرض لهـــا أجهزة الاعلام ، ولم يسمع عنهـــا احـــد ...

هذه الجزئية الهامة جدا ، فى نظري ، بقيت فى طى الكتمـــان .. لا يعرفها الا الخواص ، والمقربون الى وزير البترول السعودي ، الشيخ احمد زكي اليماني ..

وفى نظري ، كذلك ، أن تلك الجزئية هي الغاية الاساسية من وقـوع الحدث الكبير الذي شغل الصحافة أياما وليالـــي ..

وربما كانت اشارة سماوية لرجل يمكن ان يعتبر رمزا للقوة المحركة للقرن العشرين .. فلم يقترن اسم رجل بمادة فى قوة البترول ، اقتران اسم الشيخ احمد زكي اليماني بها فى الربع الاخير من هذا القرن . .

فى الساعة الحادية عشرة والنصف صباح يوم الاحد ، 21 ديسمبر سنة 1975 ، كان وزراء الدول المصدرة للبترول فى مقر المنظمة فى (فيينـــا) يناقشون مشكلة العوائد ، ونوعية النفط وتكاليـــف النقـــل ...

ولم يكن يتابع هذه المناقشة التقنية الا عـــدد قليل من الصحفيين ممن تهمهم التفاصيل .. وكانت المحادثات تجري على خير ما يرام ، وفى جو خال من كل توتر او حماس .. ودار الكلام حول اصدار بيان بنتائج المؤتمر .

وفي تلك اللحظة دخل مقر المنظمة خمسة رجال وامرأة ، دون أن يبدو عليهم انهم خطرون .. كانوا يلبسون ملابس الرياضة ، ويحملون على اكتافهم اكياس التمارين وكأنهم عائدون من مشية في غابة يوم الاحد ..

وفجاة ، وعلى مرأى من الحراس ، اخرجوا من اكياسهم الرشاشات ، وصعدوا الى قاعة الاجتماعات. واخذوا يطلقون النار في الممر المؤدي الى القاعة ..

وتدخلت الشرطة حالا ، فقتل شرطيان وعون ليبي ، وجرح عدد من الاشخاص ..

ومن بين المصابين بجروح خطيرة كان احد المهاجمين بحيث اضطر زملاؤه للسماح للسلطات بحمله الى المستشفى لحاجته الى عملية جراحية عاجلة .

وانفجر النبأ على العالم كقنبلة اعلامية هائلة .. وطوق رجال الصحافة عمارة الاوبيك مندسين بين رجال الامن الذين كانوا يبعدون المتفرجين عن مرمى الرصاص ..

وتحول صباح ذلك الاحد الهادىء الى انشط صباح عرفته الصحافة .. وتكتل الصحفيون حول آلات التيليكس يترصدون مفاتيحها السحرية وهي تطبع الاخبار الواردة عبر المحيطات والقارات .. والتصق الناس بأجهزة الراديو ينصتون الى آخر الاخبار ، ويتساءلون عن السبب في هذا الاحتجاز الغريب .

وبدأ التأويل ، فأشاع بعض الصحفيين ان العملية موجهة بالدرجة الاولى ضد البلدين الاشد محافظة بين دول النفط ، وهما المملكة العربية السعودية وايران ..

ولم يكن احد يعرف ما يجري بداخل قاعة الاجتماعات .. وفجاة اطلق المهاجمون سراح احدى الرهائن ، هي الآنسة (غريسيلدة كيري) ، الكاتبة النمساوية الشقراء للسكرتير العام لمنظمة الاوبيك : السيد (فايد) النايجيري .. وكان يبدو عليها انها في غاية التأثر ..

قالت للصحفيين الذين احاطوا بها : « انظروا الي .. انني ارتعد » .

وراجت اشاعات بأن الكاتبة تحمل مطالب المهاجمين للحكومة النمساوية .

وفعلا صدر بلاغ حكومي غامض تحدث عن عملية احتجاز ثلاثين رهينة ، من بينهم وزراء دول البترول جميعا ، ما عدا وزير بترول دولة الامارات العربية المتحدة الذي كان غادر فيينا ذلك الصباح .

واعلن البلاغ عن طلب المهاجمين ان توضع تحت تصرفهم طائرة (دي.س. 7) ، وحافلة بنوافذ مستورة لاخذهم ، صحبة رهائنهم ، الى المطار . وهددوا بقتل احد الرهائن اذا لم تلب مطالبهم في الحال .

كما طلبوا اصدار بلاغ بمطالبهم السياسية كان يبدو ان المقصود منه هو الاعلان لعمليتهم الجريئة ، واعطاؤها اكبر دعاية ممكنة .

ولاول مرة أعلنت وكالة من جينيف عن اسم المنطقة التي ينتمي اليها المهاجمون . وهو (ذراع الثورة العربية) ، وهي فئة من اليسار المتطرف .. الا أن اهدافها من العملية بقيت غامضة .

ويبدو انهم تلقوا معلومات بعدم التفاوض مع النمساويين . وهذا ما يفسر رغبتهم في مغادرة (فيينا) بسرعة .

* * *

وتكونت حالا بوزارة الداخلية النمساوية اركان حرب شارك فيها جميع سفراء الدول العربية ..

ووجدت حكومة النمسا نفسها في موقف حرج، نظرا لمسؤولياتها على سلامة ضيوفها الكبار ... تطلبت من سفير تشيكوسلوفاكيا ان يتصل بالسفير الليبي في (براغ) ، السيد (القدمسي) ليلتحق بفيينا ليعمل كوسيط ، بطلب من المهاجمين ..

وعاد المستشار (برونو كرايسكي) من مكان عطلته الى العاصمة لتولي الامور بنفسه .

وبما أن اليوم كان يوم احد ، وكل شيء متوقفا، فقد اضطر حتى المهاجمين الى تمديد اجل التهديد بقتل احد الرهائن ..

وعلى الساعة 18/30 اذاع احد اعضاء المستشارية النمساوية بلاغا بتوقيع (ذراع الثورة العربية) يحمل المطالب التالية :

1 ـ تأييد مبادىء مؤتمر الخرطوم ، التي هي لا مفاوضة ، ولا اتفاق ، ولا اعتراف بدولة العدوان الصهيونية .

2 ـ رفض جميع الحلول الوسطى والمخططات السياسية الرامية الى نسف هذه المبادىء ، والعداء لجميع المعادلات التي تعطي شرعية للعدوان على أرض فلسطين .

3 ـ التراجع عن الاتفاق المصري الاسرائيلي حول الجلاء الجزئي عن سيناء ، وفتح قناة السويس، واستمرار كفاح الجيش المصري الباسل .

4 ـ ادانة جميع الجهود الرامية الى اخذ المقاومة الفلسطينية الى مائدة المفاوضات ورفض جميع معادلات الاستسلام .

5 ـ تكوين جبهة الشمال الشرقي من سوريا والعراق والمقاومة الفلسطينية من أجل حرب تحرير شاملة .

وتضاربت الاخبار حول عدد القتلى وكذلك عدد الرهائن .. وصرح وزير الداخلية بأن عدد المحتجزين كان ما بين ستين وسبعين .

وصرح طبيب المهاجم الجريح بأن عليه ان يبقى تحت خيمة الاوكسجين مدة اسبوع ؛ الا أن رفاقه طالبوا بأخذه معهم على الطائرة .

وقال سائق سيارة الاسعاف عن الجريح انه كان يحمل ورقة تعريف من بلد من أميريكا اللاتينية .

واشيع أن (كارلوس) ، الملقب بالثعلب ، والهارب من الشرطة الفرنسية يوجد من بين المهاجمين .

وعقد المستشار (كرايسكي) مجلس حكومته ، وصرح بعده بانه سيبذل قصارى جهده حتى لا تراق اية دماء وبأنه يقبل الاستجابة لطلب المهاجمين بوضع طائرة تحت تصرفهم ، على شرط ان يطلقوا سراح جميع الرهائن النمساويين ، وأن يوقع جميع الرهائن الاجانب شهادة بذهابهم مع مختطفيهم طوعا ، وبعد قبول سفراء بلادهم .

وحمل هذه الشروط الى المهاجمين دبلوماسي عراقي ، فقبلوها واعلنوا انهم سيحررون جميع الرهائن النمساويين غدا ، يوم الاثنين ، وأن الباقين يجب ان يصحبوهم الى المطار .. وطالبوا مرة اخرى بنقل جريحهم الى الطائرة .

وكانت هذه بداية المفاوضات بين الحكومة النمساوية والمهاجمين .

واعلنت الكاتبة (سيلفيا سميتيبراك) التي اطلق سراحها المهاجمون لحمل مطالبهم للسلطات النمساوية . ان منظمة (ذراع الثورة العربية) هي منظمة جديدة ، تسعى لتحرير دولة ما ..

وقالت : « انه باستثناء رجل واحد ، فقد عامل المهاجمون رهائنهم بطريقة وحشية » .

ونفت منظمة التحرير الفلسطينية ، على لسان فاروق قدومي ، مشاركتها فى العملية او علمها بها او مسؤوليتها عنها . ووصفتها بأنها محاولة لنسف حظوظ القضية الفلسطينية قبيل بدء مناقشتها الوشيكة فى هيأة الامم . كما وصفتها بأنها منظمة مجهولة ، وبأنها تتبرأ منها ... واتهمت اسرائيل والولايات المتحدة بتدبير هذه العملية ..

وبعد منتصف ليلة الاحد الاثنين بقليل ، صرحت السيدة (انفريد ليودولتير) وزيرة الصحة النمساوية التي حضرت اجتماع مجلس الحكومة ، بأن الترتيبات الرسمية للرحلة الجوية قد تمت مع البلاد المهتمة .

وفى صباح الاثنين صرحت الآنسة (اديت‌هيلر)، عاملة التلفون بالمنظمة ، والتي كانت تزاول عملها اثناء الهجوم صباح الاحد ، صرحت بعد اطلاق سراحها ، بأن المرأة التي مع المهاجمين هي التي قتلت الشرطي النمساوي ، وبأنها أوروبية .

واضافت بأن رئيس العصابة يبدو عليه أنه فينيزويلي الاصل ، وأن هناك ايضا عربيا يتكلم بلهجة لبنانية واضحة .

وقالت : « ان الارهابيين دخلوا قاعة المؤتمر مباشرة .. وبمجرد ما رأيتهم اتصلت بالشرطة عن

طريق التلفون ... الا انهم حين انتبهوا لي احتجزوني انا الاخرى ، وحطموا جهاز الاتصال ..

« وحين ادخلوني القاعة وجدت الجميع منبطحا على الارض .. ولم اخف من ان يقتلوني . فقد كانوا مؤذبين ، وجاؤونا بطعام . ومر كل شيء في هدوء ».

وفي ذلك الصباح اكد المستشار (برونوكرايسكي) موافقة حكومته على السماح للارهابيين بمغادرة النمسا بطائرة من طائرات الخطوط الجوية النمساوية (دي . س. 9) ، صحبة رهائنهم وزراء البترول ، على ان يطلقوا سراح الرهائن النمساويين .

واعلن انهم قرروا اخذ جريحهم معهم ، الشيء الذي ربما تسبب في موته .

وطلب المهاجمون وضع ثلاثة طقوم لقيادة الطائرة لاختيار طقمهم من بينها .

وسمح للطبيب المشرف على علاج (الكوماندو) الجريح بدخول مقر المنظمة لمحاولة اقناع رفاقه بما ينتظره من موت محقق اذا هم اصروا على اخذه من تحت خيمة الاوكسيجين .

وصرح (كرايسكي) بان حافلة ستاخذ المهاجين ورهائنهم الى المطار على الساعة السابعة صباحا بتوقيت باريس . وانه يفعل هذا تفاديا لاراقة مزيد من الدم، وان ثلاثة اشخاص لقوا حتفهم اثناء الهجوم الاول على مقر المنظمة .

واضاف : « اخترنا هذا الحل ، بدل مهاجمة المقر .. وهو افضل حل ممكن . والا كنا سننتهي بعدد كثير من القتلى » .

وقال : « اننا لم نكن نعتقد أن منظمة دول النفط معرضة لشيء من هذه الاخطار » .

وعلى الساعة التاسعة والربع من صباح يوم الاثنين ، 22 ديسمبر 1975 ، انطلقت الطائرة (دي. س. 9) النمساوية من فوق مدرج مثلوج بمطار فيينا ، حاملة على متنها ثلاثة وثلاثين رهينة ، من بينهم وزراء دول النفط ومختطفوهم المجهولون ، والمهاجم الجريح .

وبقيت عيون العالم معلقة مع الطائرة .. فلم يكن احد متاكدا من وجهتها الحقيقية ... وهل سيتم اعتقال رهائنها ، كما وعد المختطفون ، ام سيغيرون رأيهم بتغير الاجواء والظروف .

واعلن انذار عام في جميع مطارات جنوب فرنسا الواقعة في مسار الطائرة حتى تكون على استعداد للطوارئ .. وأرسلت السلطات الفرنسية عددا من رجال الدرك لمطارات فرساي (ونيس) والشاطيء الازرق ...

ويمكن ان نتخيل بسهولة ما كان يجري في اذهان الوزراء المحتجزين وغيرهم من الرهائن .. لا بد انهم كانوا يسرحون في لحظات تامل ، ومحاسبة للنفس ، وتفكير في اوجه صغارهم وزوجاتهم وعائلاتهم التي تموت حسرة وتوقعا .

لا بد انهم كانوا يتساءلون عن مصيرهم .. وكيف ستنتهي هذه المغامرة ... فمثل هذه الاختطافات قليلا ما تنتهي بسلام .

ووقف العالم ينظر الى السماء من خلال ما يتساقط من قصاصات وكالات الانباء ، وما يتردد عبر الاثير وامواج الاذاعات ..

ولا بد ان الكثيرين تساءلوا :

— اذا كان وزراء دول تمسك في ايديها مصير الحضارة القائمة ، وتسيطر على منابع الدم الذي تنبض به قلوب الدول العملاقة ، لم يستطيعوا الخروج من ورطة كهذه .. فما أضعف الاقوياء .

* * *

وفي مكة المكرمة ، في نفس ذلك الصباح الذي كانت فيه طائرة (دي. سي. 9) النمساوية تركب الريح في اتجاه مجهول ، نزل صديق عزيز للشيخ أحمد زكي اليماني ، وهو السيد احمد فراج ، الشخصية التلفزيونية الاسلامية والصحفي المصري اللامع ، من فندقه لاداء مناسك العمرة . وفي طريقه الى البيت الحرام ، سمع من ترانزيستور خبر اختطاف وزراء منظمة البترول ، فتوقف لينصت لتفاصيل الحادث الذي كان يهمه شخصيا ..

وانتهت النشرة ، فتحرك احمد فراج فى اتجاه البيت العتيق بقلب واجف خائف على مصير صديقه الشيخ احمد زكي اليماني المعلق فى الفضـــاء .

وطاف بالكعبة حتى اتم الاشواط السبعة ، ثم توجه نحو الملتزم حيث وقف يدعو الله بقلب خاشع ضارع متوسل لصديقه قائلا :

« اللهم الهم عبدك اليماني ان يدعوك بدعاء يونس عليه السلام « فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انـت سبحانك اني كنت من الظالمين » .

ووقف كذلك يردد دعاءه فى غيبة عن العالم ، وبكل ما اوتي من ايمان بالله وثقة فيه ..

* * *

وفى العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة أعلنـت وكالات الانباء عن نزول الطائرة بمطار الدار البيضـاء بالجزائر العاصمة ..

وبدات المفاوضات بين المختطفين والمسؤولين الجزائريين فى قاعة الشرف بالمطار . ورغـم أن الطرفين لم يتوصلا الى اتفاق ، فقد كان واضحا ان المختطفين لم يكن فى نيتهم اصابة ضحاياهم بأذى . وانهم ، كما صرح مسؤول ، يريدون انزال كل وزير فى بلاده ، على أن يذاع البيان الـذي اصدروه فى فيينا من اذاعات كل تلك البلاد .

واطلق المختطفون حوالي ستة وتسعين رهينة آخرين كانوا على متن الطائرة ، خلافا لما أعلن عنه فى فيينا من انهم لا يتجاوزون السبعين .. ولم يبق فى الطائرة الا الوزراء ..

وفى ذلك الظهر تزودت الطائـرة بالوقـود ، واقلعت مرة اخرى بحملها الغالي ، فى اتجاه مجهول..

وعلى الساعة السادسة وعشر دقائق اعلن عن نزولها بمطار طرابلس بليبيا .. وبدات المفاوضات، وقرىء البيان فى الاذاعة الليبية .. واعلن مرة اخرى انه لا خوف على الرهائن ، وان الكوماندو يطلبـون طائرة سعودية او عراقية للتوجه الى بغداد ..

ولما لم يستجب لمطالبهم قامت الطائرة مـرة اخرى متوجهة ، هذه المرة ، نحـو تونس . الا ان هذه اقفلت مطارها فى وجهها ، ورفضت نزولها ..

وعندئذ توجهوا نحو الجزائر ، مرة اخـرى ، فاطلقوا سراح رهائنهم ، واستسلموا ..

* * *

وعاد الشيخ احمد زكي اليماني الى بلاده ... وكان من بين اول المهنئين له بالسلامة صديقه احمد فراج الذي جلس يستمع الى تفاصيل المحنة من فم صديقه الكبير ..

وفى نهاية الحكاية روى أحمد فراج لصديقـه كيف سمع الخبر لاول مرة فى اليوم التالي للاختطاف وهو نازل للطواف بالكعبة ، وكيف وقف على الملتزم للدعاء له بالنجاة . وبان يلهمه الله ان ينادي بنـداء يونس عليه السلام ، وهو فى بطن الحوت ، «ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين » .

وفوجىء أحمد فراج بنظرة جد وتأثر عميق فى عيني صديقه اليماني ، فتوقف مستجليا رد فعله ..

وانفرجت شفتا اليماني عن كلمة واحدة هي :

— غـريبـــــة !

واستغرقه التأمل لحظة ، وتألقت فى عينيـه المضيئتين بسمة دافئة تعكس السعادة والرضـى الحقيقيـيـن ..

وانتظر احمد فراج ، فى صبــر .. ولكـن الشيخ بدل ان يتوجه له بالشرح ، طلـب احضـار سكرتيره الخاص ومرافقه فىالطائرة وتوجه الى فراج سائـــلا :

— هل تذكر الساعة التي وقفت فيها بالملتـزم بالضبط ، يا أحمد ؟

فاستغرب فراج السؤال ولكنه ادرك ان وراءه سرا سيعرفه قريبا ، فأجاب :

— نعـم .. الساعة التاسعة والنصف .

وحضر السكرتير الخاص ، فطلب منه الشيخ اليماني ان يقص على أحمد فراج حكاية دعـاء يونس عليه السلام ، فقال السكرتير :

— حاضر ، يا طويل العمر ..

وتوجه نحو فراج قائلا :

« فى الحقيقة ليس هناك كثير مما يحكى .. فقد وجدت نفسي ، حين حلقت الطائرة فوق البحر الابيض المتوسط ، خارجة من أوروبا فى اتجاه افريقيا ، اخرج مذكرتي من جيبي مدفوعا بقوة خفية، واكتب على ورقة بيضاء هذه الكلمات التي لا ادري كيف خطرت ببالي .. وهي « يا طويل العمر ، أدع الله بدعاء يونس عليه السلام : « أن لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين » . وقطعت الورقة : ومددتها له .

وكان دور أحمد فراج ليغرق هو الآخر فى الاستقراب والتأمل !!

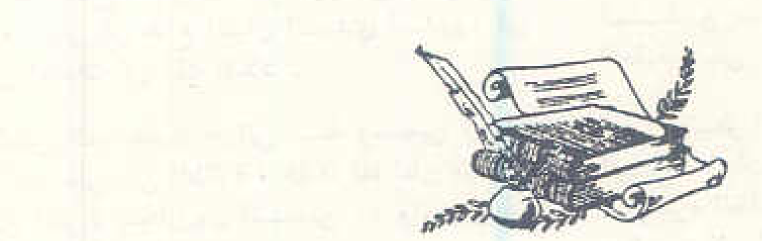
وسأل الشيخ اليماني كاتبه :

— فى اية ساعة بالضبط مددت لي الورقة : هل تذكر ؟

— بالتقريب ، نعم . حوالي الساعة التاسعة والنصف بتوقيت السعودية .

ولم تطل دهشة الصديقين الحميمين .. فقد جاء الحدث الرباني ليؤكد وجود رباط سماوي بين قلوب المؤمنين .

أحمد عبد السلام البقالي



المغــــرب :

● شهد المغرب خلال الشهر الماضي المؤتمر الاول لوزراء العدل العرب الذي انعقد بمدينة مراكش وتميز بالخطاب الهام والتاريخ الذي القاه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وتطرق فيه الى الحالة الراهنة فى الشرق الاوسط والجهود الطيبة المبذولة من اجل احلال سلام عادل ودائم فى المنطقة.

وقد نقلت عدة صحف عربية فى الشرق العربي النص الكامل للخطاب الملكي . كما قدم التلفزيون المصري الصورة الكاملة لوقائع افتتاح مؤتمر وزراء العدل العرب وفى مقدمتها خطاب جلالة الملك .

وسننشر الخطاب الملكي السامي فى العدد الممتاز الذي نصدره بمناسبة عيد العرش السعيد .

● توفى فى تطوان فى شهر محرم الحرام المنصرم الفقيه السيد محمد المرير من جيل العلماء الرواد بشمال المملكة . وقد شيعت جنازته فى محفل رهيب، والقى بالمناسبة الاستاذ محمد الطنجي نائب الامين العام لرابطة علماء المغرب كلمة تأبين استعرض فيها مراحل حياة الفقيد منوها بخصاله وجهاده من اجل نشر الثقافة الاسلامية بالمدينة .

وقد خلف الفقيد المرير كتابا بعنوان : « الابحاث السامية فى تاريخ المحاكم الشرعية » حبذا لو اضطلعت عائلته بنشره تعميما للفائدة .

رحم الله الفقيد المرير واسكنه فسيح جناته وانا لله وانا اليه راجعون .

● زار المغرب الاديب اللبناني الدكتور سهيل ادريس صاحب مجلة الآداب البيروتية التي تصدر منذ سنة 1952 بانتظام ما عدا توقف اضطراري لعدة شهور اثناء الحرب الاهلية فى لبنان خلال السنتين الاخيرتين .

ورافقت الدكتور سهيل فى هذه الزيارة حرمه السيدة عايدة مطرجي ادريس سكرتيرة تحرير مجلة « الآداب » والكاتبة والمترجمة لعدد من المؤلفات الادبية وخاصة منها الفرنسية .

وقد نظمت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية لقاء بين الاديبين اللبنانيين وبين جمهور المثقفين بقاعة المحاضرات بمقر الوزارة . ودارت خلال هذا اللقاء مناقشة لقضايا الادب العربي المعاصر .

● انعقد بالرباط فى منتصف الشهر الماضي المؤتمر الثامن للمنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة .

● صدرت عن دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر « الرحلة العياشية » مصورة بالاوفسيت عن الطبعة الحجرية بفاس . وقد اضيفت اليها فهارس عامة . وتقع فى جزءين يحتويان على 1000 صفحة .

● الشاعر المغربي الاستاذ محمد علي الرباوي صدر له ديوان شعر جديد مشترك مع الشاعر السوري مصطفى النجار بعنوان : « الطائران والحلم الابيض » . صدر الديوان فى حلب بسوريا .

● « قراءات فى ادب الصباغ » كتاب جديد ظهر للاستاذ عبد العلي الودغيري . وهو دراسة ادبية جادة لمؤلفات محمد الصباغ وموقعه الفكري والادبي من الساحة الثقافية فى المغرب .

● كان المرحوم مولاي عبد الواحد العلوي عميد كلية الشريعة بفاس قد دفع الى المطبعة بكتاب فى المواريث قبل وفاته بقليل . وقد صدر الكتاب مؤخرا عن مطبعة محمد الخامس بفاس بعنوان : « كتاب المواريث وكتاب الاموال : الحقوق العينية المالية » وهو يقع فى 260 صفحة من الحجم الكبير .

● بدا اعداد وتبويب حوالي 5 آلاف فتوى صدرت عن دار الافتاء ابتداء من عام 1970 ، تمهيدا لطبعها ونشرها فى ستة مجلدات . سوف يقوم تصنيف هذه المجلدات على اساس موضوعي ييسر على المسلم البحث عن الفتوى التي يريدها والافادة منها ، اذ ستكون هناك ابواب للفتاوي المتعلقة بالاحكام والعبادات ، والاخرى المتعلقة بالمعاملات ، وغيرها مما يتعلق بالاسرة ، والجهاد ، والقضاء والمرافعات ، والعقوبات فى الشريعة الاسلامية ، الى غير ذلك من الابحاث الهامة فى النواحي الاجتماعية ، واحكام الشريعة .

● « حسن البنا الرجل القرآني » آخر ما صدر للاستاذ انور الجندي . وهو ترجمة لكتاب المؤلف الامريكي : روبير جاكسون . ونشرته دار المختار الاسلامي .

والكتاب دراسة مستفيضة لشخصية الداعية الاسلامي المرحوم حسن البنا من وجهة نظر كاتب أمريكي اتصل به فى أواخر الاربعينات ودرس حياته عن كثب .

● من المقرر ان تخصص مراقبة للشؤون الدينية فى كل خدمة اذاعية بالاذاعة المصرية .. تتبع مدير الخدمة راسا ، على أن تلغى المراقبة المركزية القائمة الان ، وذلك لمنح حرية اختيار المواد الدينية .

● (حياة الزعيم أحمد عرابي فى المنفى) ... كتاب جديد انتهى من تاليفه المحامي الصحفي صلاح الاسواني . الكتاب حافل بالاسرار التي لم تذع من قبل ومنها خلافات عرابي العميقة مع زميله فى المنفى الشاعر محمود سامي البارودي .

وكان سبب هذه الخلافات اعتقاد سامي البارودي ان عرابي هو السبب فى فشل ثورة 1919 واحتلال الانجليز لمصر . لانه لم يستمع لنصيحة البارودى بردم قناة السويس للحيلولة دون ان يستخدمها الانجليز .. واستمر هذا الاعتقاد بتضخم فى نفس البارودي وانتهى بأن قاطع عرابي قطيعة استمرت حتى توفى الاثنان .

● « الالوهية وفكر العصر » . كتاب جديد من تأليف د. حامد عوض الله . صدر عن المركز الثقافي الجامعي .

● صدرت طبعة جديدة من كتاب ترجمة « معاني القرءان » باللغة الفرنسية والانجليزية عن دار الكتاب المصري .

● (القصة والرواية بين جيل طه حسين وجيل نجيب محفوظ) . كتاب جديد صدر عن دار النهضة العربية للدكتور يوسف حسن نوفل المدرس بكلية البنات بجامعة عين شمس .

● (اكتوبر والـ 100 يوم من أجل السلام) كتاب جديد للصحفي فتحي الابياري عن حرب اكتوبر وما حدث فى اسرائيل نتيجة هذه الحرب .

● (النظرية الاسلامية فى الدولة) . كتاب صدر حديثا ليقارن بين النظرية الاسلامية فى الدولة مع المقارنة بنظرية الدولة فى الفقه الدستوري الحديث الكتاب من تأليف الدكتور حازم عبد المتعال .

● عن الهيئة المصرية للكتاب صدرت فى 755 صفحة الترجمة العربية (للموسوعة الاثرية العالمية) بقلم الدكتورين محمد عبد القادر محمد وزكي اسكندر .. ومراجعة عبد المنعم ابو بكر .

● (اللغة فى المجتمع) تأليف م. م. لويس ترجمة الدكتور تمام حسان مراجعة الدكتور ابراهيم انيس .. وقد صدر عن مكتبة عيسى البابي الحلبي.

● ستصدر دار الشعب كتاب (انت تعلم اذن انت حر) أول مؤلفات الكاتبة جيهان المكاوي التي امضت فى الولايات المتحدة فترة لاعداد مادته ..

وتدور فصول الكتاب السبعة حول مفهوم المعرفة والحرية فى الاعلام .

● يلاحظ أن الاستاذ الزمزمي بن الصديق يصدر كتبه في صمت فهو لا يعلن عنها في الصحف . ولا يوزعها عن نطاق واسع في جميع المدن المغربية . ويقتصر توزيعها عادة على مدن شمال المملكة (تطوان، طنجة ، القصر الكبير ... الخ) وقد صدر له مؤخرا كتيب جريء في موضوع هام بعنوان : « موقف الاسلام من الاغنياء والفقراء » . وكان قد صدر له من قبل كتاب عن الشيوعية .

صدر الكتاب عن مطابع البوغاز بطنجة .

● في احصائية نشرتها هيئة الخدمات التربوية بين امريكا والشرق الاوسط المعروفة سابقا « باصدقاء الشرق الاوسط الامريكيين أن عدد الطلبة المغاربة في جامعات الولايات المتحدة الامريكية 90 طالبا .

● نظمت كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس (يومي 15 — 16 دجنبر 1977) ندوة حول الادب الزنجي الافريقي الناطق بالفرنسية بمشاركة الاساتذة : ليمن باكاطي سفير السينغال بالمغرب ، السيدة جاكلين لاينر استاذة بالسوربون ، السيد ريجس انطوان الاستاذ بجامعة نانت .

وقد تضمن برنامج الملتقى ما يلي :

اليوم الاول : كلمة افتتاح الندوة القاها عميد كلية الآداب .. تأملات في مفهوم الزنوجة للاستاذ لوموكودوك .. آفاق الزنوجة من خلال اول ديوان لسنغور للاستاذ انطوان لوتشيزانو .. الثقافة والتنمية في افريقيا السوداء للاستاذ طوما بودوا .. تساؤلات عن المغامرة المزدوجة للشيخ حميد وخان للاستاذ ريجيس بريفو .. مجلة انفاس والثقافة الزنجية للاستاذ مارك بونطار .

اليوم الثاني : المظاهر الادبية للاجتثاث في الرواية الافريقية الناطقة بالفرنسية للاستاذ ريجيس انطوان . السريالية والمجال الزنجي الافريقي للسفير لامين دياكاطي . مفهوم الالتزام في الشعر الزنجي الافريقي الحديث عبد الله بن اسماعيل . الشعر الزنجي المكتوب بالعربية : مثال محمد الفيتوري للاستاذ محمد السرغيني .. الاصول الافريقية عند تطومير للاستاذ روزين طالي .

● نوقشت بكلية الآداب بفاس رسالة دبلوم الدراسات العليا حول تقديم وتحقيق كتاب : المنزع البديع في تجنيس اساليب البديع للسجلماسي : للطالب علال الغازي تحت اشراف الدكتور أمجد الطرابلسي وبمشاركة عميد كلية الاداب الاستاذ عبد الوهاب التازي آل سعود والدكتور عباس الجراري .

● تقرر عقد المؤتمر العاشر لاتحاد المعلمين العرب في الدار البيضاء في يوليوز القادم .

جاء ذلك في التوصيات التي أصدرها الاتحاد عقب الاجتماع الذي عقد في دمشق في الفترة من 20 — 23 سبتمبر الماضي .

مصر :

● توفي في القاهرة الشيخ محمد عبد اللطيف دراز عن 90 عاما قضاها في الكفاح في سبيل الاسلام والعروبة والوطن والدعوة الى تحرير الشعوب الاسلامية . وكان احد ابطال ثورة 1919 في مصر وله الكثير من المواقف والبطولات داخل الازهر وخارجه .

كان من علماء الازهر الذين نذروا انفسهم للدعوة الى الله مخلصين ، وكون جماعة الكفاح لتحرير الشعوب الاسلامية عام 1958 وقام بالعديد من الرحلات في انحاء العالم من أجل الدعوة لتحرير الشعوب الاسلامية .. كما عين مستشارا بالسكرتارية العامة للمؤتمر الاسلامي عام 1958 وجماعة التعريف الدولي بالاسلام .

● توفي في مصر الكاتب الاسلامي الكبير الاستاذ البهي الخولي الذي اثرى المكتبة الاسلامية بعشرات المؤلفات القيمة ، منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب : « تذكرة الدعاة » .



● صدرت مؤخرا في بيروت الطبعة العربية الجديدة من كتاب « مرجع اليونسكو الجديد في تعليم العلوم » الذي نشرته اليونسكو بالفرنسية بعنوان :

Nouvean manuel de L'unesco pour l'erseignement des sciences

وقد عنى بترجمة الكتاب الى اللغة العربية احمد شفيق الخطيب ، (بكالوريوس في العلوم ، وماجستير في الآداب) ، وقد تم اخراج الطبعة العربية بموجب اتفاق بين منظمة اليونسكو واللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو ومكتبة لبنان .

ويمثل هذا المرجع الكتاب الاكثر رواجا بين مطبوعات اليونسكو في العالم اذ ان الطبعة الاولى منه ترجمت الى حوالي ثلاثين لغة وبيع منها أكثر من مليون نسخة . وها هو في متناول العالم العربي يضع بين أيدي المعلمين والتلاميذة وسيلة من انجع الوسائل لنشر المعرفة وتنمية تعليم العلوم .

العـــــراق :

● (المعجم المساعد) صدر حديثا من تاليف « الاب انستاس ماري الكرملي » العالم اللغوي المعروف ويتضمن حروف الالف والباء في اللغة العربية وهو من تحقيق كوركيس عواد عبد الحميد العلوجي .

الكويـــت :

● بدأ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت في مطلع العام الحالي اصدار سلسلة (عالم المعرفة) وقد صدر منها العدد الاول في بداية شهر (يناير) ..

وهذه السلسلة تتضمن كتبا شهرية مؤلفة او مترجمة تتناول شتى فروع المعرفة من علوم وآداب، ودراسات اجتماعية ودينية واقتصادية وسياسية وتاريخية . ويشترك في اعدادها مشاهير المفكرين والكتاب العرب .

وسوف يتم توزيع هذه السلسلة على نطاق واسع كما روعي في ثمنها ان يكون مخفضا لا يرهق القارىء .

ســـوريـــا :

● اعلنت مديرية الآثار والمتاحف بسوريا انه تم اكتشاف مدينة أثرية هامة تقع بالقرب من نهر الخابور شمال شرق سوريا .

وصرح مصدر مسؤول بأن هذا الاكتشاف سيقدم نتائج علمية وأثرية هامة للكشف عن جوانب من الحضارة السورية واهميتها التاريخية .

اسبـانيــا :

● تقرر ان يعقد في اكتوبر 1979 مؤتمر للتراث العربي الاسلامي بالاندلس وسيكون هذا المؤتمر عبارة عن ندوات يسهم فيها نخبة من العلماء الاختصاصيين الذين سبق لهم ان تناولوا هذا الموضوع في العديد من بحوثهم ومؤلفاتهم .

● في 21 فبراير نشرت جريدة « اوخاديل لونس » بمدريد مقالا عنوانه « خارديل بونسيلا » وقعه صحافي عجوز ادرك الثمانين هو لويس كالفو ، ونال جائزة « اسار » للصحافة على هذا المقال ، وقد وضعت الجائزة وكالة « افي » للانباء .

لويس كالفو اندالوث ولد في مدريد عام 1898 ، متخرج من كلية الآداب والحقوق ، وسع معارفه التاريخية والكلاسيكية واللغوية في مركز الدراسات التاريخية الذي كان يشرف عليه رامون منينديس بيدال ، بدأ نشاطه الصحافي وهو ما زال طالبا فكتب مقالات في النقد المسرحي في صحيفة في سان سبستيان . ثم راسل « ابكو دى باري » من مدريد ، سافر كثيرا وراسل جرائد مشهورة . في عام 1948 نال جائزة « اوقا دي تينا » . ونال ايضا جائزة « القومية الاسبانية » .

● انتخب الكاتب والطبيب الاسباني « دومنغو غرسية سابيل » رئيسا للمجمع اللغوي الشاغر منذ شهر سبتمبر الماضي بوفاة رئيسه السابق « سبستيان مرتينس ريسكو » . ويعتبر الدكتور غرسية سابيل من المع الكتاب الاسبان وهو يطبع في الوقت الحاضر مجموعة « محاولات » . والرئيس الجديد عضو في مجلس الشيوخ بالتعيين .

مثل الاستاذ ابو بكر القادري المغرب في اشغال المجلس التنفيذي لمؤتمر العالم الاسلامي . ونشر بعد عودته من الديار المقدسة سلسلة مقالات قيمة في الزميلة « العلم » ومنها نقتبس الحلقة الاولى التي تلقي الضوء على أهداف المؤتمر وغاياته وملابساته الخاصة .

● يعتبر مؤتمر العالم الاسلامي اول منظمة اسلامية شعبية تكونت على مستوى العالم الاسلامي بعد الحرب العالمية الاولى وسقوط الخلافة الاسلامية.

فبعد الانتصارات التي حققها الملك عبد العزيز آل سعود ، وتكوين المملكة العربية السعودية ، عمل على عقد اجتماع على مستوى قادة العالم الاسلامي ، وتبودل الراي في هذا الاجتماع حول تاسيس منظمة اسلامية عالمية ، تعمل على لم شث العالم الاسلامي الذي بددته المؤتمرات الاستعمارية ، ووزعته مناطق نفوذ تابعة لدولها ، وجعلته فريسة للاستغلال والاستحواذ .

لقد كان الاجتماع النواة الاولى لتجميع شمل العالم الاسلامي ، والتفكير في ضرورة بعث اسلامي جديد ، يحافظ على الوجود الاسلامي بكل الاقطار الاسلامية ، ويهتم الاهتمام الاكيد بالقضايا الاسلامية والمشاكل التي نتجت على الاستحواذ على اقطاره ، ومن جملتها وفي طليعتها قضية المسلمين الاولى : قضية فلسطين ، وعد بلفور المشؤوم .

كان ذلك في سنة 1926 ميلادية ، عندما تولى سماحة المفتي الاكبر الحاج أمين الحسيني رحمه الله رئاسة المؤتمر الذي بقي يرعاه ويسيره الى ان لقي ربه ، ولقد استقطب المؤتمر جمهرة من قادة العالم الاسلامي في المشرق والمغرب فكان من جملة اعضائه : الفيلسوف الاسلامي الكبير الشاعر محمد اقبال ، ومؤسس باكستان المرحوم محمد علي جناح والزعيم الاسلامي الهندي الكبير شوكت علي ورئيس جمهورية سوريا الاسبق شكري القوالتلي، والزعيم اللبناني المسلم رياض الصلح واخونا الزعيم الاوحد علال الفاسي ورئيس الوفد المصري مصطفى النحاس باشا وغيرهم من زعماء النهضة الاسلامية والوطنية في العالم الاسلامي .

ولقد كان على رأس اهتمامات مؤتمر العالم الاسلامي ، العمل على تحرير البلاد الاسلامية من قبضة الاستعمار الذي اخذ بتلابيبها وتوثيق عرى التعاون والتآزر بين قادة العالم الاسلامي .

وفي سنة 1931 دعا المفتي المجاهد الحاج امين الحسيني الى عقد جلسة للمؤتمر بالقدس الشريف ، للنظر في التطورات التي حدثت حول القضية الفلسطينية ، لدق ناقوس الخطر حول ما ينتظر البلاد الفلسطينية من مؤامرات استعمارية ، واستيطان صهيوني عنيد ، ثم توالت الاجتماعات بعد ذلك عند كل مناسبة تدعو الى ذلك ، حتى كانت الجلسة التي عقدها المؤتمر في مقاديشو بالصومال حيث برزت فكرة مؤتمر القمة الاسلامي ، وتكوين وكالة اسلامية عالمية للاعلام ، وتاسيس بنك اسلامي لاربوى الى آخر المقررات والنشاطات التي يقوم بها المؤتمر كالدعوة الى سوق اسلامية مشتركة، والاهتمام المتزايد الذي يوليه لمشاكل وقضايا الاقليات الاسلامية ، والدراسات الهامة التي يقوم بها والتي من جملتها الكتاب الذي وضعه عن موارد العالم الاسلامي واهميتها في الميدان الاقتصادي .

ولمنظمة المؤتمر شخصية دولية ، حيث اعترفت بها منظمة الامم المتحدة كمنظمة شعبية اسلامية تحضر جلسات منظمات الامم المتحدة باعتبارها عضوا ملاحظا ، وتقدم لها التقارير والبيانات عن المشاكل التي يعاني منها العالم الاسلامي .

ويوجد ممثل دائم لمؤتمر العالم الاسلامي فى هيأة الامم المتحدة ، يتتبع قضاياها ، ويعتبر مركزه المفتوح دائما ، مركزا تستقى منه المعلومات عن كل ما يتعلق بقضايا العالم الاسلامي .

ولمنظمتنا الاسلامية ، مجلس تنفيذي ، يجتمع مرة فى السنة على الاقل ، كما له مكتب دائم بكراتشي وآخر ببيروت . وهذان المكتبان يقومان بالدراسات والابحاث حول القضايا التي تهم العالم الاسلامي ، سواء فى الميدان السياسي او الاجتماعي او الاقتصادي ، فالنشاط الذي يقوم به المؤتمر نشاط متعدد الجوانب ، ومن اهم نشاطاته الدراسات التي يقوم بها تطوعا ويقدمها للمؤتمرات الدولية ، والمنظمات الاسلامية الكبرى كالامانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة ورابطة العالم الاسلامي وغيرهما .

ونظرا لوجود اعضاء من آسيا فى مكتبه التنفيذي ، فهو ملم الماما هاما ويكاد يكون مختصا بأحوال وقضايا الشعوب الاسلامية الاسيوية ومشاكل الاقليات الاسلامية بها . كمشاكل مسلمي « فطاني » و « الفيلبين » وجزيرة مالاقاس والتايلاند ، الى غير ذلك من القضايا .

ويتراس المؤتمر الان الدكتور معروف الدواليبي، وهو معروف فى الاوساط السياسية والثقافية والاسلامية تولى رئاسة حكومة الشقيقة سوريا فترة من الزمان وتقلب فى عدة مناصب هامة كما يعتبر خليفة الرئيس الدكتور محمد الناصر الاندونيسي من الشخصيات اللامعة المناضلة فى سبيل نشر الفكر الاسلامي والدعوة الاسلامية فى القارة الاسيوية عموما ، وفى اندونيسيا بصفة خاصة ، وسبق له ان تولى رئاسة حكومة اندونيسيا كما اسس اهم حزب مناضل فيها ايام كفاح اندونيسيا فى سبيل استقلالها . اما الامين العام للمؤتمر الدكتور انعام الله خان ، فيعتبر بحق المحور الذي يدور حوله نشاط المؤتمر ، والاداة التي لا تنقطع حركتها ولا يركد تفكيرها فى كل ما من شانه ان يجمع كلمة المسلمين ويعلي مكانتهم فى المعمور .

● وقف الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي موقفا عظيما يمثل مواقف العلماء الصادقين المجاهدين . وذلك حين دعاه ماركوس الى زيارة الفلبين . والاطلاع على احوال المسلمين ...

لقد رد الشيخ بن باز دعوة ماركوس . وكتب له كتابا يعتبر وثيقة تشرف العلماء والعاملين للاسلام .

وفيما يلي نص الرد :

الرئيس فردناند ماركوس

رئيس جمهورية الفلبين

بعد التحية ،

تسلمنا رسالتكم المؤرخة بـ 21 مايو 1977 م المتضمنة دعوتكم لزيارة الفلبين لغرض الاطلاع على احوال المسلمين والتعاون على ازالة الخلاف بين حكومتكم من جهة والمسلمين فى بلادكم من جهة

اخرى ذلك الخلاف الذي ادى الى سفك الدماء البريئة واشاعة الدمار وتشريد الآمنين .. وقد عرضناها على المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي فى دورته التاسعة عشرة المنعقدة فى مكة المكرمة بتاريخ 15 ذي القعدة 97 هـ الموافق 27 اكتوبر 77 م فأوصى أن يجاب فخامتكم بالآتي :

كم كان بودنا أن نلبي الدعوة ، لولا أن وفودا اسلامية كثيرة لبت دعوتكم من قبل فلم تلق تعاونا من قبلكم فعادت من حيث أتت دون جدوى .

وفى الوقت الذي تسلمنا فيه دعوتكم التي حملتها الينا رسالتكم التي تتضمن قولكم باقرار الحق ونشر السلام العادل واعطاء كل ذي حق حقه والتعامل مع المسلمين فى بلادكم معاملة عادلة تتسم بالرحمة والانصاف تطالعنا أجهزة الاعلام العالمية باخبار الحرب التي تشنونها على المسلمين فى بلادكم واخبار الويلات والمصائب القاسية التي تتركهاتلك الحرب ابادة وتقتيلا وتشريدا فى المسلمين بغير حق الا رغبتهم فى التمسك باهداب دينهم والعيش بسلام فى ربوعهم والتمتع بحقوقهم المشروعة مما يدل على أن ما جاء فى كتابكم من رغبات مناقضة لتصرفات جيشكم وحكومتكم .

فهل يمكن أن نزور بلدا يضطهد فيه المسلمون ويمنعون من حقوقهم ويحرمون من العدل والمساواة ؟

ولذا لا نجد المسوغ لهذه الزيارة امام المسلمين فى اقطار العالم الاسلامي . ما لم تتحقق مطالب المسلمين العادلة فى وقف القتال الناشب لابادتهم بين قوتين غير متكافئتين : قواتكم العسكرية المدججة بالسلاح والعتاد . وقوة المجاهدين المسلمين المدافعين عن انفسهم واهلهم المحرومين من السلاح والعتاد والارزاق .

فاذا رغبتم حقا فى تلبية دعوتكم فأرجو أن تعملوا على :

1 ـ ايقاف القتال فورا بين قواتكم المسلحة من جهة وبين المجاهدين من جهة اخرى .

2 ـ اعادة الحقوق المغتصبة من المسلمين اليهم باعطائهم الحكم الذاتي واطلاق سراح المعتقلين والمسجونين واعمار البيوت المخربة واعادة المشردين الى بيوتهم والتعويض عن المتضررين .

3 ـ تنفيذ الوعود التي وعدتم المسلمين بتحقيقها فورا ووضع بنودها فى حيز التنفيذ .

4 ـ التفاوض مع ـ مورو ـ ممثلة المسلمين الفلبينيين الشرعية لوضع حد حاسم للاقتتال بين الشعب الفلبيني ما فى ذلك أدنى شك .

وقبل ان تحققوا هذه المطالب التي تم الاتفاق عليها فى ليبيا بواسطة اللجنة الرباعية والتي ستكون من نتائجها تلبيتنا لدعوتكم وتلبية دعواتكم من وفود اسلامية اخرى للعمل على ازالة الخلاف واعطاء كل ذي حق حقه .

وانتهز هذه الفرصة للاجابة على ما ورد فى رسالتكم من أن جبهة مورو هي التي نقضت الاتفاقيات وهي التي رفضت تنفيذ الاتفاق ، ولقد علمنا من طرق موثوقة ان الواقع خلاف ذلك .

والله الهادي الى سواء السبيل .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
رئيس المجلس التأسيسي
لرابطة العالم الاسلامي

مسجد ثالث فى اليابان

● افتتح مسجد جديد فى مدينة اوسكا . وهو ثالث مسجد فى اليابان بعد مسجدي طوكيو ـ وكوبى ـ وهي ميناء يقع على بحر اليابان .

وقد تم بناء هذا المسجد من حصيلة تبرعات المسلمين فى اوساكا .

جامعة اسلامية فى ماليزيا

● افتتحت اول جامعة اسلامية للتكنولوجيا فى اقليم جوهور بماليزيا .

فروع لبنك فيصل الاسلامي فى اوروبا

● تجري الاتصالات حاليا بين مجموعة بنوك فيصل الاسلامية وعدد من المؤسسات الاقتصادية فى دول أوروبا حول انشاء بنك اسلامي فى أوروبا .

ومن المعلوم أن لبنك فيصل الاسلامي فروعا فى القاهرة والخرطوم والخليج العربي .

افتتاح مركز اسلامي فى السودان

● افتتح فى السودان مركز اسلامي يعتبر اكبر مركز اسلامي فى افريقيا . وقد شاركت فى انشائه مع السودان مصر والسعودية والكويت ودولة الامارات وقطر . افتتح المركز الجديد الرئيس السوداني محمد جعفر نميري ، واشترك فى حفل الافتتاح عدد كبير من وزراء أوقاف الدول العربية الاسلامية .

يقول محمد العبيد اسماعيل الكاتب العام لوزارة الشؤون الدينية بالسودان ان رسالة المركز الجديد هي اعداد الدعاة الاسلاميين فى القارة الافريقية ، وبث الوعي الديني على أسس سليمة ، ونشر اللغة العربية باعتبارها لغة القرءان الكريم .

25 مليون جنيه فى المخطط الخماسي المصري لانشاء المعاهد الدينية

● اعلن الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر انه تم اعتماد 25 مليون جنيه لتدعيم وبناء المعاهد الازهرية فى المخطط المصري الخماسي للازهر .

وقال ان الازهر قرر ضم 60 معهدا ابتدائيا كل عام . وان هناك خطة خمسية لضم 300 معهد ابتدائي .

لجنة متابعة لقرارات علماء المسلمين

● شكلت لجنة خاصة لمتابعة قرارات وتوصيات مؤتمر علماء المسلمين الثامن المنعقد أخيرا بالقاهرة تتألف من الدكاترة : عبد الجليل شلبي ، الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية وعبد الودود شلبي ، مدير تحرير مجلة الازهر ، ويحيى هاشم ، الاستاذ بكلية أصول الدين بجامعة الازهر ، ورؤوف شلبي وكيل كلية الدعوة بطنطا .. ستقوم اللجنة بابلاغ القرارات التي اصدرها المؤتمر الى جميع الدول الاسلامية وتبادل البحوث والعمل على نشرها باللغات المختلفة التي تمت مناقشتها مع مختلف الهيئات الشرعية بالعالم الاسلامي .

كلية للدعوة واصول الدين بالكويت

● وافق مجلس الوزراء الكويتي على انشاء كلية للدعوة الاسلامية وأصول الدين ..

قرر المجلس تكليف وزير التربية ورئيس المجلس الاعلى للجامعة ووزير الاوقاف والشؤون الاسلامية باعداد الدراسات الخاصة بمناهج ونظام الدراسة فى الكلية الجديدة .

تغيير اسم جامعة الشعب المفتوحة الى جامعة محمد اقبال

● غيرت حكومة الباكستان الاسلامية اسم « جامعة الشعب المفتوحة » فى اسلام آباد وسمتها « جامعة محمد اقبال المفتوحة » وذلك تكريما وتقديرا للشاعر والفيلسوف الاسلامي الكبير محمد اقبال .